الجزء ١ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٨ هـ

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— جزؤه الثامن —

« كلمة المجمع »

كتاب نشوار المحاضرة او جامع التواريخ تصنيف القاضي ابي علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ من أمثل ما ألفه الاخباريون في التاريخ والتراجم والاجتماع الاسلامي . وربما كان هذا المصنف نسيج وحده في موضوعه . فهو لم يسرد وقائع التاريخ واخبار رجاله كما سرده غيره وانما هو املى من خاطره اخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار الكتاب والعمال الذين هم صفوة رجال الدولة العباسية في القرن الرابع للهجرة .

ونكتفي بهذا القدر من التعريف بالكتاب — لما ان مجمعنا ومجلته واعضاءه قد وفوه حقه من التقريظ والتعريف به عند ظهور جزئه الاول الذي نشره المستشرق المشهور العلامة الاستاذ مرجليوث احد اعضاء

مجمعنا . وكان ظفر بهذا الجزء في خزانة الكتب الوطنية بباريز منقولا عن نسخة كتبت سنة ٧٣٠ هـ فاعتنى بتصحيحه وطبعه بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩٢١ م . في ثلاثمائة وصفحتين وقد اهدى نسخة منه الى مجمعنا. فكتب عليها الاستاذ رئيس المجمع تقريظاً نشر في مجلد السنة الثانية من مجلة المجمع الصفحة ١٨٩ ، واستخرج منه الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع محاضرة بعنوان (صفحة من تاريخنا الاجتماعي) القاها في ردهة المجمع في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٢٢ م وقد نشرت في مجموعة محاضرات المجمع (جزء ١ ص ٣١٣) وكتب العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء المجمع عدة مقالات بعنوان (تفسير الالفاظ العباسية في نشوار المحاضرة) استخرجها من الجزء الاول المذكور ونشرت في مجلدي السنتين الثانية والثالثة من مجلة المجمع . كما بحث الاستاذ المغربي في تلك الالفاظ العباسية الواردة في الجزء الاول المذكور من جهة ثانية غير الجهة التي بحث فيها الاستاذ تيمور باشا ووضع ثلاث مقالات بعنوان (طاقة ازهار من كتاب النشوار) نشرت في مجلد السنة الرابعة من مجلة المجمع . ومن تتبع ما ذكرناه من تعاليق رئيس المجمع واعضائه على الجزء المذكور من (نشوار المحاضرة) ادرك قيمة هذا الكتاب وعرف شرف موضعه من مصنفات التاريخ والادب في الاسلام . وأسف ان لايعثر على غير هذا الجزء من (النشوار) والجزء الثاني الذي في مكتبة الاستاذ احمد تيمور باشا ، وتمنى لو برز الى حيز الطباعة والنشر شيٌ من اجزائه الاخرى التي تبلغ احد عشر مجلداً . ومضت بضع سنين ونحن وغيرنا نتحدث عن كتاب النشوار ونتساءل

عن بقية اجزائه وهل عثر على شيء منها ، واذا المستشرق الكبير نفسه « الاستاذ مرجليوث » يرسل الينا الجزء الثامن من النشوار ويقول انه ظفر به مخروم الاول في المتحف البريطاني بارشاد صديقه الاستاذ كرنكو . وانه حقق بعض الفاظه وصحح بعضاً وترك تصحيح الباقي الى اعضاء المجمع . فهو يرغب اليهم ان ينشروه تباعاً في مجلتهم ثم يفردوه على حدة في كتاب . فلبوا طلب الاستاذ . مرجليوث وقرروا في جلستهم المنعقدة في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ امر تصحيحه وطبعه في المجلة ثم نشره في كتاب على حدة كما اقترح الاستاذ والفوا لجنة منهم اخذت على عاتقها بذل الجهد في تصحيحه وتحقيق كلماته وتفسيرها والتعليق على ما أبهم منها . ثم شرعت اللجنة في العمل فحققت معظم ما كان يقع تحت نظرها من الكلمات وشرحت كثيراً من مواضع الابهام والغموض . لكنها كانت احياناً تصطدم بجمل وتعابير تقف عندها موقف الشبهة والريب ولا تهتدي الى حلها فتتركها على حالها وتكتفي بالتنبيه عليها . ولم يرسل الاستاذ مرجليوث الينا بالنسخة الاصلية التي ظفر بها وانما ارسل بنسخة عنها بخطه وعلق عليها تعاليق اثبتناها له في الذيل غير معزوة اليه . اما تعاليق لجنة المجمع فقد صدرناها بحرفي « م . ع » تمييزاً لها عن تلك .

وفي الكتاب هنات كان يجب حذفها لولا ان الناس يحبون ان يروا الكتاب على ما ألفه صاحبه عليه فرأينا ابقاءها رعاية لامانة النقل . لكننا جعلنا فيها حرف اللام بدلاً من الكاف واعتمدنا في فهمها على نباهة القارئ ولم نضع البسملة في فاتحة الكتاب حتى لا يتوهم متوهم ان ما بعدها هو اول الكتاب وقد اسلفنا ان هذه النسخة مخرومة

مقدمة المصحح

« الاستاذ مرجليوث »

اخبر ياقوت الرومي في ترجمة القاضي ابي علي المحسّن التنوخي (١) له كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه انه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب . أ. عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطبة — قال غرس النعمة صنف ابو علي المحس كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة اولها سنة (٣٦٠) هـ. واول مجلد نشرناه في سنة ١٩٢١ عن نسخة في مكتبة باريس العمومية وبذل البحا الشهير احمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب فنشر ثمرا افكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجمعنا العلمي العربي في دمشق وقد اخبرنا ان عنده نسخة من الجزء الثاني. ومنذ سنتين نبهني صديقي المستشر كرنكو على وجود خط (٢) في المتحف البريطاني رقمه (٩٥٨٦ شرقي) تتعل مضامينه بتجارب الامم لمسكويه (٣) وهو غير معنون ولا مؤرخ لذهاب صدره وانما يذكر عند الانتهاء انه الجزء الثامن فطالعت الخط فوجدت المصنف يقول في مقدمته :

« ارجو ان يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت ا الاجزاء السالفة من العذر وخبرته »

وتشبه هذه الجملة ما ورد في مقدمة الجزء الاول من النشوار (٤) «فلا

« ١ » ارشاد الاريب ٦ : ٢٥١ « ٢ » م.ع« اي مخطوط « ٣ » م.ع « المعروف ار تجارب الامم لابن مسكويه . «٤» ص ١١

لم يكن فيه الا انه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة ان شاء الله »

ثم وجدت في معجم البلدان لياقوت (١) حكاية طويلة في اشتقاق اسم نهروان منسوبة لابي علي التنوخي في « نشوانه » وهي في خطنا لفظاً بلفظ . وفي ارشاد الاريب لياقوت (٢) حكاية منقولة عن كتاب ابي علي التنوخي وهي ايضاً في الخط (٣) ثم دلني صديقي كرنكو على موضع من كتاب بدائع البدائه لابن ظافر (٤) يقول فيه : وذكر القاضي ابو علي التنوخي في كتاب النشوان قال حدثني ابو طاهر الخ والحكاية في خطنا (٥) ثم وجدت في الكتاب دلائل تدل على ان المؤلف هو المحسن التنوخي : منها ذكر مولى ابيه الذي اسمه مبشر وهو مذكور في الجزء الاول ايضاً والتاريخ ٣٦٣ وروايات وردت في كتاب الوزراء لهلال منسوبة لابي الحسين علي بن هشام المعروف ابوه بابي قيراط صدرها مؤلف النشوار بالعبارة : « حدثني » وجعل هلال مكان ذلك « حدثنا » ولا يبقى شك في ان الجزء الثامن المذكور هو الجزء الثامن من نشوار المحاضرة

وعدد اوراق الخط ١١١ تحتوي الصفحة منها على ١٥ سطراً . ولم احذف شيئاً فان المؤلف لم يخل بالادب في هذا الجزء الا نادراً.

ولما علمني الاختبار ان المترجم يلفت نظره ما يذهب عن غيره رأيت ان ابدأ بترجمة الكتاب الى اللغة الانكليزية ، قبل الاقدام على

« ١ » ٤ : ٨٤٧ « ٢ » ٥ : ٤٤٤ « ٣ » ص ١٠٦ من الاصل . « ٤ » بهامش معاهد التنصيص « مصر ١٣١٦ » ٢ : ٢٢ « ٥ » ص ٧٠ من الاصل

نشر اصله ،فصارت الترجمة تصدر فى مجلة تظهر في حيدر اباد دكن اسمها The Islamic Review وقد آن ان اقدم الاصل العربي الى اعضاء المجمع العلمي راجياً منهم المسامحة اذا زلت القدم وداعياً لهم بدوام النعم.

د . س . مرجليوث

*
* *

وهذا هو الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة نبدأ بنشره من أوله المخروم ونثبته كما هو فيما يلي :

. . . .

. . . .

اكثرها قولا وتغيراً العوائد في اخلاق اكثر العالم ومعاملاتهم ورسومهم فتلقطت هذا الفن واثبته وخلطت به ما حدث وتحدث (١) من مليح شعر لمن ضمنا واياه دهر ممن لم يخلق شعره بالاشتهار ولا بشمه الناس بالاستكثار ومن رسالة غريبة او فائدة ادبية او حكم جديدة او ما يغلب على ظني من اشباه ذلك — وان قدم — انه لم يدون او منام طريف او حادث عجيب او رسم غريب او مستنبط مفيد قريب ليعرف الفرق بين الامرين والتباين في الحالين ويهش لذلك من قد فرغ من الآداب والعلوم وسبر اكثر الافهام والحلوم وقوم (٢) الى معرفة اسرار الامور والعادة في الجهور والتدبيرات والاختيارات والملح في جميع الحالات التي لا يكشفها له الفكر الا في الطويل من العمر واذا وقفت (٣) عليها من ها هنا قربت من يديه وخف تناولها عليه ولم اجعل ذلك مرتباً على ابواب لعلل واسباب قد ذكرتها فيما قبل هذا واوردت فيه جمل هذا القول وشرحت في رسالة كل جزء ما يغني عن الاطالة فيها ويوضح المغزا (٤) ويقوم بالعذر وارجو ان لا اكون مذموما عما جمعته ان لم احمد على ما صنعته وان يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت في الاجزاء السالفة من العذر وخبرته ان شاء الله .

«١» م.ع لعل صوابه ويحدث «٢» لعله قرم «٣» لعله وقف «٤» م.ع «كذا في الاصل

حدثني ابو الحسين علي بن هشام بن عبدالله الكاتب البغدادي المعروف ابوه بابي قيراط كاتب ابن الفرات قال سمعت ان ابا القاسم كان اذا خلا وتذكر امر الآخرة وما هو منقطع (١) عنها من امر السلطان يقول اللهم لا تخرجني من الصدر الى القبر لا فرجة لي بينهما . قال ابو الحسين فاجيبت دعوته وجلس في منزله قبل موته نحوا من سنة تائباً من التصرف تاركا لطلبه فلما اعتل علة موته جاءته رسالة الراضي يستدعيه ليقرر معه امر الوزارة ويوليه اياها فقال : آلآن !! لئن كان قبل مدة لعله لو جاءني هذا الامر وانا تائب لما رددته ولعلي كنت انقض التوبة فالحمد لله الذي لم يتم علي ذلك .

حدثني (٢) ابو الحسين قال اقرأني ابو عبدالله احمد بن محمد الحكيمي (٣) كتابا بخط علي بن عيسى واخبرني انه كتبه اليه في وزارته الاخيرة وهو يتقلد له طساسيج (٤) طريق خراسان يحثه على حمل المال ويستحثه قال قد كنت اكرمك الله عندي بعيداً من التقصير غنياً عن التنبيه والتبصير راغباً فيما خصك بالجمال وقدمك على نظرائك من العمال واتصلت بك ثقتي وانصرفت نحوك عنايتي ورددت الجليل من العمل اليك واعتمدت في المهم عليك ثم وضح لي من اثرك وصح عندي من خبرك ما اقتضى استزادتك وردفه ما استدعى استبطاءك ولا تمتك وانت تعرف صورة الحال وتطلمي مع شدة

« ١ » لعله سقط « به » « ٢ » راجع كتاب الوزراء لهلال ص ٣٣٩ . « ٣ » عند هلال (الحليمي) « ٤ » م.ع الطساسيج لاهل الاهواز كالمخاليف لاهل اليمن والكور لاهل العراق والطسوج ايضاً ربع الدانق

الضرورة الى ورود المال وكان يجب ان تبعثك العناية على الجد في الجباية حتى تدر حمولتك (١) وتتوفر ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا يتأخر فنشدتك الله لمّا تجنبت مذاهب الاغفال والاهمال وقرنت الجواب من كتابي هذا بمال تبتزه من سائر جهاته وتحصله وتبادر به وتحمله فان العين اليه ممدودة والساعات لوروده معدودة والعذر في تأخره ضيق وانا عليك من سوء العاقبة مشفق والسلام

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبد الله بن علي الباقطاني (٢) قال حدثنا ابو جعفر احمد بن اسرائيل قال : كان سبب رفعة عبيدالله بن يحيي طلب المتوكل لحدث من اولاد الكتاب يوقع بحضرته في الابنية والمهمات لانه كان قد اسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٣) واقتصر على اصحاب الدواوين وامرهم ان يعرضوا الاعمال بانفسهم وجعل التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي وانتصب منصب الوزارة وان كان لم يسم بها . فاسمي له جماعة فاختار عبيدالله من بينهم فحضر اول يوم فصلى في الدار ركعات وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية على رسم الكتاب قال ابو الحسين لانه لم يكن احد يصل الى الخليفة الا بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم الا القضاة لا في موكب

«١» عند هلال (ترد حمولك) ٢٢ «م . ع» : قال ياقوت في المعجم باقطايا ويقال باقطيا من قرى بغداد ينسب اليها الحسين بن علي الكاتب الاديب ذكرته في كتاب معجم الادباء . «٣» الصواب الجرجرائي

ولا غيره فاذا كان يوم موكب كانت الاقبية كلها سوادا واذا كان غير يوم موكب فربما كانت من بياض وفي الاكثر سوادا . فلما صلى عبيدالله وجلس لم يجتز به احد من الحاشية كبير ولا صغير الا قام اليه قائماً وسلم عليه حتى قام الى رئيس الفراشين . فرآه بعض الحاشية فقال من هذا الشقي الذي قد قام لسائر الناس حتى قام الى الكلاب؟ فقيل له فلان . ثم اذن له المتوكل لما خلا فدخل اليه وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية وكان طويل العنق فظهرت عنقه فلما رآه المتوكل اومى بيده الى قفاه ومسحه شبه صفعة فاخذ عبيدالله يده فقبلها . فنفق عليه وخف على قلبه وسر بذلك واستخف روحه وقال له اكتب فكتب وهو قائم (انا فتحنا لك فتحاً مبينا) الى قوله عز وجل (وينصرك الله نصراً عزيزا) فكتب (وينصرك يا امير المؤمنين نصراً عزيزا) فزاد ذلك في تقبل المتوكل له وتفاءل بذلك وقال له الزم الدار فكان يلزمها منذ السحر والى وقت نوم المتوكل في الليل . وقوي امره مع الايام حتى صار يعرض الاعمال كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد وزير . والتاريخ لوصيف . فامره المتوكل في بعض الايام ان يكتب نسخة في امر الابنية فقال نعم فلما كان بعد ساعة سأله هل كتبت؟ فقال لم يكن معي دواة فقال اكتب الساعة فاستحضر دواة وكان ايتاخ الحاجب قائماً يسمع ذلك فلما خرج عبيدالله قال له انما طلبك امير المؤمنين لتكتب بين يديه فاذا حضرت بلا دواة فلاي شيء تجيء ؟ فقال له عبيدالله واي مدخل لك انت في هذا ؟ انت حاجب او وزير ؟ فاغتاظ من ذلك فامر به فبطح وضرب على رجليه عشرين مقرعة وقال

اه الآن علمت ان لي فيه مدخلا . فلم يتأخر عبيدالله عن الخدمة وعاد فجعل يمشي ويمرح. فسأل المتوكل عن خبره فعرف الصورة فغاظ عليه ذلك وقال انما قصده ايتاخ لمحبتي له . وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من ايتاخ العظائم مما كان يعمل به في ايام الواثق ولا يقدر له على نكبة لتمكنه من الاتراك فامر بان يخلع على عبيدالله من الغد وان لا يعرض احد من اصحاب الدواوين عليه شيئاً وان يدفعوا اعمالهم اليه ليعرضها واجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم .فندم ايتاخ على ما فعله وجعل يداري عبيد الله ويشاقه (١) وقوي امر عبيدالله حتى حذف بنفسه من غير امر اسم وصيف من التاريخ واثبت اسمه. ثم امر له المتوكل برزق الوزارة ثم خوطب بالوزارة بعد مديدة وخلع عليه ثم قلده كتابة المؤيد وخلع عليه وضم المتوكل الى ابنيه بضعة عشر الف رجل وجعل تدبيرهم الى عبيد الله وكان وزيراً اميراً .فلما تمكن هذا التمكن بالجيش والمحل عارض ايتاخ وبطأ (٢) حوائجه وقصده ووضع من كتابه . ولم يزل ذلك يقوى من فعله الى ان دبر على ايتاخ فقتله على يد اسحاق بن ابراهيم الظاهري ببغداد بعد عود ايتاخ من الحج .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد في ايام حامد بن العباس ديوان بيت المال قال سمعت الفضل وهو يحكي

«١» «م.ع»: المشاقة المناقسة في الحذق والفطانة وادراك الشيء وفعله . ومحاولة اصابة الغرة في مسابقة ونحوها.«٢» «م.ع»: المعروف ان ابطأ وبطأ يتعديان بحرف الجر

عن ابيه وهو ابو الفضل بن مروان قال كان في نفس الواثق على محمد بن عبد الملك الزيات العظائم مما كان يعامله به في ايام ابيه فمن ذلك ان المعلم شكا الى المعتصم ان الواثق لا يتعلم فاذا طالبه بذلك شتمه ووثب عليه فأمر المعتصم محمداً بان يضرب الواثق اربع مقارع فخرج محمد واستدعى الواثق وضربه ثلاث عشرة مقرعة حتى مرض. فلما عرف ابوه الخبر انكر ذلك وحلف للواثق انه ما أمر محمدا الا ان يضربه اربع مقارع فاخفاها في نفسه فكان يبغضه وعلم محمد بذلك فكان يقصده في ضياعه واملاكه لما ترعرع وصار اميراً. فوقع المعتصم يوماً ان يقطع الواثق ما ارتفاعه الف الف درهم فمحاها محمد وكتب (ما قيمته الف الف درهم) فلما دخل اليه الخادم وعرفه ما عمله محمد وثب الى ابيه وعرفه ذلك وعرض التوقيع عليه فقال له المعتصم ما أغير ما وقعت به وما ارى في التوقيع اصلاحاً. وكان محمد قد اجاد محوه وعلم المعتصم ان رأي محمد في الاقتصاد اصلح فبطل ما كان يريده الواثق وانصرف فقال للخادم قد تم علي من هذا الكلب كل مكروه فان افضت الخلافة الي فقتلني الله ان لم اقتله. ثم قال له انت خادمي وثقتي فان افضى هذا الامر الي فقتله ساعة اخاطب بالخلافة ولا تشاورني وجئني برأسه قال فمضت الايام وتقلد الواثق فحضر الدار في اول يوم محمد بن عبد الملك مع الكتاب فتقدم الواثق الى الكتاب دونه بان يكتب كل منهم نسخة بخبر وفاة المعتصم وتقلده الخلافة فكتبوا باسرهم وعرضوا ذلك عليه فلم يرضه فقال لمحمد اكتب انت فكتب في الحال بلا نسخة كتابا حسناً وعرضه فاستحسنه وامر بتحريره الكتب عليه ولم يبرح حضرته حتى اقره على الوزارة

وخرج من بين يديه والناس كلهم خلفه. قال الخادم فعجبت من ذلك وقلت تراه أنسي ما كان امرني به ؟ لم لا استأذنه في ذلك واذكره به؟ فتقدمت اليه لما خلا ، واذكرته الحديث واستأذنته فقال ويحك السلطان الى محمد بن عبدالملك احوج من محمد الى السلطان دعه . قال فرقاه الواثق الى ما لم يرقه اليه المعتصم . قال الفضل بن مروان ولا نعلم وزيراً وزر وزارة واحدة بلا صرف لثلاثة خلفاء متسقين غير محمد بن عبدالملك

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال حدثني وكيع القاضي قال ابو الحسين وقد رأيت محمد بن خلف وكيع وكتبت عنه اشياء كثيرة ليس هذا منها قال كنت اتقلد لابي حازم وقوفاً في أيام المعتضد منها وقوف الحسن ابن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسيني ادخل اليه بعض وقوف الحسن بن سهل كانت في يدي ومجاورة للقصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مالها الا ما اخذه المعتضد فجئت الى ابي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبله وعلى اهل الوقف فقال لي فهل جبيت ما على امير المؤمنين فقلت ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع او تأخذ ما عليه ووالله لئن لم يزح العلة لا وليت له عملاً . ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل انك رسولي انفذتك في مهم فاذا وصلت فعرفه ما قلت لك فجئت وقلت لصافي ذلك فاوصلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين يدي

الخليفة ظن امراً عظيما قد حدث فقال لي هي (١) قل. كأنه متشوف.

فقلت له ان الى عبدالحميد قاضي امير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد ادخله امير المؤمنين الى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى ان اجي ما على امير المؤمنين وانفذني الساعة قاصداً لهذا السبب فامرني ان اقول اني حضرت في مهم لا صل. قال فسكت ساعة متفكراً ثم قال اصاب عبدالحميد يا صافي هات الصندوق قال فاحضر صندوقاً لطيفاً فقال كم يجب الك فقلت الذي جبيت عام اول من ارتفاع هذه العقارات اربعمائة دينار قال فكيف حذقك بالنقد والوزن فقلت اعرفهما قال هاتوا ميزانا فجاؤا بميزان حراني حسن عليه حلية ذهب فاخرج من الصندوق دنانير عيناً فوزن منها اربعمائة دينار وقبضتها وانصرفت الى ابي حازم بالخبر فقال اضمها الى ما اجتمع للوقف عندك وفرقه في غد في سبله ولا تؤخر ذلك ففعلت فكثر شكر الناس لابي حازم بهذا السبب واقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد رضي الله عنه في انصافه

حدثني (٢) ابو الحسين علي بن هشام ابي قيراط الكاتب البغدادي قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد ابن الفرات يحدث قال كان النهيكي العامل قد لازم ابا القاسم عبيدالله بن سليمان في ايام نكبته فلم يكن لما ولي الوزارة الا الاحسان اليه فقلده بادوريا (٣) وكان لا يتقلدها الا جلة الناس ولقد

«١» م . ع » يقال عند الاغراء بالشيء هي هي« ٢ » راجع كتاب الوزراء لهلال ص ٧٦ .«٣» م . ع » طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد -

سمعت اخي ابا العباس (١) يقول انه من صلح لتقلد بادوريا صلح ان يتقلد ديوان الخراج ومن صلح لديوان الخراج صلح للوزارة .قال والسبب في هذا ان المعاملات بادوريا كثيرة مختلفة وانها عرصة المملكة وعاملها يعامل اولاد الخلافة والوزراء والقواد والكُتاب ووجوه الاشراف والرعية فاذا ضبط اختلاف تلك العادات وقام بارضاء هذه الطبقات صلح للامور الكبار.قال ابو الحسن فاقام النهيكي يتولى بادوريا نحو سنتين مدة تقلد عبدالرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج في ايام عبيدالله ثم مدة ايام (٢) ابي العباس احمد بن محمد بن ابي الاصبغ لديوان الخراج في ايام عبيدالله الى ان طلقت (٣) انا واخي وتقلد ديوان زمام (٤) الخراج وزمام ديوان الضياع وخلفته عليهما فكنا اذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب لم يجبنا ادلالاً لمحله من الوزارة وتمفيه (٥) فانه كان مشهوراً بالعفة واذا كاتبناه في شيء من امور العمل اقل الحفل بكتبنا فلما طالت المدة عليه الححنا عليه بالمطالبة برفع الحساب وشكوناه الى الوزير فوكل به من (٦) داره مستحثاً له في رفع الحساب لمدة سنين فتشاغلت انا بعمل موءامرة له فلم اجد عليه كثير تأول وحضرنا بين يدي عبيدالله لمناظرته وقد كنت صدرت اول باب من الموءامرة بانه فصل تفصيلاً عن الغلة المبيعة جملته على حسب مايوجبه التفصيل اكثر

«١» معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٦٠ «٢» الصواب تقلد «٣» م . ع » اي تركت . وله شواهد في كتب اللغة «٤» م ع : هكذا جاءت في الاصل «٥» م . ع: كذا في الاصل . ولعل الصواب تعففه : الا ان يكون من قبيل تمطى وتمطط «٦» عند هلال: من لازمه «م . ع »لعل الاصل داوره.

من الجملة التي اوردها بالف دينار فقال اتبع. فما زال يتبع الى ان صح الباب عليه وقال وما هذ: (١) غلط الكاتب في الجملة فبدأت اكلمه فاسكتني اخي واقبل على عبيدالله فقال يا ايها الوزير صدق هذا غلط في الحساب فالدنانير في كيس من حصلت . فقال له عبيدالله صدق ابو العباس والله لا وليت لي عملاً يا لص . ثم اتبعت هذا الباب بباب آخر وهو ما رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه كله في غلة عند قسمتها فلما لاحت عليه الحجة قال اريد كتابي بعينه فبدأت اكلمه فاسكتني اخي ثم قال ايها الوزير يطعن في ديوانك ونسخ الكتب الواردة والنافذة شاهدا عدل . فقال صدق يا عدو الله وامر بسحبه فسحب وما برحنا حتى اخذ خطه بثلثة عشر الف دينار واهلكناه بهذا وما عمل بعد هذا كثير عمل

« للبحث صلة ».

«١» عند هلال : وماذا يكون هذا .

درس الآداب العربية الحديثة

« مناهجه ومقاصده في الحاضر »

— نظر واقتراح —

Etude de la littérature arabe nouvelle
ses méthodes et ses buts actuels

مضى عليّ ردح من الدهر يزيد على ربع قرن وانا مجد بقدر الامكان في درس الآداب العربية الجديدة من اول القرن الحالي . وقد تحملت في درسه هذا صعوبات جمة اما خارجية عن الوضوع واما داخلة فيه ولست أعرف أيها كان اكبر عقبة لدرسي ونشاطي . منها بُعدي وانقطاعي عن ينابيع هذه الآداب الحية اي البلاد التي اهلها وحدهم خزنتها ومادتها فاني لم أزر اماكن النهضة العربية الأدبية أعني الشام ومصر الا مرة في حياتي منذ عشرين سنة وقطعت الحرب مواصلاتنا بتاتاً من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٥ تقريباً . وما وصلني طول هذه المدة من المطبوعات والرسائل لا يروي غليلاً ولا يغني فتيلا . وهذا ما دعاني لان أعتمد في درسي على خزانتي الخاصة فقط وقد جمعتها بكدّ النفس وصرفت عليها من كدّي مصاريف ليست قليلة ومع هذا فهي لا تغني عن الخزائن الشهيرة في بلاد العرب ولا سيما معاشرة أفاضلها وأساتذتها وهم انفسهم تاريخ هذه الآداب ولا يستعاض عنهم بالكتب والمخطوطات . والصعوبة الثانية ناشئة من الآداب العربية ذاتها وهي قلة العناية بتاريخها العلمي وندرة الأبحاث المخصصة لها وعدم الطبعات المحصة لتآليف جهابذتها وأركانها مشفوعة بالحواشي والشروح الموضحة للموضوع من كل وجه على العادة الجارية في اللغات الاوربية . ومهما يكن من الامر وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي لا محل لتدوينها برمتها هنا فلم آلُ جهداً في بحثي ودرسي راجياً ان ينتفع بثمار أتعابي من يسير على آثاري .

ولقد تراكمت لديّ في هذه المدة بعض الملاحظات والأفكار التي لها علاقة بمنهج درس الآداب الحديثة ولا سيما في الشرق العربي وأردتُ الآن ان أطرحها على بساط

البحث كما يقولون لينظروا فيها بعيني الانتقاد من هم أقدر مني من أصحاب الامر. فصاحب البيت بالطبع أدرى بما فيه من المتطفل مثلي على مائدته .

ولسائل ان يسألني لماذا أتكلم في الآداب الحديثة فقط وأفرق بينها وبين القديمة او المدرسية حسب الاصطلاح الجديد المصيب . فأجيب على هذا السؤال ليس الفرق بينها في منهج درسها لان عامة الآداب في كل الامم القديمة المنقرضة او الجديدة الحية يجب ان يكون درسها على طريقة واحدة وحسب منهج علمي واحد . وهذا مما لا يشك فيه من له أدنى إلمام بحالة الدروس الادبية في الغرب . وعليه فلا أفيض في الآداب العربية المدرسية لان درسها قد أصبحت طريقه مهيعاً فلا خوف عليه من الضلال والاضمحلال في الغرب او في الشرق . فترى في كل البلاد المتمدنة خزائن الكتب والمخطوطات المرتبة المنظمة . والقاهرة او بيروت اودمشق من أحسن الدلائل على علو الهمم في ادارة الامم . وقد جمعت هذه المجموعات طرفاً حسناً من تراث اجدادهم ورتبته أحسن ترتيب . اما فهارس المخطوطات فقد صارت تطبع في بلاد بعيدة عن هذه الأمصار التي لها الرياسة في النهضة الادبية . وقد رأينا فهرست مخطوطات الموصل لداود الچلبي الذي لم يكن يخطر على بال احد صدوره منذ عشرين سنة . ومن جهة الأبحاث المخصصة لا تضعف همة الشرقيين والغربيين بل هم يتنافسون فيها نعم التنافس ولا حاجة الى ذكر الأمثال التي تبشر بالمستقبل الحسن لهذه الدروس . وكُتُب طه حسين عن الأدب الجاهلي وعبد العزيز الميمني في ابي العلاء بين أيدي محبي الآداب القديمة . اما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لائقة بها ولا اهتماماً بجمع مآخذها وموادها في الغرب ولا في الشرق . ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطورة الحال لان الفرصة التي تفوت لا ترجع مدى الدهر مرة أخرى .

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز إفراد طور مخصوص نسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة للأطوار المتقدمة ولا فرق بينهما . ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الأطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطر . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي وبخيوط لا ترى ولا حدّ محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين مناهج درسه . ومع ذلك فانا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره

المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لأطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الأطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الإجمالي . ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدئ من نقطة محسوسة معينة بل يتدرّج عما قبله تدريجا . وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخية حداً لطور ما ولا سيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسويين على مصر بقيادة نابوليون التي جرت على الشرق العربي نتائج جمة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها أدبية ووصلته باوربا بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربا قبل القرن التاسع عشر بكثير الا انها توطدت بعد فتح المدارس المتنوعة وخصوصاً في لبنان وبيروت . وهذا مايدعونا لان نبتدئ بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم ننس ما قلناه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الاطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها . وسنهتم في بحثنا الآتي بالمسألة من ثلاثة اوجه تكون مصدر أفكارنا وهي اولاً قلة الأبحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . وثانياً أحوال الابحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . وثالثاً تنوّع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في العلم الحاضر .

ولا حاجة هنا الى وصف احوال البحث في الآداب العربية الحديثة فانها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالاعتناء بها قليل بالنسبة الى درس الآداب المدرسية . ولا غرابة في ذلك فان الانسان في كل زمان ومكان مولع بقديمه اكثر من حديثه فلا يرى هذا جديراً بالدرس كالشيء العادي اليومي لاقيمة له وكم رأينا في الشام من البعثات العلمية والاثرية تنقب عن آثار المصريين والاشوريين والحثيين ولم نر الا نزراً قليلاً منها خاصاً بآثار الدور الاسلامي وهذا ما نراه في دروس الآداب . ولا فرق في ذلك بين الشرق والغرب . ولا نعرف بين علماء اوربا على كثرتهم وتنوّعهم الا اختصاصياً واحداً درس الآداب الحديثة بكل دقة وإمعان الا وهو مارتين هارتمان الالماني المتوفى منذ عشر سنين وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامفماير الالماني . ولذلك نرى في المانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد والمجلات لها علاقة

ببعض كتبة العصر او بعض الظواهر الادبية بين أبناء العرب · اما البلدان الاخرى فلا نعرف فيها الا عالماً واحداً ساح وتجوّل في اماكن النهضة الادبية بين العرب وشغف بها وأنفق جانباً من وقته وأتعابه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي · وعلى قلة المهتمين بهذا الموضوع يرى كل ناظر متأمل ان علماء اوربا في الصف الاول من القرن الماضي كانت رغبتهم في معرفة الظواهر الأدبية وتعريفها لعالم العلم والأدب أقوى وأشد فان الاساتذة رينو في فرنسا او فليشر في المانيا لم يفتهما شيء تقريباً من آثار النهضة الأدبية من الجرائد الحديثة العهد في وقتها او اعمال المجامع المؤسسة حديثاً · فلا غرابة في ذلك فان قلة هذه الآثار على عهدهما سهلت كثيراً تدوينها ونقدها · اما الآن وقد تنوعت وتكاثرت ظواهر الأدب وآثاره فلا يسعنا الآن نحكم على علماء اوربا ومستعربيها بقلة الاهتمام بهذا الموضوع وهذا ما شكا منه مراراً الاستاذان كامفاير وجيب ·

فلو رجعنا بعد ما قلناه الى أحوال درس الآداب الحديثة في بلاد العرب لرأينا صورة وان كانت أحسن مما سبق بقليل لكنها ناقصة من عدة وجوه · ولا ينكر احد ان اللغة العربية حائزة الآن بعض النظرات الإجمالية اولها حسب وقت ظهورها كتاب الأب لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر وثانيها الجزء الرابع من تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان وثالثها تاريخ الصحافة العربية لفيليب طرازي ولكل من هذه الكتب فضائل ونواقص هي تحت نظر كل محب لتاريخ الآداب · وقد كُتب عنها ما يغني عن الإسهاب في هذا المحل · وربما كان أحسنها ترتيباً وأغزرها مادة تاريخ الصحافة العربية لان صاحبها حدّد الموضوع وأسند كل شيء الى مأخذه · ولا ينقصه الا عدم إتمامه حتى الآن · ولو كمل هذا الكتاب لسدّ ثغراً في معارفنا بيناً · ومن هذا القبيل تكون اللغة العربية أغنى من اللغات الاوربية إجمالاً · اما من جهة الابحاث الخصوصية فهي قليلة وليست على غاية ما يطلبه الآن المنهج العلمي الدارج في اوربا · ولا نستثني من ذلك الا شيئاً يسيراً كأبحاث السيدة (ميّ) عن باحثة البادية وعائشة التيمورية اوتاريخ حياة طاهر الجزائري بقلم محمد كرد علي وغيرها · اما ما بقي من الكتابات فليست الا نظرات انتقادية او تقاريظ دعت اليها الحياة اليومية وهي تزول مع مرور

الايام وان كانت في بعضها موادّ للدرس العلمي الخطير التي تفيد بعد البحث العلمي ·

هذه الأحوال التي نشاهدها في درس الآداب العربية الحديثة تضطر كل عالم باحث يشعر بالتبعة الملقاة على عاتقه الى ان لا يضيّق حيّز بحثه بما تحنو به اللغة العربية بل يدرس بامعان ودقة حال دروس الآداب الحديثة في اللغات الأخرى وان كانت بعيدة عن العربية لكي يتعمق في أسباب تقدمها او تأخرها ويقتبس من مناهجها وأساليبها ما كان نافعاً ومناسباً للغته وآدابها · وللحقير من هذه الجهة مركز خاص ربما يجعله أسعد حظاً من علماء اوربا في الممالك الاخرى · فليست اللغة الروسية غنية بآدابها فقط بل وبعلمائها النظر بين الباحثين في تاريخ الآداب الذين تعد تآليفهم من أحسن ما كُتب في هذا الموضوع في عالم العلم · وفي روسيا من جهة أخرى شعوب كثيرة لم تبتدئ درس آدابها الا من عشرات من السنين وبين يديك لغة الروسيا البيضاء وآدابها وهي وان كانت عريقة في القدم لم يبتدئ طورها الجديد الا منذ نصف قرن ولم يبتدئ درسها المرتب العلمي الا منذ عشر سنين بعد تأسيس دائرة ترقي التمدن في الروسيا البيضاء التي تحوّلت حديثاً الى اكادمية العلوم التابعة للروسيا البيضاء · ونرى في بلادنا بعض الدوائر الخاصة لدرس الآداب الحديثة والمتاحف المهتمة تجمع كل ما له ادنى علاقة بالموضوع وتدوينه وترتيبه وإعداده للدرس العلمي · ولا شك ان تجارب هذه الأمم ودوائرها العلمية مما يفيد كل عالم مدقق يحب ترويج الدروس في تاريخ آداب لغته من اي بلد اولغة كان · خصوصاً علماء العرب او المستعربين الذين ليس للغتهم أمثلة هذه الدوائر اوالاهتمام بالمناهج الراقية ·

وهذه المناهج هي مصدر لبحثنا الثالث كما قد سبق لنا ذكره · ولسنا نطلب من كل باحث في تاريخ الآداب ان يكون له اقل إلمام بكلّ من هذه المناهج على كثرتها وتنوعها لان هذا يحتاج الى وقت طويل ودرس خصوصي لا يحتمله الا علماء النظريات · ومما لا شك فيه ان الباحث الذي يريد ان يكون عمله على مستوى ماتطلبه حالة العلم الحاضرة لا مندوحة له من ان يتعرف الى بعض التآليف البارزة التي تعد من أجمل الأمثلة في لغاتها · هذا أقل ما يطلب منه وبهذا المذهب من المطابقة يرى كل باحث ما ينقصه ويتمكن في طريقه السديد · اما المناهج التاريخية الادبية فكثيرة في اوربا الحاضرة منها

العلمية المحضة ومنها ما لها صبغة من علم تمييز الحُسن او علم الأخلاق او علم الصحافة . وان كان التعارف بجميعها نافعاً لدرس الآداب العربية الحديثة ولا سيما وهي تُعنى في حالتها الحاضرة بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنيـة . ولسنا نعني بالمذهب الاشتراكي معناه السياسي بل المذهب الادبي التاريخي الذي يطلب ان يدرس الباحث كاتبه كالجزء الذي لايتجزأ من المجتمع الانساني المشترك معه في كل تقلباته وان يدرس بيئته التي خرج منها وكل ما له علاقة بالمجتمع الذي عاش فيه وكل ظواهر الحياة التي تأثر منها او الزمان الذي كان عاملاً فيه . اما مذهب درس الصورة الفنية فهو يجعل نقطة الدائرة درس صورة التـأليف وأساليب المؤلف الفنيـة وطرائقه لتجسيم افكاره وتخيلاته وكل ما يتعلق بصورة التأليف الظاهرة من وزنها وقافيتهـا او المحاسن اللفظية والمعنوية . ولا يخفى على احد ان هذه المذاهب كلها كانت مستعملة في درس تاريخ الآداب العربيـة منذ القديم ولكن استعمالاً سطحياً لم يمنّ لفكر الباحث الا بالصدفة او تواتر الافكار بدون سابق المعرفة بتجارب غيرها من اللغات . وهذا التعارف يسهل العمل وينجينا من غلطات المتقدمين ولا يوقعنا في الورطة التي وقعوا فيهـا . ولا حاجة لنا الى التعمق في المجادلات التي ترتبت على قيمة هذه المذاهب التاريخية الادبية ومطابقاتها وتهافتها — المجادلات التي تكثر في الدوائر العلمية الاوربية : لان كل مذهب حسن اذا كان الباحث غير متطرف في استعماله ولا يضيق بحثه بحدود ضيقة ناشفة . ولا ننسى ايضاً ان تاريخ الآداب العربية الحديثة في أحوالها الحاضرة أحوج الى جمع المصادر والمآخذ المنتشرة في كل قطر ومصر من كلام تافه في قيمة المناهج والمذاهب .

اما الآن وقد أنهينا تمهيداتنا في كيفية الطريق المؤدي الى درس الآداب العربية الحديثة فلنخرج الى بث نتائجنا في هذا الموضوع . وبعد لايخفى على كل من له إلمام بالبحث التاريخي الأدبي ان عمله ينقسم الى ثلاثة أقسام متتابعة في الزمان : اولها جمع المواد ثانيها ترتيبهـا واختيارها وثالثهـا الدرس بمعناه الخصوصي وهو يحتوي خلا نقد المواد المجموعة واختيارها كتابة نتائج أفكار الكاتب في قالب مقالة او نظر إجمالي او تاريخ حياة المؤلف المترجم عنه وهلم جرّا . ولا يخفى ايضاً ان هذه الاقسام او المراتب باقيـة هي ذاتها في عمل شخصي او في اعمال المجمع المختص بدرس تاريخ الآداب او الدائرة ال

أنشئت بسببه . وكل هذه المراتب لها فروع ودرجات لا تحصى . ولنسأل اولا ما ذا عُمل حتى الآن وما ذا بقي ان يُعمل في المرتبة الاولى اي في جمع المواد . وقبل ان نتعمق في هذا الموضوع يلزمنا ان نحدد ماذا نعني بمواد البحث او مصادره او مآخذه او ينابيعه كما يقول علماء اوربا . ولسنا نعني بالمصادر كل ما كتب المؤلف او طبعه فقط بل و كل ما كُتب عنه وما له ادنى علاقة بحياته او تآليفه من انتقاد وتذكار ورسائل كتبت اليه ورسائل صدرت عنه بل وكل آلة من آلاته كقلمه او دواته او كرسيه الذي كتب كُتبه قاعداً عليه . بل وكل صورة تمثله في أطوار حياته او تمثل اعضاء عائلته وكل تصوير يسهل لنا تخييل محل عمله او يفسر صفحة من تأليفه وهكذا الى النهاية . ولا تنحصر المآخذ في لغة واحدة بل يلزمنا ان نجمع كل ما كُتب عن مؤلفنا في كل لغة فقد يوجد فيها ما لا وجود له في لغته من تذكرات المعاصرين له من الامم الأخرى ولهذا مكانة عظيمة . هذا فؤاد البستاني قد وجد عند لامرتين شاعر فرنسا الشهير ذكراً لناصيف اليازجي يمثله لنا في وقت شبابه تمثيلاً ما كنا نتصوره . وقد رأيت شيئاً كثيراً من سيرة محمد عياد الطنطاوي في يوميات فالين السائح الفنلاندي تصف لنا حياته ودروسه ايام إقامته في بطرسبرج . ويلزمنا ايضاً ألا يفوتنا شيء من آثار لها علاقة بالمؤلف فالكتابة على قبر الطنطاوي مثلاً أوضحت لنا مشكلة في تاريخ موته وهو يختلف عما في الأوراق الرسمية .

ومما تقدم يتضح لنا وضوحاً تاماً ان جمع المصادر لتاريخ الآداب العربية الحديثة لم يخرج حتى الآن في البلاد العربية والغربية من حيز العدم . وان خزائن الكتب والمخطوطات جمعت طرفاً حسناً من مؤلفات المتقدمين من الكتبة والعلماء اما تآليف العصريين فلم تدخل فيها الا بطريق الصدفة ولم يكن لها من الاهتمام نصيب . وليس من المجاميع على ما نعلم الا مجموعة واحدة تستحق الذكر والثناء هي مجموعة الصحف والمجلات التي جمعها فيليب طرازي وهي التي أيدته في تأليفه الخطير عن تاريخ الصحافة العربية وقد خرجت من بلاد العرب وهاجرت الى مدينة هامبورغ من المانيا . وعلى مثل هذا الطريق يلزمنا ان نجمع كل ما له علاقة بكتبة القرن التاسع عشر والعشرين حسب فهم معنى المصادر المشروح آنفاً . وليس من الحكمة ان نحصر مجهودنا في الاعمال الشخصية فقط

بل من الضرورة إثارة الرأي العام في هذا الصدد ببث الرسائل الخصوصية ونشر الاعلانات وإرسال البعثات العلمية الى أماكن حياة الكتبة المشهورين لجمع ما بقي من كتاباتهم في أيدي الافراد وجمع التذكرات من أفواه معاصريه · ويجب ارسال هذه البعثات العلمية ايضاً الى خزائن الكتب المشهورة في الشرق والغرب لدرس مايوجد فيها من آثار الآداب العربية الحديثة ·

ومما لا شك فيه ان كل الأعمال يجب اجراؤها حسب اللائحة المخصوصة المرسومة بايدي الاختصاصيين في هذه الدائرة الذين لهم إلمام بمناهج البحث الأدبي التاريخي · ويجب ان يذكر في هذه اللوائح كل الاصناف من المصادر التي يهم العلم جمعها ودرسها وتذكر ايضاً المسائل الخاصة المتعلقة بالكتب المعينة او التآليف المفقودة التي يجب البحث عنها او النقط غيرها التي يهم درسها وتوضيحها · وانتشار هذه اللوائح وسط الدوائر العلمية او المدارس الوسطى والعليا يعود بنفع على تاريخ الآداب الحديثة ·

بجمع المآخذ يتعلق تدوينها وترتيبها تسهيلاً للابحاث العلمية · وهذا العمل الشاق متنوع تنوعاً ليس باقل من الاول والتالي · ولسنا نعني به الفهارس البسيطة السطحية أمثال فهارس القسطنطينية او المكتبة الخديوية القديمة بل نعني وصفاً دقيقاً علمياً يصور لنا الآثار من كل جهاتها وبكل دقائقها لكي نعلم قبل النظر اليها هل نجد فيها شيئاً يفيدنا في البحث الذي يهمنا في الوقت الحاضر · وليس تدوين المصادر محصوراً على ما يوجد في المحل الفلاني فقط بل من الضرورة جمع الأخبار عن كل ما له علاقة بالآداب الحديثة في بلدان مختلفة وخزائن غريبة ومجلات متنوعة في اللغات الغربية · مثال ذلك ان مكاتيب الطنطاوي وجدناها في مدينة هيلسنغفورس عاصمة فنلاندا وبعضها في قازان عاصمة الجمهورية التتارية · ولا تمس الحاجة الى تكرار معنى المآخذ ووجوب تدوين كل ما يوضح لنا شخصية المؤلف او يفسر تآليفه من الصور والآلات وأثاث المنزل وليس هذا العمل مما يسعه علم عالم فرد بل هي من واجبات الدوائر المخصوصة المؤسسة في بلدان مختلفة والمرجو تأسيسها في بلاد العرب ·

ومن مقدمات الدرس بعض الأعمال الاولية التي لها علاقة بتدوين المصادر كقاموس الكتبة في القرنين التاسع عشر والعشرين مع ترجمة حياة كل واحد منهم

مختصرة وفهرست تأليفاته وذكر المصادر والمآخذ المهمة ولنا مثال حسن في تأليفات يوسف سركيس والزركلي الشهيرة ولكنها لاتمثل الا خطوة اولى في هذا الطريق و يجب تدقيقها وترقيتها لكي بصير في الآداب العربية الحديثة كتاب مثل كتاب بروكلمان الألماني عن الآداب العربية في القرن الوسطى · ومن العدالة ان لايختصر القاموس على أسماء المؤلفين الذين قد انتقلوا الى عالم البقاء بل يدخل فيه معاصرونا الاحياء ممن يكون لهم شأن في المستقبل · وأحسن طريق الى جمع الاخبار عنهم ارسال اللوائح المخصوصة المشتملة على الاسئلة المعينة على نحو ما عمل و ينغاروف العالم الروسي الذي اصبحت مجموعته من أمتن أساس تاريخ الآداب الروسية الحديثة · ولنا مثال أقرب من هذا في سعي كامفماير العالم الالماني المذكور وبنشره بعض تراجم حياة شعراء العصر المكتوبة باقلامهم إجابةً لسؤاله وكل ذلك من أوثق المصادر وأصدقها التي يصعب الوصول اليها بعد فوت الفرصة · ومن قبيل المعاجم التي تسهل الأبحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت بين كتبة العرب ولا سيما في قرننا هذا انتشارها بين أدباء اوربا · وهذا المعجم لا يتسنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتبة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء تتلاشى بمرور الايام · وان كنا نعرف نحن ان المصري الفلاح مؤلف رواية زينب الفريدة في بابها هو الكاتب الشهير محمد حسين هيكل فلا يتيسر معرفته لابنائنا ان لم نثبت هذا في كتاب ما · ومن قبيل الاعمال الاولية ايضاً جمع الاخبار عن كل ما يتعلق بالكاتب المفرد او العصر المعين او الطور المخصوص وعن كل ما كُتب فيه او طُبع في وقته · وأحسن طريق لتدوين هذه المواد تقييد ملاحظة واحدة او مصدر منفصل على قطعة من الورق الغليظ مفردة لكي يسهل فيما بعد ترتيب هذه الملاحظات على اي نسق أريد · وهذه الفهارس يجب حفظها في محل خاص لكي لا يعسر الرجوع اليها لكل من يريد جمع المواد لدرس معين ·

وتحتوي هذه المرحلة من الدرس ايضاً على طبع المؤلفات للكتبة المشهورين النقدي العلمي وجمع كل المؤلفات المتفرقة في المطابع او المجلات لكاتب واحد · وليس هذا بالامر اليسير كما يتوهمه من اول نظرة من لم يكابده فالطبع العلمي النقدي يحتاج الى مقابلة النسخ المعروفة والى تثبيت نص التأليف في كل تدقيقاته حسب مخطوطات المؤلف ان هي

بقيت الى يومنا وحسب كل طبعات بعد المقابلة الدقيقة بامعان النظر . وليس لدينا كتاب واحد مطبوع على هذه القواعد . وهذا مما يعرقل كل درس وكل عمل في حيز الآداب العربية وقد تحملنا مشاق جمة وقت ترتيب المواد لنشرتنا المنتخبات العصرية لانا لم نقدر ان نثبت على اليقين هل في كتابة لفظة او جملة على الطريق غير الاعتيادي غلط مطبعي وكتابة مخصوصة معتمدة من المؤلف نفسه . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يكون اساس لدرس كل المسائل المتعلقة بنص المؤلف كتاريخ اللغة في عصره او اختراع مصطلحاتها او ايضاح المناهج الفنية . ولذلك يجب ان يكون طبعه ملحقاً بالحواشي والشروح التي لا تترك محلاً للشبهة في فكر قارئه او دارسه وتبين له كل جليلة ودقيقة تستحق الذكر . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يجب ان يكون ظاهراً الى عالم الوجود في احسن صورة ولذلك يهم الاعتناء بحسن حروفه واتقان طبعه من هذه الجهة .

ولا نقدر ان نستوعب ذكر كل ما يتعلق بالاعمال والدروس بهذه الدرجة الثانية من البحث العلمي درجة الترتيب والتدوين . اما الدرجة الثالثة وهي الأهم من بين الثلاثة لانها تبرز فكر العالم الباحث الى حيز الوجود فتحتوي ايضاً على الاصول والفروع التي لا طاقة لنا في تعديد كل مفرداتها . ويدخل فيها مقالات مخصصة لدرس الكاتب المعين او بعض أطراف من عبقريته او تأليفه الواحد كما تدخل ايضاً نظرة إجمالية في طور من الأطوار او في كل تاريخ الآداب العربية الحديثة . وغني عن البيان ان هذه المرتبة تحتاج احتياجاً كلياً الى معرفة مناهج درس تاريخ الآداب العلمية وقد سبق لنا ذكر المناهج التي لها ادنى علاقة على ظننا بدرس الآداب العربية الحديثة وهي المذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية ولا لزوم الى اعادة ماقلناه عن هذه المناهج او غيرها . ولا ضرورة الى تعديد كل الموضوعات المختصة بتاريخ الآداب التي تدخل في الدرس وهي اكثر من ان تعد وتحصى . فمن أهم الدروس بحث أحوال العمل وكيف ونظريته في مسائل الآداب ونفسية التأليف وانعكاس بيئته في تأليفه او امانيه فساله في المستقبل . اما من جهة الصورة الفنية ففي المحل الاول تحل درس فضائل صناعته او نقائصها من كل وجوهها . ولا يختصر درس الآداب بدرس الفن الجميل فقط بل يدخل فيه فروع أخرى ايضاً كتاريخ الانتقاد الحديث او تاريخ الصحافة وقد

أتحفنا فيليب طرازي بنموذج حسن من هذا القبيل . ولدروس هذه المرتبة علاقة وثيقة بالكتب المؤلفة لنشر معرفة الآداب الحديثة او أفرادها الكرام ولهذه الكتب مكانة لا يستهان بها فانها تروج دروس الآداب ولا سيما بين النشء الجديد وتشوقه الى هذه المسائل . ونعمت الفكرة فكرة فؤاد البستاني في روائعه فقد اعطانا خير كتاب عمومي عن اليازجي والبستاني الكبير وولي الدين يكن . ونعمت فكرة ادارة مطبعة الوفد فقد أتحفتنا بكتاب في الشعر النسائي العصري يمثل لنا كبيرات نجومه . ومن هذه الجهة تنفع الدروس كتب المنتخبات بالحواشي والتراجم كمثل مختارات المنفلوطي وقد أدخل فيها قسماً صالحاً من تآليف العصر وكنا نودّ لو طبعت منتخبات من تآليف كل كاتب مشهور كما نرى امثالها في اوربا عشرات كل سنة وكما فعلت ادارة الهلال في مختارات جرجي زيدان .

اما الآن وقد وصلنا الى خاتمة مجالتنا فلم يبق لنا الا ان ننظر الى نتيجتها النهائية وهي جلية لكل متأمل جلاء واضحاً ونقول لا يسع عالماً واحداً مهما علت همته اوقويت قريحته اوحسنت أحواله ان يأخذ على عاتقه كل الاعمال المشروحة اعلاه وحالة الدروس الحاضرة عن تاريخ الآداب العربية الحديثة كما رأيناه فعليه يتراءى لنا دواء هذه الاحوال في تأسيس دائرتين مخصصتين لهذه الأعمال . اولاهما المتحف الخصوصي الحاوي لكل ما يتعلق بمصادر تاريخ الآداب العربية الجديدة . وله المثل الأعلى في المتحف المسمى ببيت بوشكين التابع لأكاديمية العلوم الروسية وهو المتحف الذي أسس سنة ١٩٠٧ على اسم الشاعر الرومي الشهير الذي يعد اباً لكل الآداب الروسية الجديدة . وهذا المتحف لا يحتوي على كل ما يتعلق ببوشكين فقط بل و بسلفه الأدبي وبكل تلاميذه في الأدب وكل مقلديه من زمانه الى ايامنا هذه . وهذا المتحف ينقسم اقساماً منها قسم الكتب الجامع لكل الطبعات من الشعراء والكتبة الروسيين وكل ما كُتب عنهم من انتقاد وتاريخ حياتهم وتذكرات معاصريهم ومجلات زمانهم وجرائدهم . ومنها قسم المخطوطات الحاوي تركات الكتبة ومخطوطاتهم ومسوداتهم ومكاتيبهم منهم واليهم . ومنها المتحف بالمعنى المعتاد وهو يحمل صور المؤلفين وتصاوير تفسر حياتهم وتآليفهم وعلى الآلات الباقية منهم التي تصور لنا اشغالهم وحياتهم الشخصية . ومنها قسم المراجعات والاستدلالات . وفيها

فهارس كل ما هو معروف عن الكاتب المفرد وتآليفه ووقته وعدة من المجموعات التي تسهل الدرس لكل من له همة في ذلك . ووصف هذا التحف بكل دقائقه يطلب محلاً واسعاً ويحتاج الى تأليف سفر قائم بذاته . وقد ألّف بعض الكتب في المعنى في اللغة الروسية والفرنسوية قد بعثت بشيء منها الى المجمع العلمي الموقر . ولكن التحف وحده لا يكفي لترويج درس الآداب الحديثة ولذلك نقترح تأسيس دائرة مخصوصة ثانية الى جانبه تعنى بدرس الآداب حسب الاوجه الثلاثة المشروحة آنفاً وحسب اللائحة المفصلة . وهذه الدائرة تكون مستقلة كالانستيتوت ضمن الدوائر العلمية غيرها او تكون تحت ادارة المجمع العلمي العربي او تكون قسماً منه يهتم بدرس الآداب العربية الحديثة خصوصاً . وكل هذه المسائل في ماهية الدائرة يلزم البحث عنها بكل امعان ودقة بين العلماء المشتغلين بالموضوع اذا صادف الفكر وجه استحسان بين الاختصاصيين .

هذا ما أردنا بثه وسرده وهذا قليل بل أقل من القليل في الطريق الموصل الى المقصد الأسنى البعيد الذي لا وصول اليه الا بالرسم المرسوم وبذل المجهود من العلماء المختصين . وليس هذا الا جزء من الافكار والآراء تراكمت لدى هذا الحقير وقت درسه للمسائل المتعلقة بتاريخ الآداب العربية الحديثة منذ ربع قرن . ولأعضاء المجمع العلمي العربي الموقرين ان يصرحوا برأيهم في الاقتراح اذا رأوه مما يستحق الذكر . ونلتمس من قراء المجلة الفضلاء الذين لهم اليد الطولى في هذه المسائل ان يبدوا ملاحظاتهم وتعاليقهم فباصطدام الآراء تنجلي الحقيقة ، وربما نتوفق في سعينا الى ترويج درس الآداب العربية الحاضرة ويكون في ذلك امتزاج همة الشرق وتجاريب الغرب المؤدي الى نهضة العرب العلمية الأدبية التي هي ضالتنا .

كُتب في أسكي قريم : ا . كراتشقوفسكي
عضو المجمع العلمي العربي

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

— ٣ —

(احاطة الوجود وسعته) : وذهب الى سعة في وجود الواجب (ي الله) واحاطة معنوية تامة تشمل الكون باجمعه ولا يشذ عنه شيء وهذا الرأي يوضح مذهب صدرالدين في القوة المبدعة (اي الله) كما انه يوضح معنى وحدة الوجود .

قال في كتابه (شواهد الربوبية) الاشراق العاشر في انه جل اسمه كل الوجود قول اجمالي كل بسيط الحقيقة من جميع الوجوه فهو بوحدته كل الاشياء والا لكان ذاته متحصل القوام من هوية امر ولا هوية امر ولو في العقل (قول تفصيلي) اذا قلنا لانسان يسلب عنه الفرس اوالفرسيّة فليس هو من حيث هو انسان لافرس والا لزم من تعقله تعقل ذلك السلب اذ ليس سلباً بحتاً بل سلب نحو من الوجود فكل مصداق لايجاب سلب المحمول عنه لايكون الا مركباً فان لك ان تحضر في الذهن صورته وصورة ذلك المحمول مواطأة او اشتقاقاً فتقايس بينهما وتسلب احدهما عن الآخر فما به الشيء هو هو غير مابه يصدق عليه انه ليس هو فاذا قلت زيد ليس بكاتب فلا يكون صورة زيد بما هي صورة زيد ليس بكاتب والا لكان زيد من حيث هو زيد عدماً بحتاً بل لا بد وان يكون موضوع هذه القضية مركباً من صورة زيد وامر آخر به يكون مسلوباً عنه الكتابة من قوة او استعداد . فان الفعل المطلق لايكون هو بعينه من حيث هو بالفعل عدم فعل آخر الا ان يكون فيه تركيب من فعل وقوة ولو في العقل بحسب تحليله الى مهيّة ووجود وامكان ووجوب واجب الوجود لما كان مجرد الوجود القائم بذاته من غير شائبة كثيرة اصلاً فلا يسلب عنه شيء من الاشياء لانه تمامها وتمام الشيء احق به واوكد له من نفسه واليه الاشارة في قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (مامن نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم) فهو رابع الثلاثة وخامس الاربعة وسادس الخمسة لانه بوحدانية

كل الاشياء وليس هو شيئاً من الاشياء لان وحدته ليست عددية من جنس وحدات الموجودات حتى يحصل من تكررها الاعداد بل وحدة حقيقية لامكافي لها في الوجود ولهذا كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولو قالوا ثالث اثنين لم يكونوا كفاراً . ومن الشواهد البينة على هذه الدعوى قوله تعالى (هو معكم اينما كنتم) فان هذه المعية ليست ممازجة ولا مداخلة ولا حلولاً ولا اتحاداً ولا معية في المرتبة وفي درجة الوجود ولا في الزمان ولا في الوضع تعالى عن ذلك علواً كبيراً هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . ونسب اليه هذا الرباعي :

مجموعهٔ كونين باشين سبق كرديم تفحص ورقا بعد ورق
حقا كه نخوانديم ونديديم دراو جزذات حق وشئون ذاتيه حق

اي تصفحنا صفحات الوجود ورقاً بعد ورق حقاً ما تلونا وما رأينا فيها الا ذات الحق تعالى وشؤون ذاته الحقة .

ونسب اليه هذا البيت ايضاً :

وما الناس في التمثال الا كثلجة وانت لها الماء الذي فيه (١) نابع

وهذا الرأي ايضاً يشبه مذهب (باسكال) السابق الذكر(٢) .

وهذا المذهب كمذهب الماديين وان في المادة مبدأ مديراً هو الله وان عنصر النظام الذي نعثر عليه في نواحي المادة هو الله و يشعر بل ينص بقدم المادة وازليتها لان المبدع ليس منفصلاً عنه وان كان ارتباطه بطريق مجهول . بقي شيء : وفرق بين المذهبين مذهب صدر الدين ووحدة الوجود ومذهب الماديين وهو ان الماديين ينكرون الشعور العام المسمى بالعلم وينكرون وجود الغاية والحكمة في خلق الكون واجزاء العالم ونواميسه الجارية ولكن صدر الدين يثبت العلم والغاية في كليهما في الوجود .

(مذهب صدر الدين في علم الباري تعالى) : من اعوص مسائل اللاهوت التي شغلت حيزاً من افكار الفلاسفة من اقدم عصور الفلسفة هي مسألة علم الباري (الله) اضطربت

(١) وجدنا البيت بنصه المنقول ولكن ضمير التذكير لا يستقيم الا بارجاعه الى التمثال .
(٢) ولد باسكال في كليرمون في ١٨ يونيه سنة ١٦٢٣م وتوفي سنة ١٦٦٢م .

فيه الآراء واختلفت المذاهب حتى بلغ اصول المذاهب الفلسفية في العلم الى ثمانية اقوال وآراء لان علم الواجب على المبادي الفلسفية لا يقاس بعلم الممكن ولما فكر صدر الدين في مذاهب الفلاسفة المتقدمين في العلم فوجدها لا تزيح النقاب عن وجه الحقيقة كما يريد — سلك مسلكاً في العلم يتصل الى مسلك وحدة الوجود ولكن العصر لم يكن يسمح له بالتصريح به خوفاً من الاضطهاد الديني ذكر (١) مذاهب المشائين وابي نصر وابن سينا و بهمينار (٢) مذهب الاشراقيين والسهروردي صاحب حكمة الاشراق (٣) مذهب المعتزلة (٤) مذهب فرفوريوس وقال ان لكل من هذه المذاهب الاربعة وجهاً صحيحاً لعلمه التفصيلي وقال ولا الذي استراحت اليه قلوب المتأخرين من العلم الاجمالي ·

بل كما علمنا الله سبحانه بطريق اختصاصي سوى هذه الطرق المذكورة ولا ارى في التنصيص عليه مصلحة لغموضه وعسر ادراكه على اكثر الافهام ولكني اشير اليه اشارة يهتدي بها اليه من وفق له وهو ان ذاته في مرتبة ذاته مظهر لجميع صفاته واسمائه كلها وهو ايضاً مجلاة يرى بها وفيها صور جميع الممكنات من غير حلول ولا اتحاد اذ الحلول يقتضي وجود شيئين لكل منهما وجود يغاير وجود صاحبه والاتحاد يستدعي ثبوت امرين يشتركان في وجود واحد ينتسب ذلك الوجود الى كل منهما بالذات وهناك ليس كذلك كما اشرنا اليه بل ذاته بمنزلة مرآة ترى فيها صور الموجودات كلها وليس وجود المرآة وجود ما يتراءى فيها اصلاً (اشارة تمثيلية) واعلم ان امر المرآة عجيب وقد خلقها الله عبرة للناظرين وذلك ان ما يظهر فيه و يتراءى من الصور ليست هي بعينها الاشخاص الخارجية كما ذهب اليه الرياضيون القائلون بخروج الشعاع ولا هي صور منطبعة فيها كما اختاره الطبيعيون ولا هي موجودات عالم المثال كما زعمه الاشراقيون فان كلاً من هذه الوجوه الثلاثة مقدوح مردود بوجوه من القدح والرد كما هو مشروح في كتب الحكماء بل الصواب ما اهتدينا اليه بنور الاعلام الرباني الخاص وهو ان تلك الصور موجودات لا بالذات بل بالعرض بتبعية وجود الاشخاص المقترنة بجسم مشف صقيل على شرائط مخصوصة فوجودها في الخارج وجود الحكاية بما هي حكاية وهكذا يكون وجود الهيآت والطبائع الكلية عندنا في الخارج فالكلي الطبيعي اي الماهية من حيث هي موجودة بالعرض

لانه حكاية الوجود ليس معدوماً مطلقاً كما عليه المتكلمون ولا موجوداً اصلياً كما عليه الحكماء بل له وجود ظلي الخ ·

« ايضاح هذا المطلب يتم بعدة مقدمات »

(الاولى) ان علم الباري يمثل بعلم النفس بذاتها فان العلم والمعلوم هناك واحد فالنفس عالمة ومعلومة والعلم ايضاً قائم بها ·

(الثانية) ان وجود الباري ببساطته لا يشاب بعدم ونقص وله كمال لا نهائي فارفع درجات العلم واكملها موجود هناك ولا يشوبه غيبة شيء ولا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اذ لو بقي شيء من الاشياء ولم يكن ذلك العلم علماً به لم يكن صرف حقيقة العلم بل علماً بوجه وجهلاً بوجه آخر وصرف حقيقة الشيء لا تمتزج بغيره والا لم يخرج جميعه من القوة الى الفعل (اي لم يبلغ حد الكمال وهو خلاف الفرض) وعلمه راجع الى وجوده فكما ان وجوده لا يشاب بعدم ونقص فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لا يشاب بغيبة شيء من الاشياء على انه تعالى محقق الحقائق ومشيء الاشياء لحضور ذاته تعالى حضور كل شيء ·

(٣) الثالثة ان مثل الواجب الباري كمثل المرآة ومثل الموجودات الممكنات كمثل الصور المرئية فيها المنطبعة على صفحتها بواسطة اسبابها من محاذاة ذي الصورة لها ووجود النور وغيرهما فالصورة مرئية فيها وبها ولكن كيفية انطباعها وظهورها مجهولة لنا فتلك الموجودات تظهر في وجه الله وقيامها وظهورها يكون به تعالى فالطبائع الكلية لها وجود ظلي لولا وجود الباري لم يكن لها ظهور كما انه لولا المرآة لم يكن للصور ظهور ووجود · فنحن نبصر الصور في المرآة ولا نعلم كيفية انطباعها فكذلك نرى الموجودات وهي قائمة به تعالى ولكن لا ندري ما هو الوجود الحق الواجب ·

(٤) الرابعة فهو عالم بذاته وعلمه هو حضور الذات فنحن اذا فرضنا ان المرآة شعرت بذاتها المنطبعة فيها الصور يكون المثل أقرب الى المقصود · فالوجود اللانهائي عالم بالوجود كافة هذه نهاية ما يصور ويدرك من فلسفة صدر الدين في العلم فهذا من جملة كلامه المستور بستائر التقية · ثم هذا العلم يتعلق بعله المتعلق بالايجاد ·

ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له ·

(مذهب صدر الدين في الحكمة في اجزاء الكون والقصد من وجودها) : من المسائل الفلسفية الغامضة التي تحير فيها كبار الفلاسفة مسألة وجود القصد والحكمة في تكون العالم (يقول صدر الدين) : زعم اينبدقلس (انبـاذقلس) ان تكوّن الاجرام الاسطقسية بالاتفاق وذهب ذيمقراطيس ومن تبعه ان العالم وجد بالاتفاق وان لم يكن تكوّن الحيوان والنبات بالاتفاق .

يقول الثاني ان مبادئ العالم اجرام صغار لا تتجزأ لصلابتها وهي مبثوثة في خلاء غير متناهي وهي متشاكلة الطبائع مختلفة الاشكال دائمة الحركة فاتفق ان تصادمت منها جملة واجتمعت على هيئة مخصوصة فتكوّن منها هذا العالم .

ويقول الاول ان تكوّن الاجرام الاستقطسية بالاتفاق فما اتفق ان لم يكن كذلك لم يبق واحتج بحجج منها ان الطبيعة لا روية لها فلا يعقل ان يكون فعلها لاجل غرض . ومنها ان الفساد والموت والتشويهات والزوائد ليست مقصودة مع ان لها نظاماً لا يتغير كاضدادها فعلم ان الجميع غير مقصود للطبيعة فان نظام الذبول وان كان على عكس النشو والنمو لكن له كعكسه نظام لايتغير ونهج لا يهمل ولما كان نظام الذبول ضرورة المادة من دون ان يكون مقصوداً للطبيعة فلا جرم يحكم بان نظام النشو والنمو ايضا بسبب ضرورة المادة بلا قصد وداعية للطبيعة وهذا كالمطر الذي نعلم جزماً انه كائن لضرورة المادة اذالشمس اذا تبخرت الماء تخلص البخار الى الجو البارد فلما برد صار ماء ثقيلاً فنزل ضرورة فاتفق ان يقع في مصالح فيظن ان الامطار مقصودة لتلك المصالح وليس كذلك بل لضرورة المادة .

ومنها ان الطبيعة الواحدة تفعل افعالاً مختلفة مثل الحرارة فانها تحل الشمع وتعقد الملح وتسود وجه القصار وتبيض وجه الثوب فهذه حجج القائلين بالاتفاق .

وضع صدر الدين اولاً مقدمة في دحض حجج هذا المذهب مفادها ان الامور الممكنة على اربعة اقسام (١) الدائمي وهو يوجد بعلته ولا يعارضه معارض كحركة المنظومة الشمسية مثلاً (٢) والاكثري وهو قد يعارضه كالنار في اكثر الامر تحرق الحطب وهو يتم بشرط عدم المعارض سواء أكان طبيعياً او ارادياً فان الارادة مع التصميم وتهيؤه للحركة وعدم مانع للحركة وناقض للعزيمة وامكان الوصول الى المطلوب فبين انه يستحيل ان

لا يوصل اليه . (٣) ما يحصل بالتساوي كقعود زيد وقيامه . (٤) ما يحصل نادراً او على الأقل كتكوّن إصبع زائدة اما ما يكون على الدوام او على الاكثر فوجودهما لا يكون بالاتفاق لان الاتفاق معناه ان لا يخضع الشيء للنظام المستمر او الاكثر والثالث والرابع قد يكونان باعتبار ما واجباً اي خاضعاً لناموس لا يتغير مثل ان يشترط ان المادة في تكوّن كف الجنين فضُلت عن المصروف عنها الى الاصابع الخمس والقوة الفاعلة صادفت استعداداً تاماً في مادة طبيعية فيجب ان يتخلق اصبع زائدة فعند هذه الشروط يجب تكوّن الاصبع الزائدة ويكون ذلك ايضاً من باب الدائم بالنسبة الى هذه الطبيعة الجزئية وان كان نادراً قليلاً بالقياس الى سائر افراد النوع فاذا حقق الامر في تكون الامر الأقل انه دائم بشروطه وأسبابه ففي ضرورة المساوي اكثرياً اودائمياً بملاحظة شروطه وأسبابه لم يبق ريبة فالامور الموجودة بالاتفاق انما هي بالاتفاق عند الجاهل باسبابها وعللها واما بالقياس الى مسبب الاسباب والاسباب المكتنفة فلم يكن شيء من الموجودات اتفاقاً كما وقع في السنة الحكماء الاشياء كلها عند الاوائل واجبات فلو أحاط الانسان بجميع الاسباب والعلل حتى لم يشذ عن علمه شيء لم يكن عنده شيء موجوداً بالاتفاق فان عثر حافر بئر على كنز فهو بالقياس الى الجاهل بالاسباب التي ساقت الحافر الى الكنز اتفاق واما بالقياس الى من أحاط بالاسباب المؤدية اليه ليس بالاتفاق بل بالوجوب فقد ثبت ان الاسباب الاتفاقية حيث يكون لاجل شيء الا انها أسباب فاعلية بالعرض والغايات غايات بالعرض وربما يتأدى السبب الاتفاقي الى غايته الذاتية كالحجر الهابط اذا شج ثم هبط الى مهبطه الذي هو الغاية الذاتية وربما لا يتأدى الى غايته الذاتية بل اقتصر على الاتفاقي كالحجر الهابط اذا شج ووقف ففي الاول يسمى بالقياس الى الغاية الطبيعية سبباً ذاتياً و بالقياس الى الغاية العرضية سبباً اتفاقياً وفي الثاني يسمى بالقياس الى الغاية الذاتية باطلاً فاذا تحقق ذلك فقد علم ان الاتفاق غاية عرضية لامر طبيعي او ارادي اوقسري ينتهي الى طبيعة او ارادة فتكون الطبيعة والارادة أقدم من الاتفاق لذاتيهما فما لم يكن اولاً امور طبيعية لو ارادية لم يقع اتفاقاً فالامور الطبيعية والارادية متوجهة نحو غايات بالذات والاتفاق طارئ عليها اذا قيس اليها من حيث ان الامر الكائن في نفسه غير متوقع عنها اذ ليس دائماً ولا اكثرياً لكن يلزم ان يكون من شأنها التأدية اليها ثم اخذ في

دحض حجج الاتفاق على التفصيل : دحض الحجة الاولى بان الطبيعة اذا عدمت الروية ولا يستلزم او يوجب ان يكون الفعل الصادر عنها غير متوجه الى غاية فان الروية لاتجعل الفعل ذا غاية بل انما يتميز الفعل الذي يختار ويعينه من بين أفعال يجوز اختيارها. ثم يكون لكل فعل من تلك الأفعال غاية مخصوصة يلزم تأدي ذلك الفعل اليها لذاته لا بجعل جاعل حتى لو قدّر كون النفس مسلمة عن اختلاف الدواعي والصوارف لكان يصدر عن الناس فعل على نهج واحد من غير روية كما في الأفلاك فان الافلاك سليمة عن البواعث والعوارض المختلفة فلاجرم ان تكون أفاعيلها على نهج واحد من غير روية ومما يؤيد ذلك ان نفس الروية فعل ذو غاية وهي لاتحتاج الى روية أخرى .

وايضاً ان الصناعات لا شبهة في تحقق غايات لها ثم اذا صارت ملكة لم يحتج في استعمالها الى الروية بل ربما تكون مانعة كالكاتب الماهر لا يروي في كل حرف وكذا العوّاد الماهر لا يتفكر في كل نقرة . واذا روّى الكاتب في كتبه حرفاً والعوّاد في نقره يتبلد في صناعته فللطبيعة غايات بلا قصد وروية .

ودحض الحجة الثانية بان الفساد في هذه الكائنات تارة لعدم كمالاتها وتارة لحصول موانع وارادات خارجة عن مجرى الطبيعة . اما الاعدام فليس من شرط كون الطبيعة متوجهة الى غاية ان تبلغ اليها فالموت والفساد والذبول كل ذلك لقصور الطبيعة عن البلوغ الى الغاية (وها هنا سر ليس هذا المشهد موضع بيانه) واما نظام الذبول هو ايضاً متأد الى غاية وذلك لان له سببين احدهما بالذات وهو الحرارة والآخر بالعرض وهو الطبيعة ولكل منهما غاية فالحرارة غايتها تحليل الرطوبات فتسوق المادة اليه وتقيسها على النظام وذلك للحرارة بالذات والطبيعة التي في البدن غايتها حفظ البدن ما امكن بامداد بعد امداد ولكن كل مدد تال يكون الاستمداد منه اقل من المدد الاول . فيكون نقصان الامداد سبباً لنظام الذبول بالعرض والتحليل سبباً بالذات للذبول وفعل كل واحد منها متوجه الى غاية ثم ان الموت وان لم يكن غاية بالقياس الى بدن جزئي فهو غاية بالقياس الى نظام واجب لما أعدّ للنفس من الحياة السرمدية وكذا ضعف البدن وذبوله لما يتبعها من رياضات النفس وكسر قواها البدنية التي بسببها تستعد للآخر على ما يعرف في علم النفس . واما الزيادات فهي كائنة لغاية ما فان المادة اذا فضلت أفادتها الطبيعة

الصورة التي تستحقها ولا يعطلها كما علمت فيكون فعل الطبيعة فيها بالغاية وان لم يكن غاية للبدن بمجموعه ونحن لم ندع ان كل غاية لطبيعة يجب ان يكون غاية لغيرها . واما ما نقل في المطر فممنوع بل السبب فيه أوضاع سماوية تلحقها قوابل واستعدادات ارضية للنظام الكلي وانفتاح الخيرات ونزول البركات فهي أسباب الهية لها غايات دائمة اوا كثرية في الطبيعة .

ودحض الثالثة بان القوة المحرقة لها غاية واحدة هي احالة المحترق الى مشاكلة جوهرها واما سائر الافاعيل كالعقد والحل والتسويد والتبييض وغيرها فانما هي توابع ضرورية وجعلها اقسام الضروري الذي هو احدى الغايات بالعرض .

وقد ذكر في كتاب الشفاء ابطال مذهب انباذقلس ببيانات مبنية على المشاهدات وشواهد موضحة ولذلك حمل بعضهم كلامه في البحث والاتفاق على انه من الرموز والتجوزات او انه مختلق عليه لدلالة ما تصفحه ووجده من كلامه على قوة سلوكه وعلو قدره في العلوم ومن جملة تلك الدلائل الواضحة ان البقعة الواحدة اذا سقطت فيها حبة برّ وحبة شعير أنبت البرّ برًّا والشعير شعيراً فعلم ان صيرورة جزء من الارض برًّا والآخر شعيراً لاجل ان القوة الفاعلة تحركها الى تلك الصور لا لضرورة المادة لتشابهها ولو فرض ان اجزاء الارض مختلفة فاختلافها ليس بالماهية الارضية بل لان قوةً في الحبة افادت تلك الخاصية لذلك الجزء الارضي فان كانت أفادت تلك الخاصية لخاصية أخرى سابقة عليها لزم التسلسل وان لم يكن كذلك كانت القوة المودعة في البُزُرة لذاتها متوجهة الى غاية معينة والا فلمَ لا ينبت الزيتون براً والبطيخ شعيراً ؟

(نظريته في حس المادة وعشق الهيولى) : اذا ألقيت نظرتك في كتب الفلسفة ألفيت بين الآراء الفلسفية المختلفة رأياً لبعض الفلاسفة القدماء وهو ان للهيولى شوقاً الى الصورة وكان هذا الرأي مجملاً ومبهماً لم يوضح المراد منه وناهيك ان مثل الشيخ الرئيس ابن سينا الفيلسوف اعترف بانه تعسر عليه فهم معنى شوق الهيولى الى الصورة ولذلك كان هذا الرأي موضع شك وارتياب بينهم حتى تفرقت الفلاسفة فيه الى ناف .

احتج في نفيه بادلة لا تغني من الحق شيئاً وشاكّ لم تقنع نفسه بدليل النفي والاثبات ومثبت أثار برهانه في اثباته ونحن نورد كلام الرئيس ابن سينا المتضمن لدليل النفي

وشكه فيه ايضاحاً لرأي صدر الدين قال[١]: وقد يذكر حال شوق الهيولى الى الصورة وتشبيهها بالانثى وتشبيه الصورة بالذكر وهذا شيء لست أفهمه . اما الشوق النفساني فلا يختلف في سلبه عن الهيولى . واما الشوق التسخيري الطبيعي الذي يكون انبعاثه على سبيل الانسياق كما للحجر الى الاسفل ليستكمل بعد نقص له بعد في اينه الطبيعي فهذا ايضاً بعيد عنها ولقد كان يجوز ان يكون الهيولى مشتاقة الى الصورة لو كان هناك خلو عن الصورة كلها او ملال صورة قارنتها او فقدان القناعة بما يحصل له من الصور المكملة اياها نوعاً وكان لها ان تحرك بنفسها الى اكتساب الصورة كما للحجر في اكتساب الاين (الانتهاء خ ل) ان كان فيها قوة محركة وليست خالية عن الصور كلها ولا يليق بها الملال للصورة الحاصلة فتعمل في نقضها ورفضها فان حصول هذه الصورة ان كان موجباً للملال لنفس حصولها وجب ان لا يشتاق اليها وان كان لمدة طالت فيكون الشوق عارضاً لها بعد حين لا امراً في جوهرها و يكون هناك سبب يوجبه ولا يجوز ان يكون ايضاً غير قنعة بما يحصل بل مشتاقة الى اجتماع الاضداد فيها فان هذا محال والمحال ربما ظن انه ينساق اليه الاشتياق النفساني واما الاشتياق التسخيري فانما يكون الى غاية في الطبيعة المكملة والغايات الطبيعية غير محالة ومع هذا فكيف يجوز ان يتحرك الهيولى الى الصورة وانما تأتيها الصورة الطارئة من سبب يبطل صورتها الموجودة لا لأنه يكتسبها بحركتها ولو لم يجعل هذا الشوق الى الصورة المقومة التي هي كمالات اولى بل الى الكمالات الثانية اللاحقة لكان تصور معنى هذا الشوق من المتعذر فكيف وقد جعلوا ذلك شوقاً لها الى الصورة المقومة .

قال صدر الدين في اول كلامه ان رأي شوق الهيولى الى الصورة مبنى على المكاشفات النورية والبراهين اليقينية بعد تصفية الباطن بالرياضات .

ثم قال بعد كلام الرئيس المذكور اني لاجل محافظتي على التأدب بالنسبة الى مشايخي في العلوم واساتيذي في معرفة الحقائق لست اجد رخصة من نفسي في كشف الحقيقة فيما اعترف مثل الشيخ الرئيس عظم الله قدره في النشأتين العقلية والمثالية بالعجز عن دركه

(١) في طبيعيات كتاب الشفاء .

والعسر في معرفته بل كنت رأيت السكوت عما سكت عنه اولى والاعتراف بالعجز عما عجز فيه لصعوبته وتعسره احرى وان كان الامر عندي واضحاً ومنقحاً حتى اقترح علي بعض اخواني في الدين واصحابي في ابتغاء اليقين ان اوضح بيان الشوق الذي اثبته افاخم الحكماء القدماء واكابر العرفاء من الاولياء في الجوهر الهيولاني واكشف قناع الاجمال عما اشاروا اليه واستخرج كنوز الرموز فيما ستروه وافصل ما اجملوه واظهر ما كتموه من التوقان الطبيعي في القوة المادية فالزمني اسعافه لشدة اقتراحه والجأني في انجاح طلبته لقوة ارتياحه فاقول من الله التأييد والتسديد : انه لا بد من وضع اصول لتحقيق هذا المقام تمهيداً وتأصيلاً ٠

(١) ان الوجود حقيقة واحدة عينية ليس مجرد مفهوم ذهني ومعقول ثانوي كما زعمه المتأخرون وان الاختلاف في مراتبه وافراده ليس بامور فصلية او عرضية بل بتقدم وتأخر وكمال ونقص وشدة وضعف وان صفاته الكمالية من العلم والقدرة والارادة هي عين ذاته لان حقيقة الوجود وسنخه وتجوهره مبدأ لسائر الكمالات الوجودية فاذا قوي الوجود في شيء من الموجود قوي معه جميع صفاته الكمالية واذا ضعف ضعفت ٠

(٢) ان حقيقة كل ماهية هي وجودها الخاص الذي يوجد به تلك المهية على الاستتباع وان المحقق في الخارج والفائض عن العلة لكل شيء هو نحو وجوده ٠ واما المسمى بالمهية فهي انما توجد في الواقع وتصدر عن العلة لا لذاتها بل لاتحادها مع ما هو الموجود والمفاض بالذات عن السبب والاتحاد بين الماهيسة والوجود على نحو الاتحاد بين الحكاية والمحكي والمرآة والمرئي فان ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له ٠

(٣) ان الوجود على الاطلاق مؤثر ومعشوق ومتشوق اليه واما الآفات والعاهات التي تتراءى في بعض الموجودات فهي اما راجعة الى الاعدام والقصورات وضعف بعض الحقائق عن احتمال النحو الافضل من الوجود ٠ واما انها ترجع الى التصادم بين نحوين من الوجود في الاشياء الواقعة في عالم التضايق والتصادم والتعارض والتضاد ٠

(٤) ان معنى الشوق هو طلب كمال ما هو حاصل بوجه وغير حاصل بوجه فان العادم لامر ما رأساً لا يشتاقه ولا يطلبه اذ الشوق للمعدوم والمحض والطلب للمجهول المطلق

مستحيل وكذا الواجد لامر ما لا يشتاقه ولا يطلبه لاستحالة تحصيل الحاصل انتهى ٠

وعلى مذهبه ان الوجود الكامل الذي لا نقص فيه هو الله وهو على ذلك لا يطلب شيئاً وينبغي ان يشتاق اليه الوجود الذي احتمل بواسطة حوصلة ذواتها ووعاء وجوداتها مرتبة دون مرتبة الواجب اي مرتبـة ناقصة وقال اذا تمهدت هذه الاركان والاصول فنقول اما اثبات الشوق في الهيولى الاولى فلان لها مرتبـة من الوجود وحظاً من الكون كما اعترف الشيخ الرئيس وغيره من محصلي اتباع المشائين ومرتبتها في الوجود مرتبة ضعيفة وعبارة عن قوة وجود الاشياء القائضة عليها المتحدة بها اتحاد المادة بالصورة في الوجود واتحاد الجنس بالفصل في الماهية واذا كان لها نحو من الوجود وقد علم بحكم المقدمة الاولى ان سنخ الوجود واحد ومتحد مع العلم والارادة والقدرة من الكمالات اللازمة للوجود اينما تحقق و كيفما تحقق فيكون لها نحو من الشعور بالكمال شعوراً ضعيفاً على قدر ضعف وجودها الذي هو ذاتها وهويتها بحكم المقدمة الثانية فيكون لاجل شعورها بالوجود النـاقص لها طالبة للوجود المطلق الكامل الذي هو مطلوب ومؤثر بالذات للجميع بحكم المقدمة الثالثة ٠

ولما كان بحكم المقدمة الرابعـة كل ما حصل له بعض الكمالات ولم يحصل له تمامه يكون مشتاقاً الى حصول ما يفقد منه شوقاً بازاء مايحاذي ذلك المفقود ويطابقه وطالباً تتميم مايوجد فيه لحصول ذلك التمام فيكون الهيولى في غاية الشوق الى ما يكمله ويتممه من الصور الطبيعية المحصلة اياها نوعاً خاصاً من الأنواع الطبيعية ٠

(ايضاح لهذا الرأي) : يتم وضوح هذا الرأي بان نذكر معنى الهيولي المستعمل في الفلسفة الاغريقية وهي لفظ يوناني معناه الاصل والمادة ٠

وعرّفه الرئيس ابن سينا في رسالة الحدود بقوله : الهيولى المطلقة هي جوهر ووجوده بالفعل انما يحصل بقبول الصورة الجسمية بقوة فيـه قابلة للصور وقال ايضاً في حدّ المادة ان المادة قد تقال اسماً مرادفاً للهيولى وهي تطلق في الفلسفة الاغريقية والاسلامية على أصغر ذرة من المادة وهي التي يطلق عليهـا العلم الحديث بهبيات او (اتوم) وهي الذرة الصغيرة التي لا تراها العين المجردة لصغرها ٠ يقول ابن رشد الفيلسوف في كتابه ما بعد الطبيعة (الهيولى) الاولى غير مصورة والا لا تحقق في عالم المادة لما لا صورة له ولذلك قال الرئيس في كلامه السـابق لا خلوّ لها من الصورة فاذا تحقق هذا فروح هذا المذهب

الفلسفي . ورأى صدرالدين ان ذرّات المادة مطلقاً المعبر عنها بالهيولى ذات شعور وحس لان لها حظاً من الوجود والوجود نفسه كما تحقق في الاصل الاول الذي مهده صدرالدين له متحد مع العلم والارادة والقدرة اينما ظهر في أصغر ذرة في المادة او اكبر جرم من الفلك فلها نحو من الشعور بالكمال كما صرّح في كلامه وهذا الرأي هو نفس رأي (جاجاديس بوز) العالم النباتي الهندي في احساس الجماد والنبات وان المادة سواء اكان انساناً عاقلاً ام حديداً جامداً ام نباتاً او صخراً تحس .

اذا كشف بوز حس المادة بقوة جهازه (الكوسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف الف ضعف فقوة جهاز دماغ هؤلاء الفلاسفة الذين ذهبوا بهذا المذهب وسعة فكرهم لا يقل عن قوة جهاز (بوز) والفضل بين فلاسفة الاسلام في اثارة برهان هذا الرأي لصدر الدين وهو الفيلسوف الاسلامي الوحيد الذي اطلع هذا النور في سماء العلم والعجب ان مبنى رأي العالمين صدر الدين وبوز شيء واحد يقول بوز في احدى محاضراته عندماشاهدت هذه المشاهدات وجربت ضروب التجارب المختلفة وفهمت حس المادة ورأيت فيها وحدة شاملة ينطوي فيها كل شيء ورأيت كيف ان الذرة ترتعش في مويجات الضوء و كيف ان ارضنا تعج عجيجاً بالحياة وتلك الشموس اللامعة التي تضيء فوقنا عندئذ ادركت قليلاً من مغزى تلك الرسالة التي بشر بها اسلافي منذ ثلاثين قرناً على شطوط نهر (الكنج) وهم اولئك الذين لا يرون في جميع الظواهر المتغيرة في هذا الكون سوى واحد فقط اولئك وحدهم يعرفون الحقيقة الازلية .

و يقول صدر الدين ان الوجود حقيقة واحدة والاختلاف بين افراده ومراتبه ليس بتمام الذات والحقيقة بل بتقدم وتأخر وشدة وضعف وكمال ونقص وان الصفات الكمالية من العلم والقدرة والشعور والارادة عين ذاته .

فنصيب الوجود الضعيف وذرة المادة من العلم والشعور والارادة على قدر وجوده ونصيبه من نفس الوجود .

(خاتمة في رأيه في العشق) : بحث في العشق وجعل عنوان البحث قوله فصل في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للاوجه الحسان . وذكر اختلاف الآراء في حسنه وقبحه

وهل هو فضيلة او رذيلة . ثم قال والذي يدل عليه النظر الدقيق والمنهج الانيق وملاحظة الامور عن أسبابها الكلية ومباديها العالية وغاياتها الحكمية ان هذا العشق أعني الالتذاذ الشديد بحسن الصورة الجميلة المفرطة لمن وجد فيه الشمائل اللطيفة وتناسب الاعضاء وجودة التركيب لما كان موجوداً على نحو وجود الامور الطبيعية في نفوس اكثر الامم من غير تكلف وتصنع فهو لا محالة من جملة الاوضاع الالهية التي يترتب عليها المصالح والحكم فلا بد ان يكون مستحسناً محموداً ولا سيما قد وقع من مباد فاضلة لاجل غايات شريفة . اما المبادي فلانا نجد اكثر نفوس الامم التي لها تعليم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب والرياضات مثل اهل فارس واهل العراق واهل (الشام) والروم وكل قوم فيهم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب الحسنة غير خالية عن هذا العشق الذي منشؤه استحسان شمائل المحبوب ونحن لم نجد احداً ممن له قلب لطيف وطبع رقيق بذهن صاف ونفس رقيقة خالياً عن هذه المحبة في أوقات عمره لكن وجدنا سائر النفوس الغليظة والقلوب القاسية والطبائع الجافية من الاكراد والزنج خالية عن هذا النوع من المحبة .

وقال وبما انهذه الرغبة والمحبة مودعة نفوس اكثر العلماء والظرفاء فلابدلها من غاية وجعل من غاية العشق تعليم الصبيان والغلمان العلوم الجزئية كالنحو واللغة والبيان والهندسة وغيرها والصنائع الدقيقة والآداب الحميدة والاشعار اللطيفة الموزونة والنغمات الطيبة وتهذيبهم بالاخلاق الفاضلة وسائر الكمالات النفسانية فهذا العشق بمافيه تكميل النفوس الناقصة وتهذيبها من فائدة حكمية وغاية صحيحة لا بد ان يكون معدوداً من الفضائل والحسنات لا من الرذائل والسيئات .

وفي الانسان اثر جمال الله وجلاله واليه الاشارة في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان فياحسن تقويم) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقسم العشق بقسمين حقيقي ومجازي والاول هو محبة الله وصفاته وافعاله من حيث هي . والثاني ينقسم الى نفساني وحيواني الثاني سببه فرط الشهوة الحيوانية ومبدؤه شهوة بدنية وطلب لذة بهيمية ويكون اكثر اعجابه بظاهر المعشوق ولونه واشكال اعضائه لانها امور بدنية وهو لا يعد فضيلة .

والاول سببه استحسان شمائل المحبوب المعشوق وجودة تركيبه واعتدال مزاجه وحسن اخلاقه وتناسب حركاته وافعاله وغنجه ودلاله ومبدئه مشاكلة نفس العاشق والمعشوق في الجوهر ويكون اكثر اعجابه بشمائل المعشوق لانها آثار صادرة عن نفسه فهذا العشق يرقق القلب و يذكي الذهن و ينبه النفس على ادراك الأمور الشريفة وقال : ولاجل ذلك امر المشايخ (اي الصوفية) مريديهم في الابتداء بالعشق وقيل العشق العفيف اولى سبب في تلطيف النفس وتنوير القلب وفي الاثر ان الله جميل يحب الجمال ·

ثم قال ينبغي استعمال هذه المحبة في أواسط السلوك العرفاني وفي حال ترقيق النفس وتنبيهها من نوم الغفلة ورقة الطبيعة ·

وأما عند استكمال النفس بالعلوم الالهية وصيرورتها عقلاً بالفعل محيطة بالعلوم الفلكية ذات ملكة الاتصال بعالم القدس فلا ينبغي لها عند ذلك الاشتغال بعشق هذه الصورة الحسنة اللحمية والشمائل اللطيفة البشرية لان مقامها صار أرفع من هذا المقام · وسرد الاقوال في ان العشق هل هو فضيلة او رذيلة او مرض :

ثم قال ومنهم من قال ان العشق هو افراط الشوق الى الاتحاد واستجود هذا الرأي ثم قال ولما كان العشق من آثار النفوس فالاتحاد يصير كما بينت في مباحث العقل والمعقول اتحاد النفس العاقلة بصورة العقل واتحاد النفس الحساسة بصورة المحسوس بالفعل فعلى هذا المعنى يصح صيرورة النفس العاشقة لشخص متحدة بصورة معشوقها وذلك بعد تكرير المشاهدات وتوارد الانظار (النظرات) وشدة الفكر والذكر في أشكاله وشمائله حتى تصير متمثلة صورته حاضرة مندرجة في ذات العاشق وهذا ما أوضحنا سبيله وحققنا طريقه ·

وقال ان العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة وهي المعشوقة بالذات لا الامر الخارجي · وقال اذا تبين ووضح اتحاد العاقل بصورة المعقول واتحاد الجوهر الحساس بصورة المحسوس فقد صح اتحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفتقر بعد ذلك الى حضور جسمه والاستفادة من شخصه كما قال الشاعر :

انا من أهوى ومن أهوى انا · نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته · واذا أبصرته أبصرتنا

وخصص قسماً من العشق وهو عشق الاله الذي هو العشق الحقيقي بالعلماء المتألهين المتفكرين في حقائق الوجود وهم المشار اليهم في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ·

وهنالك نبض عرقه البانتيسمي وقال فانه في الحقيقة ما يحب الا نفسه لا غيره فالمحب والمحبوب شيء واحد في الطرفين ·

ونسب رضا قليخان هدايت هذا الرباعي اليه :

اانان كه ره دوست گزيند همه در كوي شهادت ارميد ندهمه
درمعركه دوكون فتح ازعشق است هر چند سپاه او شهيد ندهمه

حاصل معنى الرباعي ان الفتح في النشأتين الدنيوية والاخروية للعشق وان كانت جنده صريعاً في معركة الغرام اه ·

ابو عبد الله الزنجاني
عضو المجمع العلمي



(المجمع) اذا كان في هذه الرسالة غلط بعد العناية بتصحيحها فليس هو من الطابع ولا من المؤلف بل من تلميذ المؤلف الذي نسخ له اصول رسالته ·

العلامة السيد مسعود الكواكبي



نسبه ونشأته — هو محمد مسعود ابو السعود ابن الشيخ احمد بهائي بن محمد مسعود ابن الحاج عبد الرحمن ابن الحاج محمد بن محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد ابن احمد بن يحيى بن محمد الشيخ ابي يحيى الكواكبي دفين الجامع المعروف به في محلة الجلوم الصغرى ابن برهان الدين ابراهيم بن علاء الدين علي ابن شيخ المشايخ والعارفين صدر الدين موسى الاردبيلي ابن الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي ابن الشيخ امين الدين جبريل بن الشيخ صالح ابن الشيخ ابي بكر قطب الدين احمد حيدر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ محمد الحافظ ابن الشيخ عوض الخواص ابن الشيخ فيروز شاه البخاري ابن الشيخ محمد المهدي ابن بدر الدين حسن شرف شاه ابن ابي القاسم محمد بن ثابت بن

حسين بن احمد بن الامير داود بن علي بن الامام موسى الثاني ابن الامام ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين السبط ابن الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم · وآل الكواكبي قطنوا حلب منذ خمسة قرون وانجبوا اعلاماً في العلم والفضائل ·

ولد السيد مسعود في الثلاثين من شعبان سنة احدى وثمانين ومائتين والف وحفظ نحو النصف من القرآن العظيم وقرأ العلوم العربية والمنطق والفقه الحنفي على والده وعلى الشيخ محمد الكحيل والشيخ عبد القادر الحمصي وتعلم مبادىء التركية والرياضيات واللسان الفرنسوي في المدرسة الرشدية الرسمية بحلب ثم استزاد من الفرنسية قراءة وكتابة على معلمين مخصوصين اكب على المطالعة فأكمل التركية وحصل من الفنون العصرية مثل الطبيعيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ والهيئة على حظ وافر وتعلم الخط عند الشيخ محمد العريف في المدرسة الشرفية حينما كان يعلم فيها و برع في انواعه الثلاثة و بالممارسة تعلم الخط الفارسي والديواني ثم سمت نفسه الى تعلم الخط العبراني والرومي والارمني ·

وظائفه واعماله — كانت اول وظيفة وظف لها وظيفة معاون محرر المقاولات وذلك في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ وفي غرة جمادى الثانية من سنة ١٣٠١ عين الى ترجمة محكمة التجارة · وفي ١٧ من المحرم من سنة ١٣٠٨ رقي الى رئاسة الكتاب فيها · وفي ١٣ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ طلب الى الاستانة وهناك اقترح عليه انشاء جريدة تدعى (استقامت) امر السلطان عبد الحميد الثاني باصدارها باللغتين العربية والتركية لتدافع عن ادارته فذهب واجتهد في التنصل من هذا التكليف ·

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣١٤ عين مرة ثانية الى رئاسة الكتاب في محكمة التجارة وبقي الى ٢ ربيع الاول سنة ١٣١٩ وعين عضواً في هيئة تدقيق المؤلفات في نظارة المعارف الى ان الغيت هذه الهيئة باعلان الدستور العثماني · وفي سنة ١٣٢٦ هـ صدر الامر بافتتاح مجلس النواب العثماني وكان المترجم في مقدمة من توجهت الانظار لانتخابه وذلك لما علم من مقدرته وكفاءته واستقامته فانتخب نائباً عن الشهباء · وكان من اعضاء الحزب الحر المعتدل

ثم عند الغاء هذا الحزب وتأليف حزب الحرية والائتلاف كان من اعضائه وصدر باسمه بضعة اعداد من جريدة لحزب دعيت (تقديرات) ثم انتهيا حكومة الاتحاديين وبقي السنين الاربع التي هي الدورة الاولى . وفي ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ عين نقيباً لاشراف حلب وبقي فيها الى غاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ .

وعلى اثر خروج الدولة التركية من حلب وحدت محكمتا الحقوق والجزاء فجعلتا محكمة واحدة وانتخب الى رئاستها فلم يقبلها ثم عين مديراً للاوقاف في ٢٩ محرم سنة ١٣٣٧ فبقي فيها عشرين يوماً واستعفى وكان اثناءها قد انتخب الى رئاسة نادي العرب فبقي فيها نحو ستة اشهر ثم تجرد عن كل عمل .

وفي سنة ١٩٢٣م انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وكان يعهد اليه النظر في بعض الكتب المطبوعة التي ترد الى المجمع فيكتب عليها كتابة خبير بصير ويبين كثيراً مما وقع فيها من الاغلاط مما يدل على تضلعه من اللغة والادب . وفي شعبان سنة ١٣٤٠ اجتمعت جمعية من المفكرين فانتخبته في اثني عشر للمداولة فيما يجب عمله اصلاحاً لحالة الوطنية فقرروا مطالب ثلاثة وكتبوها فوقع عليها اهل الطبقة الاولى والثانية من الحلبيين وكان لها تأثير بتوحيد سورية بعد تفريقها الى دول . وفي الشهر المذكور اجتمع كبار متولي الاوقاف واسسوا نقابة للمتولين فانتخب للهيئة الادارية . ولما تألفت حكومة الاتحاد في ذي الحجة من هذه السنة عين كاتماً لاسرار الرئاسة فبقي الى جمادى الثانية من سنة ١٣٤١ ثم تقلد عضوية محكمة التمييز في دمشق فقام باعبائها احسن قيام وقد جمع الى الاستقامة وشرف النفس دقة النظر وسرعة الخاطر وعلو الهمة ولم يزل في هذه الوظيفة الى ان صرف عنها بانفضاض محكمة التمييز بامرها وذلك في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ و ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٩ وعين قاضياً لحلب فابى ولزم بيته .

بعض صفاته العلمية — تولى مترجمنا خطابة جامع اوعليك منذ سنة ١٣٠٥ ولم يكن مسلكه في الخطبة مسلك الجمهور من تلاوة بعض المواعظ المدونة المسجعة التي حفظها الناس بل كان في كل جمعة يخطب في موضوع اجتماعي له مناسبة بما عليه الناس من عادة سيئة فلذلك كان المستمعون يلقون الى خطبته السمع .

وله كنثره شعر لطيف منسجم قليل التكلف فيه بعيد عن الألفاظ الغريبة يتوخى ان يفهمه العوام بسهولة وهو مجموع في ديوان · فمن نظمه في مطلع قصيدة غزلية :

قسماً بادعج مقلتيه وجفنه ... هذا هو السحر الحلال بعينه
ان كان من شأن الغزال نفوره ... فهل القتال يعرف من شأنه

ومنها : لاشيء أثقل في الهوى من عاذل ... قد راح مهتماً بما لم يعنه

ومنها : هو ليس يدري ما الهوى وانا الذي ... قد زدت في شرح الهوى عن متنه
ان كان غيري عاصراً خمر الهوى ... فلقد سكرت بصرفه من دنه

وله مطلع قصيدة حكمية :

ما في زمانك من يحق بنطق ... فانظر اذا حدثت كيف تصدق
ولقد فشا داء الخيانة في الملا ... حتى باورعهم غدا لا يوثق
الفوا الفسوق فان يروا ذا عفة ... نقموا عليه انه لا يفسق
والفخر عندهمو لمن هو ذو غنى ... ان كان ينفق منه او لا ينفق
والناس ما لم تدعهم لملة ... ما فيهمو الا المحب المشفق
فاذا دعوتهمو لخطب لم تجد ... احداً كأن جميعهم لم يخلقوا
من رمت منهم ان تبث بعقله ... نور الحقيقة قال هذا أحمق
وتراه ان حدثته بخرافة ... يهتز من طرب لها ويصفق
كم من ظلوم ليس يقعده سوى ... عجز وما بيديه فهو تخلق
فاذا تولى الامر أظهر خلقه ... وهناك أخلاق الرجال تحقق
ولرب مفساق تراه مصولحاً ... فالسر في ان الصويلح عملق
ان رمت كشف السر فاملأ كيسه ... وانظر أيفسق بعد أم يتصدق

وختامها كلا تراه يذم خلق رفاقه ... والكل من ماء السفاهة قد سقوا

وقال على أسلوب الصوفية من قصيدة :

افرحا لي ما ازداد شوقي اوارا ... فتام الوصال يوم أوارى
كل حال ما ازددت فيه هياما ... انا منها استغفر استغفارا
حالتي في الغرام أعجب حال ... ليس بدعاً للعقل بي ان يحارا

رام غيري عمن أحب سلواً ورأيت السلوان عنه خسارا
انا أدعو لحبه كل فرد واذا ما سواي شارك غارا
عشق العاشقون ذاتاً رأوها وانا اليوم أشهد الآثارا
كلما ازددت في المحبة قربا زادني قربه جوى واستعارا

وقال وقد اخذ منها شقيقه المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي سبعة أبيات تمثل بها في مطلع كتابه (أم القرى) :

دراك فمن يدنف لعمرك يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فني
دراك فان الدين يزداد وهنه وقد صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلم الى فرض التعاون انه باهماله اثم على كل مؤمن
وان الذي الأسياف شادته قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا لألسن
الى مَ نماشي الغرب فيما يشيننا حنانيك ان المرء عبد التمرن
لقد شابنا نحن الحنيفين ملة مفاسد ما يدعونه بالتمدن
اذا كان نبذ الدين يدعى تفنناً فيا بئسما يسري لنا من تفنن
ومهما اجتنوا منا خلالاً حميدة فنحن سوى سفسافهم ليس نجتني
وكم خصلة للبعض زين ومدحة وفي جنب بعض مطمن اي مطمن
وقد كان عاراً نزع ثوب وعمة فما القول ان نقفوهمو بالتدين
همو أسرفوا لكن بمشار ربحهم ومن يفن رأس المال يفلس ويسجن
أنرجو واهل العلم أحلاس بيتهم شفاء لداء قد عرا الدين مزمن
وكان يعد العلم للصدر زينة وما لا به اصلاح عيش ومسكن
فكان له اهل يوفون حقه بهدي وتلقين وحسن تلقن
وما هان الا عندما هان نيله وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
متى كان هذا العلم ارثاً ومنحة ومن لم يمان العلم يلحد ويلحن
لقد ذل قوم خدمة العلم عندهم تناط بذي جهل لها غير محسن

وللمترجم به تفسير القرآن الحكيم مكتوب بخط يده على هامش المصحف الشريف الذي

كان يقرأ به . وله مولد شريف في ١٥ صحيفة سماه المولد المسعودي طبعه في بيروت في المطبعة الاهلية سنة ١٣٣٦ .

وفاته وأخلاقه — ابتدأ به المرض بالتهاب امعاء بسيط لم يدم اكثر من ثلاثة ايام وشفي منه تماماً لكن نوبة جديدة أصابته في الدماغ على اثر التوعك والضعف الذي أصابه من التهاب المعى ، وهذه النوبة تدعى في الطب (نزيف دماغي) لبث فيها مغمى عليه لا حس به ولا حركة مدة اسبوع كامل ، ثم توفي ليلة الجمعة خامس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ و١٩ ايلول سنة ١٩٢٩ ودفن حسب وصيته في اقرب تربة من البيت الذي يقطنه وهي تربة نبي الله ذي الكفل عليه السلام في جبل قاسيون بصالحية دمشق .

كان رحمه الله مربوع القامة حنطي اللون . نحيف الجسم ازج الحاجبين اسود العينين تشفان عن زكاء مفرط وقلب زكي دمث الاخلاق كثير البشر عند الملاقاة متأنيا في اقواله وافعاله يأتيك بفصل الخطاب بعد ترو قليل محبوباً عند الجمهور من المسلمين وغيرهم لحسن سلوكه في كل عمل وليه فلم تكن تطلق حرية الكلام والانتخاب للناس مرة الا وكان في مقدمة من يرشح وينتخب للعمل ولكن لما كان يعقب ذلك تسلط المتسلطين على حرية الناس وعلى المناصب كان ينسحب ولا يزاحم . وكان محباً للنفع العام لا يدع فرصة يؤمل منها خدمة البلاد الا انتهزها فمن ذلك يوم اعلان الدستور العثماني سنة ست وعشرين وثلاثمائة اذ كان في الاستانة فانه خاف من سوء تفسير الحوادث التي حدثت وعودها على الموضوع بالعكس فاسرع الى كتابة تفاصيل الوقائع في رسائل طويلة يبعث بها الى بعض احبائه ولما رأيت ان فيها تهدئة للافكار جعلت اطبعها واذيعها على الناس في حلب فكان لها احسن وقع لما هو معهود في المترجم من صدق الحديث والوقوف على الحقائق واطمأن الناس اليها وانتصح الكثيرون ممن لم يكونوا يعلمون ما هي الحرية فيظنونها شيئاً من الفوضى وخلع العذار . وكان رحمه الله متحلياً بالتقوى متمسكاً بالدين والصلاح صفة ذاتية له . وحسن المعاملة امر طبيعي فيه . لاترى فيه شيئاً من العوج الذي عليه بعض ذوي المعرفة او مدعيها من اهل هذا العصر ، مبغضاً لمن كان على هذه الصفة مؤنباً له . بيد انه لم يكن له من الجرأة الادبية ما كان لاخيه المرحوم السيد عبد الرحمن

وقد ليم على صمته في المجلس النيابي الذي كان انعقد في الاستانة عدة سنوات فاعتذر عن ذلك بابيات . وبالجملة فقد كان حسنة من حسنات الشهباء . ودرة فريدة في تاج البلاد الشامية كان له هدي السلف وعلم السلف والخلف وهو امام في القانون والشريعة متمكن من الآداب العربية شهدت له مواقفه في جلسات المجمع العلمي ومجلته وفي المجمع انبعثت قريحته العلمية كما انبعثت في محكمة التمييز تدقيقاته الشرعية والمدنية ولا عجب ان عظم الخطب به وفجع به عارفو فضله فقد كان مثال العالم العامل متميزاً باخلاقه قليل المطامع زاهداً في الظهور رحمه الله عداد حسناته .

محمد راغب الطباخ
عضو المجمع العلمي

فصح وشوارد

راعت الارض وأرعت : كثر فيها المرعى . وأروت : كثر فيها شجر الراء .

واروضت كثر فيها الرياض . وأحمضت : كثر فيهـا الحمض وهو ماملح وامرّ من النبات وهو كفاكهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة وهي ما حلا من النبات وهو كخبزها وهي متى شبعت من الخلة مالت الى الحمض فكأنها تهضم به .

واخملت كثرت خمائلها والخميلة هي الشجر الكثير الملتف حيث كان — والموضع الكثير الشجر .

وأعضّت : كثر عِضّها وهو ما صغر من شجر الشوك وقيل هو الطلح والعوسج والسلم والسيال والسرح والعرفط والسمُر والشبهان والكنهبل .

وأعضهت : صارت عضهة اي كثيرة العضاه وهو كل شجر يعظم وله شوك وما صغر من شجر الشوك فهو العض .

وأشوكت : كثرفيها الشوك . وغدرت : كثرفيها الغدر وهي الحجارة مع الشجر .

وأنصت : كثر نصيها وهو نبت سبط من افضل المراعي مادام رطباً فاذا ابيض فهو الطريفة فاذا ضخم و يبس فهو الحليّ .

وكلأت وكلِئت وأكلأت : كثر كلأها ومثله استكلأت .

وأكمأت : كثر بها الكمء .

رغضيت : كثر فيها الغضا وهو شجر عظيم من الاثل واحدته غضاة وخشبه من اصلب الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة وهو حسن النار وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ . وهو مكان مكليٌ وارض مُكلئة ومَكلأة وارض مِقصاب ومَقصبة ومَبهمة . ومفواة اي كثيرة الفوة . ووثيقة اي كثيرة العشب موثوق بها .

ومفروداء اي كثيرة المفاريد وهي ضرب من الكمأة . وغضياء كثيرة الغضا .

ومصْلاة كثيرة الصليان وهو نبات . وملازة كثيرة شجر اللوز . ومألاة كثيرة الألاء وهو شجر مر دائم الخضرة . وحليفة كثيرة الحلفاء وهو نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص ينبت في مغابض الماء والنزوز الواحدة حلفة وقيل واحدته

حلفاء . وطلِح كثيرة الطلح . وحميضة كثيرة الحمض . ومسبطة كثيرة السبط وهو نبات كالدخن مرعى جيد . وخضرة كثيرة الخضرة واليخضور . ومبطخة كثيرة البطيخ . ومدلبة كثيرة الدلب وهو شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر . ومرمنة كثيرة الرمان . وِمحلَسة : صار النبات عليها كالحلس لكثرته . ومخلأة كثيرة الخلأة ليس فيها حمض . ومرطبة كثيرة الرطب اي العشب . وشجراء كثيرة الشجر وكذلك الشجِرة . والشجيرة والمشجرة . والثمراء الكثيرة الثمر . ومتانة كثيرة التين . وغضياء كثيرة الغضا . ومذفورة : كثرت فيها البقول الذفراء . ومربال كثيرة الربل . ومُشرِسة وشرِسة كثيرة الشرس . ومجبأة كثيرة الجبأة . ومحِشٌ ومحَشَّة ومحِشَّة اي كثيرة الحشيش . وعاشبة وعشيبة كثيرة العشب . ومنبات كثيرة النبات . وأركة كثيرة الاراك . ومجازة كثيرة الجوز .

وقالوا أدبت الارض : كثر دباها والدبى الجراد والنمل الواحدة دباة . وأذأبت صار فيها ذئاب . وأذبّت : صارت ذات ذباب . وأفرشت : كثر فراشها . وضبُبت صارت مضبّة . و برغثت كثر فيها البرغوث . وبقّت وبقِقت وأبقّت كثر بقها . وهي ارض محياة اي ذات حيات . ومسبعة اي تكثر فيها السباع . ومدرجة كثر فيها طائر الدُرّاج . ومدبّة ذات أدباب . ومدباة ومدبية كثيرة الدبى . ومداكة ومديكة كثيرة الديكة . ومذابة فيها ذئاب . وذبوبة ومذبّة ومذبذبة ومذبّة اي ذات ذباب . ومربعة ذات يرابيع . ومرنبة ومؤرنبة كثيرة الارانب . ومزبرة كثيرة الزنابير . ومعقرة كثيرة العقارب .

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

حاجة الحروف العربية الى الاصلاح

كل غيور على اللغة العربية يحس بالحاجة العظمى الى وجوب اصلاح حروفها التي اصبحت عقبة في سبيل ترقية اللغة وسبباً قويا من اسباب انتشار الأمية بين ابنائها في عصر يقاس رقي امه بعدد القارئين فيها وماذلك الا لصعوبة تعلمها واتقان ربط بعضها ببعض اضف الى ذلك ما يحدثه تنوع تلك الحروف وعدم تناسبها وما توجبه قواعدالخط الفنية من تعدد حروف مطبعتها حتى تكاد تناهز الاربعمائة علاوة على ضخامة اجسام الحروف فان العادي منها وهو الذي تستعمله الجرائد لا يقل عن ١٨ بنطاً والمسبوك منها على جسم ١٢ بنطاً لا يكاد يقرأ بل لايكاد يسلم السطر منه من غلطة مطبعية وهناك عقبات اخرى كثيرة لا يدركها الا من عانى صف الحروف كتعدد بيوت الصندوق واستحضار الحروف المركبة من حرفين وثلاثة لتلائم قواعدالخط واختيار الحروف المختومة او المفتوحة حسبما تقتضيه الحروف التي تليها كما يقرره الخطاطون والمرتبون الفنيون الى مالا يحصى من تعب على العامل وضياع وقت وزيادة سطور في الصفحات وبذلك تتكلف نفقات الطبع وترتفع اثمان الكتب عن متناول عامة الناس خصوصاً الطلبة والصغار الذين هم احوج الكل الى المطالعة لتغذية عقولهم وتنمية مداركهم كما أنهم احوج الناس الى الاقتصاد لقلة ذات ايديهم • وما تقوله عن المطبعة ينطبق ايضاً على الآلة الكاتبة (تايبرايتر) بل هي اولى ان يعتني بها فالتايبرايتر العربية اليوم على مابذل فيها من جهود وتحسين لا اهمية لها ولا يدفع الناس الى استعمالها الا التقليد والفخفخة اذ لا فوائد جوهرية تترتب على استعمالها الكثيرة ما يقع فيها من الاغلاط للكاتبين المتوسطين في المهارة وهم الاكثر علاوة على قلة جمال حروفها لشذوذها عن قواعد الخط الجميل بسبب اضطرار صانعيها الى اختصارها وصنع حروفها متناسبة مع انها لاتتناسب بطبيعتها • وثالثة الاثافي صعوبة التعلم فيها وكلنا يعلم ان التلامذة يصرفون وقتاً غير قليل على تهجئة الحروف وربطها واملائها وفي ذلك ما فيه من ضياع وقت وتعب …

ولئن كان آباؤنا استطاعوا ان ينشروا الثقافة العربية ومن جملتها الحروف العربية في كثير من الامم التي اخضعوها فلأن السلطة كانت بايديهم ولأن حاجات تلك العصور لاتقتضي الاقتصاد في الوقت والمال كما يقتضيه العصر الحالي ولان الناس كانوا يعتنون بجمال الحروف اكثر مما يعتنون بجوهرها وفائدتها المعنوية ومن ذا الذي لايبهره جمال الخط العربي الذي هو تحفة من التحف التي تتجلى فيها الاذواق الشرقية باجمل مظاهرها ولكن الجمال شيء والمصلحة شيء آخر ومن الذي يؤثر الزوجة الجميلة الخاملة على العادية الصالحة الا اذا اتبع هواه وشهوته فهذا شيء آخر ، اما وقد تبدل الزمن ودالت دولتنا وذهبت السلطة من ايدينا واصبحنا محكومين بعد ان كنا حاكمين فقد توفرت عوامل اضمحلال تلك الثقافة اوالتراث المقدس اذا لم نتدارك النقص ونعالجه بحكمة واذا لم نستطع زيادة نشرها فلا اقل من ان ندافع عنها وندخل عليها الاصلاحات حتى تظل صالحة للبقاء ، وها قد كثر المتبرمون من ابناء اللغة نفسها فكيف بالاجنبي يا ترى ؟ فالعاقل البصير يعذر الكماليين في تركهم الحروف العربية واستعاضتهم عنها بالحروف اللاتينية وعذرهم انها لا تلائم الوقت الحاضر وهم يحاولون ان يعلموا الشعب التركي بامره ولاسبيل الى ذلك لصعوبة الحروف وتعدد تراكيبها وهي حقيقة يجب ان نعترف بها ونحسب حسابها ونسعى الى تلافيها لئلا نفقد امة اخرى من الامم التي تستعمل الخط العربي وهناك امة اسلامية غير الترك اخذت تترك الحروف العربية شيئاً فشيئاً ولن يمضي قليل من الزمن حتى تنقرض الحروف العربية عندها ونحن لانعلم بها لبعدها عنا وهي امة الملايو فاكثر بنيها اليوم اخذوا يكتبون بالحروف اللاتينية لان الحكومة الهولندية تشجعهم على ذلك ولها دعاة في كافة انحاء البلاد ولم في وضعية الحروف العربية حجة قوية لدعم آرائهم ونشر دعوتهم ولقد رأيت واحداً من الملايو يكتب بكليهما ولكنه يؤثر الحروف اللاتينية على العربية وعلمت منه ان الناشئة الجديدة كلها على شاكلته وقد قال لي لولا اضطرارهم الى درس القرآن لما كانت هنالك حاجة الى تعلم الحروف العربية اصلاً ! فاذا كانت بركة القرآن حالت دون خروج الملايو عن عائلة الخط العربي فماذا يمنع وثنيي السند الذين اخذوا يتركون خطهم العربي ويكتبون بخطهم السندي القديم المشتق من الحروف السنكرتية للأسباب نفسها كما ان كثيراً من مسلمي الهند في داخلية الهند كبنارس وما جاورها يستعملون الحروف البالبندية المشتقة

من القلم السنسكريتي في لغتهم الاوردو وقلمها الاصلي عربي ولهم في ذلك مطـابع وجرائد حتى الكتب الدينية اخذوا يطبعونها بها ماعدا القرآن وبعض المناسك والخط السنسكريتي وما اشتق منه جميل الوضع متناسب الحروف يدعو الى نفسه بنفسه ومع انه لا يخلو من تعقيد وزوائد لا فائدة منها ولكن طريقة تهجئته متقنة جداً حتى ان المتعلم الاجنبي لايجد في نفسه حاجة الى مراجعة معلم ما في النطق بالكلمات بلا خطأ فلا شذوذ في قواعده ولا تشابه بين حركاته فما عليه الا ان يقتبس من القواميس متى اتقن الكتـابة والقراءة وقد يعترض على ذلك بان الحروف السنسكريتية تناهز الستين عداً ولكن من المعلوم ان مخارج الحروف عند الهنود عديدة فبعض الحروف لها ثلاثة مخـارج ولكل مخرج حرف يرمز اليه حتى ان المسلمين اضطروا ان يضعوا عدة علامات او حروف في اللغة الاوردو المكتوبة بالحروف العربية ولست اقصد تحبيذ الخط السنسكريتي ولكني اخشى ان يكون مصدر خطر على الحروف العربية في الهند أم الملايين من البشر وهو خط حي منتشر كثير الاستعمال مألوف يتعلمه اكثر المسلمين في الوقت الذي نرى فيه مجددي ايران يدعون الى العودة الى استعمال خطهم القديم الفهلوي الميت لبساطته وهذه الفكرة تكاد تملأ ادمغة الناشئة الايرانية ولولا سقوط الملك أمان الله خان لكانت البلاد الافغانية اليوم أو في القريب العاجل تحذو حذو الاتراك ، ولقد اسهبت في الموضوع لأبين الخطر المحدق بالخط العربي وسوف يعود غريباً كما بدأ الى اهله هذا اذا لم يمنَ بحكام طائشين مقلدين او حكومات اجنبيـة مستعمرة كالحكومة الهولندية فهنـاك الطـامة الكبرى والقضاء المبرم الهائل .

وكثير من الناس الآن يتصور ان في اصلاح الحروف مساساً لشعائر الدين ولو علم ان الخط الذي نستعمله الآن هو من استنباط الوزير ابن مقلة في القرن الرابع الهجري وان خطي الرقعة والتعليق لم يشتقا الا بعد ذلك بزمان لزال عنه ذلك الوهم واصلاح ابن مقلة سبقته عدة اصلاحات على يد ابي الاسود الدؤلي وغيره ومن منا اليوم يستطيع ان يقرأ خطوط القرون التي سبقت ابن مقلة وخاصة ما كان منها في صدر الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه سواء في ذلك القلم المشتق من النبطي او الكوفي ومع ان مطابعنا في الايام الاخيرة اخذت تستعمل الخط الكوفي احياناً ويستعمله بعض الصحافيين

والناشرين لعنوانات جرائدهم وكتبهم فلا نكاد نتهجؤه الا بصعوبة وامعان نظر والانقلاب الذي احدثه ابن مقلة لم يعده علماء ذلك الوقت خروجاً على الدين والتقاليد القومية وهم اغير عليها منا الآن بل سرعان ماانتشرت قاعدته وطبقت العالم العربي برغم قلة وسائل الانتشار في ذلك الزمن وما ذلك الا لان الناس كانوا في حاجة عظيمة الى الكتابة السهلة البسيطة لارتقاء الدولة وكثرة الاعمال في الخاصة والعامة وكأني بهم كانوا يشعرون بنقص كتابتهم القديمة كما نشعر نحن الآن ويعانون نفس ما نعانيه ونحن لا نحاول ان نترك حروفنا العزيزة والتي هي رمز من رموزنا القومية ومفخرة من مفاخرنا بجمالها الفني البديع ولكن هذا الجمال لايكفي في عصر يتطلب السرعة والاقتصاد وما علينا الا ان نعيد عملية ابن مقلة بالتحوير والترتيب لنجعلها ملائمة للطبعة والآلة الكاتبة ولنا ايضاً مطلق الحرية في استعمال حروفنا الحالية في المكاتبات والعنوانات . اما المطبعة فيجب ان تضاهي المطابع الاخرى لتتمكن من تجهيزها بآلات اللينوتيب والمونوتيب المنتجة المفيدة او على الاقل تخفيض عدد الامهات في السبك العربي فانا مثلاً نجد ان المائة كيلو من الحروف اللاتينية تكفي لترتيب صفحات عديدة من الكتاب او الجريدة بينما هي لا تكاد تكفي لما يوازي ربع مقدارها من الحروف العربية ويمكن تلافي ذلك بما يأتي .—

(١) جعل الحروف ٢٨ حرفاً بسيطاً ونستغني عن بقية الحروف .

(٢) ان يراعى تناسب الحروف في حجمها حتى نتمكن من سبكها على بنط ٩ و٦ بوضوح وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه .

(٣) نقش بعضها وسبكه بهيئة خاصة حتى يصلح لأوائل الكلمات كحروف الكابيتال اللاتينية وجعل الحروف التي من جسم واحد بعضها اسود وبعضها عادي للعنوانات والاعلام وما شاكلها مما هو مصطلح عليه في المطابع الافرنجية .

واقرب الطرق الى تحقيق ذلك جعل الحروف مربعة الشكل ليسهل نقشها وتخينها وتدقيقها وجعل امتدادها افقياً لا عموديا ليمكن سبكها على البنوط القليلة ومن المعلوم ان الحروف الحالية تتألف من متصلة اولى ووسطى واخيرة ، ومنفصلة فتكون لها اربعة اشكال فلنكتف منها بحروف اليمين وبعض الوسط الحالية ليمكن وصلها بعضها ببعض من يمينها و يسارها بعد ان تجعل لها علامات تسبك على حدة لتميزها في وضعياتها ويمكن فصلها بوضع

الحواجز من الاجسام القصيرة التي تفصل الكلمات عادةً . ويكون شكلها هكذا :

ا ب ـا ـا جـ ـد ـخ ـد ـذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ط ل ء ز و ه ي

فهذه (٣٨) حرفاً ومتى علمنا ان الجيم والحاء يقومان مقام العين والغين اذا قلبتا امكننا ان نقتصر على (٢٦) حرفاً ، اما العلامات المميزة فتكون في بوضع شرطة أفقية محددة الرأس هكذا تضاف الى الباء والسين والصاد والفاء واللام والنون والياء وأخواتها في حالتي التطرف والانفراد كذا :

ـب ـت ـث ـس ـش ـص ـض ـف ـق ـل ـن ـي

وشرطة أخرى عمودية بمقف رأسها الاعلى لتتصل بالحروف الاخرى فتميزها في حالتي التطرف والانفراد كذا :

جم حم خم عم غم م

وبذلك تكون حروف المطبعة كلها (٣٨) حرفاً بسيطة او (٣٠) على الأكثر ماعدا الأرقام والترقيمات على ان هناك أحوالاً اذا اصطلح عليها يمكن بواسطتها ان يقلل من عدد الحروف كالاصطلاح على إهمال بعض المعجمات والاستعاضة عنها بقلب أخواتها فالسين تكون شيناً ، تكون تاء وهكذا فاذا أردنا ان نكتب اسم المجمع العلمي العربي بدمشق الشام كتبناه هكذا :

المجمع العلمي العربي بدمشق الشام

وهي لاتختلف عن الكتابة العادية كثيراً ومتى تعهدها الخطاطون الفنيون بالتطريز والتحسين وضبطوها بالاقيسة فلا شك انها تظهر بمظهر جميل للغاية وهذه كتابتنا لم تصل الى ما وصلت اليه الا في قرون عديدة .

هذا اذا أردنا مجاراة عواطفنا والمحافظة على تقاليدنا واصلاح حروفنا بحيث يحفظ اصلها وتبقى على ترتيبها المعمول به حتى يعم انتشارها بسهولة ويتعود على قراءتها بعد تمرن طفيف ولا تحتاج الى حكومة تنشرها بالمشانق ومحاكم الاستقلال في هذه الامة المتعددة الممالك والدول المتنازعة المختلفة والا فهنا طريقة أخرى ان استعملت فلن يبقى في الامة

العربية أُمي واحد وهي وان كنا متى استعملناها نضيع بعض تقاليدنا الأدبية ولكننا نحتفظ ايضاً بجزء منها . فالنا والحروف اللاتينية المركبة المويصة وامامنا حروفنا البسيطة المألوفة منا ألیس من الاصلح والانسب ان تكون الحروف تسعة فقط ! وعلاوة على ذلك فهي قابلة لان تكتب طرداً وعكساً اي من اليمين الى اليسار و بالعكس حسبما نريد ان نصطلح عليه . تسعة حروف ؟ نعم تسعة فكلنا يعرف حساب الجمل و يعرف قيمة الحروف الأبجدية وما علينا الا ان نستبدل الحروف بالارقام بعد تحرير طفيف في وضعية الاصفار وشكلها . ولكي تكون بسيطة سهلة وقابلة لان تتحول حروفاً جميلة يجب ان نعمد الى شكلها فنجعله مربعاً وبذلك تكون متناسبة متراصة فنرسمها هكذا : ١٢٣٤٥٦٧٨٩

. : [illegible] . لما هو عشرات و : للمئات و ⁝ للالف فتكون الألف ١ والباء ١.

والقاف :١ والغين [illegible] والياء [illegible] والكاف [illegible] والراء [illegible] والجيم ٣ واللام

[illegible] والشين [illegible] وهكذا الى ان تكون النقط الثلاث للغين فقط ويمكن ان نجعلها حرفاً قائماً بذاته مصطلحاً عليه . اما الارقام فيمكن ان نستعملها من نفس الحروف اذا خصصنا لها صفراً مربعاً متوسط الوضعية ١٠ ولتمييزها نحصرها بين قوسين او نضع لها علامة أخرى ويمكن ان نرسم اسم المجمع من اليمين الى اليسار هكذا :

[illegible] وبالعكس :

[illegible]

[illegible] (١٩٢٩) [illegible] سنة ١٩٢٩ ميلادية

[illegible] (١٣٤٨) [illegible] سنة ١٣٤٨ هجرية

تسعة حروف وثلاثة للنقط وكفى ، ومما لا ريب ان التلميذ الصغير والأمي الكبير في استطاعتهما ان يتعلما هذه الحروف في ظرف اسبوع واحد وفي شهر على الاكثر والستة اشهر كافية لتعلم ابلد البلداء ، وحينئذ يسهل انشاء المطابع والآلات الكاتبة

ويكثر سواد القراء وتنتشر الجرائد والمطبوعات لرخص أثمانها وتعم العلوم والمعارف وترتقي المدارك . أقول هذا حسب اعتقادي ، وقد يكون سخيفاً مضحكاً ، وقد أكون مخطئاً من حيث لا أعلم ، والعصمة لله وحده .

(الدمام : القطيف خليج فارس) خالد بن محمد الفرج

مطبوعات حديثة

خطط الشام
— الجزء السادس —
« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه الممتع هذه الموضوعات :

البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للخلوات — المدارس — الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقد العظماء — المستشفيات والبيمارستانات — دور الآثار — دور الكتب — الاديان والمذاهب — العادات والاخلاق . وعقب على ذلك بفصل « استدراكات وتصويبات » اودعه بعض مافاته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا نقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا نرى له حتى في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لا تعنى بشؤوننا عناية تفي حاجة الطالب ، والعربية على قلتها لا نرى فيها — في هذه المباحث الخاصة — ما نرى في هذا الكتاب من علم جم ، واحصاء عم ، مجموعاً مبوباً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف في كثير منها منشأها ومنشئها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الغابرة بما انشأه آباؤنا الاولون من مستشفيات ومدارس، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب وللآثار ، الى غير ذلك من مقومات الحضارة

والعمران ، رأيت المادة التي تريد مجموعة منسقة متسلسلة . وعمل مثل هذا لا يستطيعه الا رجل قضى ما قضاه الاستاذ من بحث ومطالعة وتقييد ومدارسة .

وتشهد في فصل « العادات والاخلاق » صوراً تمثل لك نفوس اصحابها واخلاقهم . وفي رأيي ، بل رأي كثير ممن مروا بهذا الفصل ان الاستاذ المؤلف في تصويره اخلاق هذه الفئة من الناس ، وفيها وصفه عامة الصحافة والقائمين بها ، قد ابدع بما ليس بعده غاية . فجاء هذا الفصل امير هذا الكتاب . وحبذا الاستاذ وهو يرد على من يرون « السكوت عن المعايب حتى لا يبدو عوارنا لغيرنا » .

« وكتمان العلة مدرجة الى الهلكة . والتاريخ لا يكتب على الهوى . ولا يملى لارضاء الناس . وما نخال منصفاً بصيراً الا ويعترف — وهو مثلنا جد آسف — ان ما اصاب هذه الديار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا لسوء اخلاق من تولوا من ابنائها امرها . وان من المستحيل بعد ان صرح الحق من محضه ، ان تؤلف الشام كياناً يذكر وتقوم في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولو اوتيت علم الجرمانيين واللاتينيين ، ورزقت غنى الانكليز السكسونيين . مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لا تعالج بالتقويم . ولا يحاول القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس وصديقك من صدقك لا من صدقك .

فصلته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا

وهذا كلام حسن ، واحسن منه العمل به مع الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، ولا سيما في مصلحة البلاد .

على اننا نأخذ على الاستاذ — وهو الذي يأبى الا ان ندلي برأينا الصريح وننتقد ما نحسبه محلاً للنقد — اشياء منها :

١ — انه استعان في بعض فصول كتابه بنفر من الفضلاء كتبوا في امور حسبها من اختصاصهم ، فأثبت ما كتبوه على عجره وبجره ، وعلى بعده احياناً عن روح الموضوع . وليس يرد على ذلك ان ما كتب انما كتب باسم صاحبه فاذا كانت تبعة ما كتب على الكتاب ، فتبعة المؤلف في الانتخاب .

خذ لك مثلاً ما كتب في الاديان والمذاهب ، فلقد كتب احدهم عن اليهود كتابة

تنحصر في التزلف الى المسلمين، والتقرب منهم، واظهارهم بمظهر الصديق الحميم . وليس من مثل هذا ، تعرف حقيقة اليهودية ولا سر دينهم .

وكتب احد القساوسة عن الارثوذكسية بعبارة بليغة شائقة ، غير انه تجاوز في بعضها حد الاعتدال ، فرمى خصومه بمستهجن من القول ، وكان همه التشنيع عليهم في البحث عن سر الارثوذكسية .

وبحث احد الآباء اليسوعيين عن الكثلكة بحث العالم ، على ما في هذا البحث من فلتات تعصب لا يجيزها تاريخ مدني ، وانتهى به البحث الى احصاء عجيب استوحاه من نزعات نفسه لا من سجلات النفوس الى غير ذلك من الشؤون التي « كتبت على الهوى وامليت لارضاء الناس » وهو ما نهى عنه الاستاذ في ما نقلناه عنه .

٢ — حبذا لو رجع المؤلف ايضاً في بعض عادات دمشق وحلب القديمة الى اصحاب السن العالية ممن شهدوا هذه العادات اوعرفوا شيئاً عنها كما فعل السيد عبد القادر القباني في ما كان كتبه عن عادات بيروت ، اذ ان اكثر ما جاء عن عادات هاتين المدينتين دمشق وحلب انما هو عن عادات اليوم لا العادات القديمة .

٣ — جاء في هذا الكتاب عبارات هي اقرب الى الترجمة او الى لغة دواوين الحكومة منها الى أسلوب الاستاذ السهل الممتنع . ووقع في ما كتبه بعضهم اغلاط في اللغة والاملاء كان حقاً على الاستاذ ان يصححها لان الكتاب بالجملة كتابه .

٤ — وددنا وجمهوراً من اصدقاء الاستاذ لو انه أسقط الفصل الاخير الذي ترجم فيه نفسه . فلقد ظهر من خلال السطور بل من السطور نفسها انه أراد امراً غير ترجمة نفسه وغير التاريخ .

هذا بعض ما بدا لنا . ونحن نشكر للاستاذ ان أحل كلماتنا السابقة في الاجزاء السابقة محل النظر ، فأورد شيئاً منها في فصل (الاستدراكات والتصويبات) وقد رد على بعضها رداً نترك امره للقارئ .

وها نحن نثني على الاستاذ الرئيس مرة سادسة ، لما أسداه الى أمته من الخدمة الصادقة في وضعه لها هذا السفر الجليل .

من اعضاء المجمع العلمي
عارف النكدي

اتحاف اعلام الناس

« بجمال اخبار حاضرة مكناس »

تأليف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط
سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ ص ٤٧٠ الجزء الاول

هذا كتاب صادر عن مدينة من مدائن العلم الاسلامي في الغرب الاقصى يسر له طلاب البحث . فقد ضم فيه مؤلفه الاستاذ بعض ماله علاقة بعمران هذه المدينة وتاريخها ورجالها فكان يجيد الوصف عندما يتخلى عن السجع ويضيع رونق الكلام اذا تشبث بالتسجيع وهو قليل . وتكثر الفوائد الملتقطة من تضاعيف صفحات هذه السفر فهو في الحقيقة تاريخ الغرب الاقصى السياسي والاجتماعي والادبي . وتاريخ الرجال هو تاريخ السياسة . وبهذا الكتاب عرفنا الحالة الاجتماعية والحركة الادبية في تلك البلاد العربية السحيقة . فالشكر للمؤلف الفاضل الذي نهج بكتابه نهجاً عصرياً في الجملة وحلاه برسوم بعض الرجال والاماكن والوثائق وقدمه الى مولاي السلطان محمد بن يوسف سلطان الغرب . وسيكون لهذا الكتاب الاثر النافع بعد اتمام طبعه من حيث معرفة من ظهروا من الرجال كما كان لكتاب الاستقصا للسلاوي في كشف احوال تلك البلاد السياسية .

م . ك

الاعلام

« تأليف السيد خير الدين الزركلي الجزء الثالث طبع بالمطبعة العربية سنة »
« ١٣٤٧ — ١٩٢٩ وبه انتهى الكتاب فبلغت صفحاته كلها ١١٨٧ »

تكلمنا مرتين في فائدة هذا الكتاب وسرعة متناول تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام وذكرنا مبلغ عناية الاستاذ المؤلف بالتدقيق . وقد بدأ هذا الجزء بحرف الكاف وانتهى بالياء وفي تراجم بعض المشاهير اختصار زائد وترجم لبعضهم من المعاصرين تراجم مطولة في الجملة وان كانوا لا يعدون في باب الانتاج العلمي

الا على شيء من التجوز او التكلف · و يزين هذا السفر النافع كما قلنا في الجزءين الاولين المعارضة بين التاريخ الميلادي والهجري وشكل الاسماء المشكلة من الاعلام والاشارة الى المطبوع او المخطوط من كتب المؤلفين · وهو مكتوب بسلاسة عرفت عن الاديب المؤلف فجاء كتابه تحفة لا يستغني عنها باحث يريد الوصول من اسهل طريق الى الوقوف على احوال الرجال في الجملة · فالشكر الجزيل للمؤلف على هذه الخدمة العلمية وعساه يوفق الى اصدار « المستدرك » لتتم به الفائدة · م · ك

اهداء مكتبة برمتها

سلّم السيد ابو الخير الكزبري ادارة المجمع العلمي العربي مكتبة اخيه الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري التي أوصى بها في حياته لدار الكتب الظاهرية وتبلغ (٤٠٠) مجلد وهي تشتمل على فنون متنوعة في التفسير والحديث واللغة والادب والتاريخ · منها مائة وخمسة عشر مجلداً مخطوطاً ومائتان وخمسة وثمانون مجلداً مطبوعاً ومن المخطوطات النفيسة خمسة عشر كتاباً منها ما هو محلى بالذهب والنقوش البديعة :

(١) جزء عم · بقلم حافظ عثمان الشهير محلى بالذهب وفواصل آياته بالذهب ايضاً كتب سنة ١٠٥٤ ·

(٢) مصحف شريف · بقلم محمد صادق محلى بالذهب ونفيس الجلد كتب سنة ١٢٨٢

(٣) أنعام شريف · محلى بالذهب بقلم احمد المعروف بنائلي ومموّه جلده بالذهب كتب سنة ١٢٠٤ ·

(٤) أنعام شريف ايضاً محلى بالذهب بقلم محمد سليم سنة ١٢٠٥ ·

(٥) آيات الشفاء مذهبة ونفيسة الخط بقلم محمد كاتب السراي السلطاني ·

(٦) الحزب الاعظم · محلى بالذهب وفيه نقوش بديعة جداً كلها بالذهب ·

(٧) مصحف شريف · محلى بالذهب بقلم مصطفى المعروف بحافظ القرآن سنة ١١٦٩

(٨) النفحات العنبرية في وصف نعل خير البرية لاحمد بن محمد المقري صاحب

كتاب نفح الطيب كتب سنة ١٠٩٦ وهي نفيسة الخط جداً وفي هذه النسخة صورتان للنعل الشريف مذهبتان ·

(٩) مجموع يشتمل على كتاب الرسالة لحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الواحد المعروف بالدقاق الاصبهاني في ٥٨ صفحة بقطع صغير كتب سنة ٥٣٠ هجرية وعلى كتاب منتقى ابي النصر بن حنون في علم الحديث كتب سنة ٦٠٥ وعلى فوائد ابي بكر الديباجي في الحديث ايضاً كتب سنة ٥٩٧ ·

(١٠) حكم ابن عطاء الله الاسكندري لاحمد بن احمد الفاسي المعروف بابن زروق عدد صفحاته (٦٦٠) وهو بخط محمد تقي الدين الدمشقي الشهير بابي شعر وشعير ·

(١١) مجموع فيه ثبت عبد الرحمن الشهير بابن الصناديقي · والقول السديد الحري باسانيد شيخنا الكزبري جمع ولده الشيخ عبد الرحمن الكزبري سنة ١٢١٧ ·

(١٢) المنظومة في الآداب · نظم احمد الكيواني ·

(١٣) المصباح في النحو للطرزي كتب سنة ١٠٧٥ و يليه كتاب الحدود للفاكي·

(١٤) سفر السعادة لابي طاهر محمد الفيروز ابادي الشيرازي (صاحب القاموس) (ص ١٣٠) مقابل على نسخة المؤلف كتب سنة ٨٥٢ ·

(١٥) مجموع فيه تراجم ابي المواهب الحنبلي واسماء شيوخ شمس الدين محمد بن علي الكامل وثبت شمس الدين بن محمد الكزبري والقول السديد في اتصال الاسانيد للمنيني ·

فالمجمع العلمي يشكر ورثة المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري وخاصة شقيقه الفاضل السيد ابا الخير على ما قاموا به من تنفيذ وصية فقيدهم المرحوم كما انه يدعو للفقيد بالرحمة والرضوان وان يثيب ورثته عن العلم خير الثواب ·

الجزء ٢ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

تصحيفات غريبة

في معجمات اللغة

« قَقَنَّس وقوقيس وقوق ومقونُس »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الألفاظ المقيدة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك ايضاً وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غويدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدَّمة للمؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة ويَنَّا سنة ١٨٨٦[1] ومن المعلوم ايضاً ان بعض الكتبة لما شغفوا بغريب الالفاظ استخرجوا احياناً تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة · ومن هذا القبيل لفظ القَقَنَّس الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارات تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالتي هذه الصغيرة ان شاء الله · جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج٤ ص ٣١٠) ما نصه[2] :

« (القَقَنَّس كعَمَلَّس) اهمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

(١) I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, في semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) مابين هلالين لفظ القاموس ·

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً بصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوماً ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون) بحسن صوته (ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فتنقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالعهدة عليه وقد ذكروه في شرح قوله (والدب حارث البرية فيه) بيت التلخيص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا [1] فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قرقيس [2] ثم ذكر قصته بمثل ماذكرها الدميري [3] وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم تنبت له اجنحة فيطير [4] طيراً فيفعل كفعل الاول من الحك والاحتراق » .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠ في الاسفل) :

---

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨—١٦٩٩م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ — ١٧٥٧ م) صاحب تآليف منها حاشية على القاموس ورحلة مهمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩—١١٤٠ هـ (١٧٢٧ — ١٧٢٨ م) . وقد سردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secols XVIII) أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤ ص١٣٥—١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالتي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Lrbia) في المجلة المذكورة (ج١ سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٥ — ٣٨١) .

(٢) لعله غلط مطبعي بدل قوقيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني . (٤) والصحيح « فيصير » .

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره[1] في قفنس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) ·

اما نسب وصف النقنس الوارد في القاموس الى الدميري فهو ظاهر من صاحب تاج العروس لان النقنس غير مذكور في كتاب حياة الحيوان الكبرى[2] وما قاله الدميري في قوقنس (او قوقيس كما جاء غلطاً في الطبعات) غير ذلك ومأخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه · ونص القزويني[3] هذا :

« قوقنش[4] طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب[5] هذا الطائر عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً للعش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تتأجج النار من حكهما في ذلك الحطب و يشتعل و يحترقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لا القزويني الذي لا ذكر للنقنس والقفنس في كتابه ·

(٢) وعلى كل حال ولو كان ذكر النقنس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما اذ المؤلفان معاصران فعاش الدميري من سنة ٧٤٥ الى ٨٠٨ هـ وعاش الفيروزابادي من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧ ·

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüsten-feld, Gôltingen 1849 (ج ١ ص٤٢٣) · وفي الطبعات المصرية من كتاب عجائب المخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى ·

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقيس » الوارد في الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضعين المذكورين آنفاً · ويظهر أن الدميري نفسه كان قد كتب « قوقنس » بالنون لانه جعله بين القُوق والقُوقي في كتابه المرتب على ترتيب حروف الهجاء ·

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا · انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalusi al - Garnati, Paris 1925 (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) ص ٢٤٠—٢٤١ ·

يبقى[1] الدود منه ثم ينبت لها جناح وتكبر فتصير قوقنساً[2] كما كان اصله ثم يفعل ما فعل اصله » ·

اما المصراع المذكور في تاج العروس فمن مرثية ابي العلاء المعري لفقيه حنفي مجهول الاسم · قال في البيتين السابقين للاخير[3] :

بان امر الاله واختلف النا س فداع الى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اختلافاً غريباً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعنيّ به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأي يوسف بن طاهر الخويي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه ناقة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني[4] · ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً لكون المسند اليه موصولاً[5] واتخذه بعده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفتاح شاهداً لتقديم المسنداليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت القفنس · قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

(١) وفي الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « تولد » او « يتولد » وهو اصح · (٢) وفي الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « طيراً » ·

(٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي العلاء المعري (ج ١ ص ٢١٧) من طبعتي بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣— ١٣٠٤) ·

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفتاح · واليه ذهب ايضاً سعد الدين التفتازاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما · (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ص ٩٨ ·

بلاد الهند اسمه ققنس يضرب به المثل في البياض وله منقار طويل وهو حسن الالحان يعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حواليه و يضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله » . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح التفتازاني المختصر لتلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له القنفس يضرب به المثل في البياض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبة على عدد ايام السنة اذا صوت يخرج من كل واحدة منها صوت حسن يعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه ونفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا » .[1]

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذكور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا سبيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالهيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣ — ١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجده في الترجمة اللاتينية لفن الحيوان من طبيعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في ايطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) بامر الانبراطور فريدريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٢٠ من طبعة غوتنجن) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعمائة سنة و يتزاوج اذا اتى عليه خمسمائة سنة فاذا حان وقت بيضها وجدت لذلك ألماً شديداً فيأتي الذكر بماء البحر في منقاره و يحقنها به فيخرج البيض بسهولة فيحضن الذكر البيض والانثى تمشي تصيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب الفه ابن يعقوب المغربي بمكناسة سنة ١١٠٨ هـ .

وخمس وعشرين سنة فاذا كبر الفرخ فان كان انثى فالعنقاء الانثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى يتوقد منه النار ويضرم في ذلك الحطب والانثى تدخل تحت النار حتى تحترق والفرخ يبقى زوج الذكر وان كان الفرخ ذكراً فالعنقاء الذكر يفعل مثل ما فعل الانثى ويبقى الفرخ زوج الانثى » .

اما الدميري مع كثرة نقله عن القزويني ومع اطالة الكلام في العنقاء فلا يذكر ذلك وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة (العاشرة للميلاد) لان ابا الحسن بن بهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي[1] المؤلف قبيل سنة ١٠٠٠ م :

« (فونيكس) عنقاء مغرب تحرق نفسها وتصير دودة ثم يتولد منها حيوان مثل الاول . (فونكوس) او (فونكس) ... طير يسمي ققنس (فونيكس) قيل يعملون من ريشه منديل واذا اتسخت يلقونها في النار فتنظف وتنقى وهي تصلح للملوك[2] ... (فونيكس) الوحيد

(١) Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule, ed, R. Duval, Pazisiis 1888 - 1896 عمود ١٥١٤ — ١٥١٥ . وعربيته كثيرة اللحن كما يظهر مما أنقله بدون تغيير لان اللحن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات الموضوعة بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الاصل .

(٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر السرياني سَلَمَنْدْرَا وهي ما يسمى في كتب العرب السَّمَنْدر او السَّمَيْدر اوالسمند او السَّمَنْدَل او السَّبَنْدَل تقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار واذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير المؤثرة بالنار المجلوبة من أقاصي البلاد الاسيوية كانت من وبره او ريشه . والحقيقة ان كل هذه الألفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضاً لاتينية وايطالية و بالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحرذون موجود باوربا كان القدماء يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يجتاز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب فعند اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهند

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) العنقاء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسمائة سنة اذا أراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني ويجعله في مكان ويحك نفسه عليه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة وتنشو وتصير فروج ويصير لها جناحات وبعد سبعة ايام تصير عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً ققنس » .

* * *

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات العجيبة وقالوا بالفارسي (ققنُس) او (ققنوس) « بقافين اولاهما مفتوحة وثانيتهما ساكنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قُوقُنُس) « بقافين ايضاً ثانيتهما بالضم كالنون التالية » او (قوقنوس) . وأطال الكلام في ققنس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فريد الدين عطار[1] في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطق الطير[2] وقال ما هذا ملخصه :

يوجد في بلاد هندوستان القَقَنُس[3] وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنهم من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الفتيلة (amiante) ذهبوا الى ان مادتها ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الايطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر واوائل الخامس عشر للميلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda) .

(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩—١٢٣٠ م) .

(٢) Mantic uttaïr, ou le Langage des oiseaux' poème de philosophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥ — ٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦—١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣ م .

(٣) ققنس بالفارسي وققنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

طويل فيه نحو مائة ثقبة لكل منها صوت وفي كل صوت سرّ خاص . فاذا صوّت بانغامه تحركت الطيور والسمك وسكنت الوحوش طرباً . ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلّم من صوته علم الموسيقى . وليس للققنس أنثى فيعيش منفرداً ويطول عمره الف سنة تقريباً وهو يعرف وقت موته وعند قربه يجمع حوالي نفسه اوراق نخل ويصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثير من الحيوانات . وفي أوقاته الاخيرة يحرّك أجنحته وريشه فتسبب هذه الحركة ناراً تحرق الخشب والطائر ويصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد قَقْنُس صغير .

واستدل فريد الدين عطار بهذه الحكاية على استحالة الفرار من الموت مهما كانت الحيل التي ديرها الانسان .

وحكاية فريد الدين عطار ادرجها مير علي شير نَوائي في منظومته بلغة جغتاي (اي التركية الشرقية) المسماة لسان الطير واسم الطائر فيها ققنوس[1] .

* * *

يتضح عند التأمل في هذه النصوص العربية والفارسية ان القَقْنَس والقُقْنُس والقوقنش والقوقيس وما اشبه ذلك في الحقيقة شيء واحد وان اقوال العرب والفرس فيه ناشئة عن جمع شيئين مختلفين :

(١) الطائر المائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cycnus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأوز الا انه أشد منه بياضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يضرب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش مير علي شير نوائي في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد . اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة بلتينكراد سنة ١٩٢٨ م ص ٧٣— ٧٤) .

ولم يزل يضرب عند الافرنج . وكان القدماء يزعمون[١] انه عنـد الاحساس باقتراب الموت يصوّت بالنغمات العجيبـة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائج ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شـاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر . وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية القَقْنُس» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائقة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن الختام .

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق[٢] للقـاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨م حيث قال المؤلف ايضاحاً لتعريف العرضي اللازم : « واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود للزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمى ققنساً[٣] » . ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

---

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك . اما ارسطوطاليس فاقتصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) « من عادته ان يغرّد لا سيما اذا اقترب من الموت » .

(٢) هو كتاب كاد يجهل تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقرأه في الازهر . ويقرؤه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجده ايضاً في كتب الحيوان العربية » . ثم قال ان احد المطلعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ . وفات الشيخ كلمة القَقْنُس وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان القَقْنُس هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالايطالية

ان الساوي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زمانا » (١).

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiuiks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالايطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها (٢) فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جعله بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية (٣) عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتى النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتحريف ان كتبة العرب والفرس المسلمين أصبحوا غير مميزين بين (phoinix) (فونقس او فنقس) و (kyknos) (قوقنس او ققنس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا قوقنوسا بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطوطاليس هذا الطير بتة في كتابه في الحيوان .

(٣) اقول هذا لان السريان نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكس او فُونِكس او فونِكُوس فلو أخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونخس او فنخس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء تقريباً بالسريانية . انظر نص بَرْبهلول النسطوري المذكور آنفاً .

عند القدماء في شأن طائرين مختلفين احدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً ·

وعلى كل حال فان القَقْنَس المذكور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من كتب اللغة وان نقل به حبيب افندي بسترس لفظ (phoinikś) لما عرّب ترجمة (Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس [١] وأظنه الكاتب العربي الوحيد الذي استعمل كلمة ققنس ·

والذي يجب ادراجه في القواميس العربية بدل القَقْنَس اثنان : (١) قُوقُنُس او قُقْنُس وهو (kyknos) اليونان · (٢) فورنقْس او فُنِقْس وهو(phoiniks) القدماء ·

ومما اراه ايضاً تصحيف قوقس او ققنس (kyknos) كلمتان لم يذكرهما الجوهري المتوفى فيما بين سنة ٣٩٣ و٣٩٨ وانما فيدهما المتأخرون من علماء اللغة اوالخبيرون بعلم الحيوان·

الاولى منهما قوق · قال ابن منظور الافريقي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل لحم الجسم وانشد * كأنك من بنات الماء قوق * » · وقال هذا ايضاً السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ بزيادة « عن الليث »[٢] قبل « وانشد » · وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٢١) من طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر مائي طويل العنق قاله في العباب[٣] » ·

---

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم من الفرنسوية بقلم ··· حبيب افندي بسترس · بيروت سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ م ·

(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للخليل الفراهيدي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة · ولا أعرف هل اصاب صاحب تاج العروس بزيادته هذه ·

(٣) يعني العُباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (او الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ — ١٢٥٣ م) · ولشغفه بالزيادات على كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون وليس لها اصل سوى التحريف او التصحيف كما دلّ عليه الاستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً ·

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب المخلوقات .

ان وصف هذا الطائر يناسب القَقنس تمام المناسبة . واقتصار المؤلفين ولاسيما الدميري على هذا الوصف بغير ادنى اشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته — يدل على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالقوقنس (kyknos) . فالارجح ان المراد بالقرق هذا الطائر .

اما الكلمة الاخرى التي أظنها ايضاً تحريفاً أُدخل غلطاً في بعض معاجم اللغة فالمقوقس حيث يزعم انه اسم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .

قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوّق طوقاً سواده في بياض كالحمام) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة كلامه في قصة المقوقس المصري الشهير اقتصر على ما وجده في القاموس فيما يخص الطائر قائلاً (ج٢ ص ٢٧١) : « المقوقس طائر معروف مطوق سواده في البياض كالحمام » . فالغالب على ظني انه من تحريفات قوقنس (kyknos) ايضاً .

* * *

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (قوقنوس) في كتب طبية عربية تسميةً لانواع خاصة من الشيافات (اي من الادوية للعين) وان اهملت كتب اللغة هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمى أطباء اليونان أنواعاً من الشيافات (kyknos) تشبيهاً لبياضها ببياض الطائر فاتخذ كحالو العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه قوقنوس وهو مذكور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعتنى بنشره وترجمته الى الانكليزية وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة١٩٢٨م . انظر ص١٨٧ و٢٠٨ — ٢١٠ من الاصل او (119 و142 - 140) من الترجمة .

رومية : كارلو نلينو

عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— ٢ —

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي وابو منصور عبدالله بن جبير النصراني قالا حضرنا مجلس ابن الفرات وقد عملت مؤامرة لابن حبش العماني وكان يتقلد الذاب ونهر سابس(١) في ايام وزارة عبيد الله بن سليمان فأخذ ابو العباس وابو الحسن يناظرانه عليها الى ان الزم خمسة وعشرين الف درهم من ابواب صحيحة وطولب بادائها واخذ خطه يصححها(٢) فصحح خمسمائة واربعين طول المدة والط(٣) بالمال . فقيد فلم ينفع وضرب سبع مقارع فلم يؤد . وكان اذ ذاك اذا خرج بانسان من العمال الى هذا القدر ونحوه من المكروه فعندهم انه النهاية . فاخرجه ابو العباس الى حضرته وطالبه بالمال فاقام على انه لا شيء معه وان ضيعته وقف . فقال له ويلك لا اعرف اجهل منك اذ كان هذا صبرك على المكروه واسلامك لنفسك وبذلك لها فلم لم تأخذ اصل الارتفاع فانا ما كنا نعمل بك اكثر من هذا . ولكن ان شئت فانا ادع عليك هذا المال واصرفك الى منزلك . ولكن بعد ان كشف للوزير صبرك على المكاره فلا تتصرف والله في ايامه ابداً ويذهب خبرك . قال فقلق من ذلك . وسأل ان يخفف عنه شيء من المال ليؤدي الباقي .

«١» م.ع : بضم الباء قرية بواسط اضيف نهرها اليها . «٢» لعله : تصحيحها . «٣» م.ع : اي جحده .

فا .رحنا حتى تقرر امره على بعض المال واداه وانصرف .

حدثني (١) ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول ناظرت الجهظ احد العمال على مؤامرة قد عملناها له وكنت انا واخي جعلنا نأخذ خطه بباب باب فلما كثر ذلك قال لي سراً ليس الشأن في الخط . الشأن في الاداء . ستعلمون انكم لا تحصلون على شيء فسمعه عبيد الله لانا كنا في مجلسه فقال له اعد علي ما قلت فاضطرب فقال لابد ان تعيده فاعاد ذلك فقال اذاً لا تلي لي والله بعدها عملاً ابداً قم عافاك الله الى منزلك . خرق يا غلام المؤامرة قال فخرقت في الحال وانصرف الجهظ الى منزله فما صرفه عبيد الله بعد ذلك وشاع خبره فتحامى الناس كلهم استخدامه فهلك جوعاً في منزله حتى بلغ انه احتاج الى الصدقة .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله زنجي الكاتب قال حدثنا ابو العباس بن الفرات قال كتب صاحب الخبر بمدينة السلام الى اسماعيل ابن بلبل في وزارته الاولى للمعتمد بان مغنية من جواري بدعة الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذاك معطل بهذا الصوت فاستعاده وطرب عليه :

عادات طيء في بني اسد ري القنا وخضاب كل حسام
لهفي على قتلى النباج(٢) فانهم كانوا الذرى ورواسي الاعلام

« ١ » كتاب الوزراء ص ٧٧ . « ٢ » « م . ع » النباج ككتاب قرية على عشرة اميال من البصرة وبها يوم لتميم على بكر .

كانوا على الأعداء سيف محرق ولجارهم حرماً من الاحرام
لا تهلكي جذعاً فاني واثق برماحنا وعواقب الايام

فانهى اسماعيل ذلك الى المعتمد وقال هـذا يسعى عليك ويتمنى لك الدوائر ويتربص بك فامر بنفيه الى مصر فكان مضيه اليها تلفه .

حدثنا ابو الحسين قال سمعت ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قبل الوزارة يتحدث قال حدثني ابو عبدالله حمد بن محمد القنائي(١) الكاتب قال ابو الحسين وكان ابن اخت الحسن بن مخلد وكان قد خلفه دفعات على ديوان الخراج ومرة على ديوان الضياع ثم ولي اعمالا جليلة من العمالات والدواوين منها ديوان المغرب ومات وهو يتقلد ديوان الخراج والضياع العامة بالسواد وما يجرى فيه وقد رأيته وتعلمت بين يديه وسمعته يتحدث باشياء ولم اسمع هذا منه قال سليمان قال لي حمد سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد الى ابن طولون لما نفي اليه — عن السبب الذي دعا ابن طولون الى قتله فقال لما ورد عليه تناهى في اكرامه وبره واعظامه ثم انس به حتى نادمه وصار يشاوره في مهم اموره فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد فعظم عليه امر السلطان وخوفه من العصيان فقبل رأيه ثم طوالب ابن طولون بمال الوظيفة التي كانت عليه فقال لابن مخلد ما رأيت اعجب من جهل هذا المخذول يعني الموفق يطالبني بالوظيفة وهو عاص على الخليفة. الى من احمل؟ فقال له لا تفعل

(١) «م . ع» : كذا في الاصل ولعله القنائي فقد قال ياقوت : دير قنا من اعمال النهروان نسب اليه جماعة من الكتاب والنسبة اليه قنائي وسيأتي في صفحة ٥٢ انه القنائي

فان الامور اليه والجيش معه وان منعته المال قصدك وحاربك فقام في نفس ابن طولون انه دسيس (١) للقوم عليه وقال لو كان هذا عدواً للقوم ماشار علي بهذه المشورة وانما هو دسيس على ملكي ليأخذ البلدان مني لهم ويزهني ويستخرج البلدان مني باللطف. فشكر له ثم امر بالقبض عليه وحبسه وكان جبانا فلم يحب مع الحاشه له ان يفلت في وقت من الاوقات فدس اليه في شربة فقتله بها. وجد الموفق(٢) وانفذ اليه المعتضد في الجيش واخرج احمد بن طولون خمارويه اخاه(٣) لمحاربة المعتضد فتحاربا فانهزم كل واحد منهما من صاحبه وهو لا يعلم ان صاحبه قد انهزم فضرب الناس بهما المثل وقالوا صبي لقى صبياً وهكذا تكون محاربة الصبيان قال فلما جرت هذه الحال تندم احمد ابن طولون على قتل الحسن بن مخلد وقال صدقني فلم اقبل منه واتهمته.

حدثني(٤) ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال قال لي ناقد خادم ابي وثقته وكان يتولى نفقة ابي: ما رأيت اجسر من مولاي على اخذ مال السلطان ومن ذلك اني باكرته يوما وقد لبس سواده ليمضي الى دار المعتمد وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة والتوقيع وبيت المال فقلت له قد صككت (٥) علي البارحة للعاملين بالف وستمائة دينار وما عندي من ذلك حبة واحدة فقال لي يا بغيض تخاطبني في هذه الساعة

«١» «م.ع»: دسيس فعيل بمعنى مفعول هو من تدسه ليأتيك بالاخبار. «٢» م.ع: كذا في الاصل. «٣» الصواب: ابنه. «٤» كتاب الوزراء ص ٧٧. «٥» م.ع: صك الرجل للمشتري صكاً كتبه. وهو الذي يكتب في المعاملات والاقارير.

اين كنت عن خطابي البارحة لاوجه لها وجها ولكن اتبعني الى دار السلطان فتبعته ودخل الى المعتمد مع عبيد الله بن يحيي الوزير ودخل معهما احمد بن صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج فلما خرج قال لي امض الى صاحب بيت المال فخذ منه ما يسلمه اليك فظننته قد استسلف على رزقه شيئاً فمضيت الى صاحب بيت المال فسلم الي ثلاثين الف دينار فاستعظمت ذلك وعلمت انه ليس من الرزق وحملتها الى الدار وعرفته خبرها فقال لي أنفق منها ماوقعت به اليك واحفظ الباقي فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا ومضى للحديث ايام ودعا دعوة فيها صاعد بن مخلد واليه اذذاك عدة دواوين وجماعة من الكتاب واكلوا وناموا وانتبهوا فاذا كاتب من كتاب احمد بن صالح ابن شيرزاد يستأذن فاستأذنت لدخوله على مولاي وكانوا قد بدأوا بالشرب فترك مولاي المجلس وخرج الى بيت خلو واستدعى الرجل فادخله اليه فسمعته يقول اخوك ابو بكر يقرأ عليك السلام يعني احمد بن صالح ويقول لك انت تعرف رسمي مع صاحب بيت المال وان محاسبته في سائر الاموال التي وانا اذا تمت ثلاثون يوماً وجهت صاحبي الى حساب بيت المال(١) فحمله مع صاحب بيت المال لينظم دستور الختمة بحضرتي واصحح حكاياتها ونحن منذ عشرة ايام في هذا حتى انتظمت الحسبة ولم يبق الا ثلاثون الف دينار ذكر صاحب بيت المال انك خرجت اليه من حضرة امير المؤمنين فامرته بحملها الى خادمك ناقد ولست ادري في اي جهة صرفت ولا في اي باب ثبتها

«١» عند هلال وجهت حاجبي الى الخازن .

ولا ماالحجة فيما قال فاجابه مولاي بلا توقف وقال يأخي ابو بكر والله وقع اسأل انا الخليفة في اي شيء صرف ما امر ان يحمل الى حضرته يجب أن يكتب في الختمة وما حمل الى حضرة امير المؤمنين في يوم كذا وكذا ثلاثون الف دينار قال فقام الكاتب خجلا ومر ذلك في الحساب على هذا فما تنبه احد عليه وحصل له المال قال ابو الحسين فقال لي سليمان بعقب هذه الحكاية ما رأيت لهذه الفعلة شبيهاً الا ماعمله ابي الفرات في وزارته الاولى فانه نصب يوسف بن فنحاس(١) وهارون بن عمران الجهبذين فلم يدع مالاً لابن المعتز ولا للعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة وما صح من مال المصادرين وغيرهم ممن يجري مجراهم الا أجراه على أيديهما دون يد صاحبي بيت المال العامة والخاصة(٢) وأفرد لذلك ابن فرجويه كاتبه يحاسبهما ولا يرفع لهما حساب الى ديوان من الدواوين فلما كان في السنة التي قبض عليه فيها كتب كتابا عن نفسه الى مؤنس الخادم صاحب بيت المال ذكر فيه انه حوسب يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران على ماحصل عندهما من كيت وكيت حتى استغرق تلك الوجوه فكان الباقي قبلهما بعد الذي حمل الى حضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه وصرف في مهمات أمر بها هو والسادة أيدهم الله من الورق الف الف وأربع مائة وسبعين الف درهم

«١» م.ع : في تاريخ الوزراء فنحاس . «٢» م.ع : كذا في الاصل وذكر بعضهم ان المال يومئذ ولكن في تاريخ الوزراء بيت مال الخاصة والعامة .

وخمسمائة وستة واربعون(١) درهما وامر بقبض ذلك منهما وايراده بيت مال العامة (٢) فقبض مؤنس منهما تلك البقية ومضى الاصل كله لا يعرف في اي شيء صرف وكان مبلغه فيما ظنه الكتاب وكانوا يتعاودونه (٣) نحو الف الف دينار فان ابن الفرات فاز بجمعها(٤) ولم يقم بها حجة عليه قال ابو الحسين فحدثني ابي بعد ذلك قال لما قلدني علي بن عيسى في وزارته الاولى ديوان الدار الجامع للدواوين امرني باحضار هذين الجهبذين ومطالبتهما بختماتهما لما كان حصل في ايديهما في وزارة ابن الفرات الاولى من الجهات التي تقدم ذكرها فاستدعيتهما وطالبتهما فاحالا(٥) ان ابن الفرات أخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه فامر بحبسهما وتهديدهما ففعلت ذلك فاحضراني حسابا مبتورا ذكرا أنهما وجداه فرأيته غير منتظم فلم أزل أرفق بهما الى ان أقرا انه قد وصل اليهما من فضل الصرف فيما بين ما ورد عليهما وبين ما أنفقاه مائة الف درهم فجعلتها عشرة آلاف دينار وقررت أمرهما عليها وأخذت بها خطوطهما فلم يقنع علي بن عيسى بذلك وأخذهما من يدي وسلمهما الى حمد بن محمد وكان اليه ديوان المغرب وأمر ان يتبع أمرهما بنفسه وكان حسن الكتابة ولم يعرفه اني أخذت خطهما بشيء فتتبع حمد ذلك فلم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة والسادة وأشياء صرفت الى خاص ابن الفرات

«١» م.ع : الصواب واربعين ليتسق الكلام . «٢» م.ع : في تاريخ الوزراء : بيت مال الخاصة . «٣» م.ع : كذا في الاصل ولعله يتعاورونه اي يتداولونه بالعد او التخمين «٤» لعله بجميعها . «٥» م.ع : في تاريخ الوزراء فاحالا على ان .

فقال له حمد هـذا كله مسروق والقوم معهم حجج بالابراء وما عليهم طريق وابن الفرات كان أجلد من ان يدع هوءلاء يفوزون بحبة من المال فردهما الي وقال اجتهد في ان تأخذ منهما مائتي الف درهم فقلت لا يمكن ذلك فقال اعمل على اناث طالبتهم(١) بمرفق لنفسك بتمام مائتي الف درهم فقلت له فاذا فعلت هذا فاي شيء أعمل أنا لنفسي قال خذ منها عشرين الف درهم والزمهما مائة وثمانين قال فخرجت وجددت بهما الى ان ألزمتهما ذلك وأخذت لنفسي منه ما قال فلما فرغنا من ذلك أخذنا بها خطوطهما واخذنا لهما خطه بالبراءة من ذلك فقال لي علي بن عيسى سأريك موضعي انا من العمل وان للرئيس في كل أمر موضعاً(٢) لا يقوم فيه احد مقامه فاستحضرتهما الى حضرته وانا في مجلسه فقال لهما تريدان مني ان أزيل عنكما تبعة ان لم ازلها بقيت عليكما وعلى ورثتكما ابد الدهر لست افعل هـذا الا بشيء يقرب لا ضرر عليكما فيه وهو اني احتاج في كل هلال الى مال أدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر الى الرجالة ومبلغه ثلاثون الف دينار وربما لم يتجه في اول يوم من الشهر ولا الثاني وأريد ان تسلفاني في أول كل شهر مائة وخمسين الف درهم ترتجعانها من مال الاهواز في مدة الشهر فان جهبذة الاهواز اليكما فيكون هذا المال سلفاً لكما(٣) أبداً واقفاً لا اضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد التي (٤)

«١» م.ع : كذا في الاصل والصواب طالبتهما . «٢» بالاصل : الرئيس في كل موضع . والصواب عند هلال . «٣» م.ع في تاريخ الوزراء سلفا واقفاً لكما الخ .

«٤» بالاصل : الى ان . والصواب عند هلال .

رد في أول كل شهر وهي عشرون الف دينار فيكون ذلك بازاء مال القسط الاول من النوبة فيخف عني ثقل ثقيل فتأبيا ساعة فلم يفارقهما حتى استجابا لذلك فقال لي علي بن عيسى كيف رأيت فقلت ومن يفي بهذا الا الوزير أيده الله تعالى قال وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل(١) عشرة آلاف دينار بربح دانق ونصف فضة في كل دينار وكان يلزمه في كل شهر الفان وخمسمائة درهم أرباحاً فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامهما مدة ست عشرة سنة وبعد وفاتهما لانهما ما صرفا الى ان ماتا فكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان السلطان لا يرى صرفهما ليبقى جاه الجهبذة مع التجار فيقرض التجار بالجهبذ اذا دفعت الضرورة ومتى صرف الجهبذ وقلد غيره(٢) لم يعامله التجار وقف امر الخليفة .

حدثنا ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن جني الكاتب وكان ابوه مغنياً وهو من أغنياء الكتاب قال حدثني ابن ثوابة الكاتب قال حدثني أبو الفرج بن نجاح بن سلمة عن ابيه عن الفضل بن مروان قال كنت أتولى مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد وكان يجيئنا الى الديوان شيخ من بقايا كتاب بني امية وكان صاحب الديوان يقول لنا هذا اكتب اهل زمانه وكان يلبس دراعة وقلنسوة كسا كاسية (٣) النصارى وخفاً أحمر

«١» م . ع كذا في الاصل ومثله في تاريخ الوزراء . «٢» م . ع لعل الأصل ولم امله او . ووقف امر الخليفة . «٣» م . ع : كذا في الاصل . ولعله كاكسية .

وكان هذا زي المتعطلين من الكتاب إذ ذاك وكان صاحب الديوان يكرمه جداً فصار إلي في يوم من الايام لحاجة عرضت له وأنا متشاغل بعمل مهم قد طلبه الرشيد وانا جالس حيال صاحب الديوان اعمله فقصرت في حق الشيخ ولامني صاحب الديوان على تقصيري به ووبخني فاعتذرت اليه بشغل القلب فلما كان بعد ايام جاءني فزدت في اكرامه وقمت اليه وجلست بين يديه فاقبل علي صاحب الديوان فقال احسبك مانبت فتانا على تقصيره أولا ثم أقبل علي وقال يافتى كنا نعد الصناعة نسباً والنعمة نسباً واللغة نسبا والنحلة نسبا.

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو عبدالله الباقطاني قال حدثني ابو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان وكان كاتب المأمون على ديوان الضياع قال ميمون سمعت الفضل بن مروان يقول لا ينبغي لاحد ان يحقر احداً ولا يأيس (١) من علوه فاني كنت في حداثتي اتوكل لهرثمة بن أعين في مطبخه ايام الرشيد وكان بخيلا وكان له خادم يشرف على مطبخه وأجرى علي خمسة عشر درهما في الشهر ووظيفة خبز فلما كثر توفيري عليه صيرها عشرين درهما وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً فسأل الخادم عن اكلي فعرفه اني لا آكل فامره ان يطعمني من المطبخ كل يوم ويوفر الوظيفة على منزلي فدعا يوماً دعوة عظيمة فوفرت عليه في الاسعار الف درهم وعرضت عليه بذلك عملا وسره وحسن موقعه منه وكان بخيلا جداً فقال يوماً قد استحققت الزيادة

«١» م٠م : أيس يأيس بغير همزة بمعنى يئس.

فكم تحب ان أزيدك فقلت لا أقل من عشرة دراهم اخرى فقال هذا كثير ولكن اربعة دراهم فأيست من خيره واتفق له بعد ذلك خروج عن مدينة السلام فتماللت عليه ولم اتبعه ولزمت الديوان وتمهلت فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد وكان ذلك اول اقبالي وتخرجت وزادت حالي مع الايام فلما ولي المأمون وعظم من أمر المعتصم كان المعتصم شديد المحبة للصيد وكانت فتنة محمد المخلوع قد صرفت ما كنت جمعته من «١» ضياع وبساتين بالبردان«٢» وصاهرت بعض تنائها«٣» واجتمعت لي حال فلما انجلت الفتنة كنت من وجوه البردان فاجتاز بها المعتصم منصرفاً من صيده مسرعا وليس معه من اصحابه كثير«٤» احد فاجتاز في الطريق وانا واقف على بابي فتوسمت فيه الجلالة وقدرته احد وجوه القواد وكان لي وعد على عامل البلد ان يكون ذلك اليوم في دعوتي وقد اعددت له طعاماً وفيه جداء وحلواء وفاكهة كثيرة وثلج استدعيته من بغداد وكان قبل ذلك بساعة قد جاءني خبر العامل انه عرض له مهم في السواد فخرج لوقته فلما رأيت المعتصم وتوسمت فيه الجلالة قلت لم لا اخلف«٥» على هذا القائد واضيفه عندي على هذا الطعام المعد قال فكلمته وسألته النزول عندي فاجاب ونزل واكل وشرب وانفذت في الحال فاستدعيت له قيانا وجلس يشرب وقد انبسطت بين يديه وخدمته

«١» الصواب في . «٢» م.ع : هي قرية على سبعة فراسخ من بغداد .
«٣» م.ع : كسكان جمع تانىء وهو المقيم ببلده راجع صفحة ٢٨ من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي . «٤» م.ع : كذا في الاصل. ولعل صوابه الكثيرين احد .
«٥» م.ع اخلف عليه . عوضه ولعله احلف بمعنى اقسم وهو الاظهر .

فنحن نشرب اسب(١) الجيش في طلبه وعرفوا خبره واحاطوا بالدار فعرفت حينئذ انه اخو الخليفة فهبته فبسطني وسألني عن شرح حالي فعرفته فقال لابد ان تجيء معي الى بغداد وتخدمني ولم يدعني حتى اجتذبني ودخلت معه الى بغداد وقلدني بعض اموره ثم تزايدت حالي عنده الى ان جمع لي جميع امره ورياسة كتابه ثم خلطني بخدمة المأمون وقلدني ديوان الخراج مضافاً الى كتبة اخيه ثم رقيت الى الوزارة من تلك الحال التي كنت عليها مع هرثمة قال ابو الحسين ما رأى(٢) في الدولة العباسية من الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وتردد ولا بعد(٣) الوزارة لديوان الخراج وديوان الضياع — احد من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان وصادره المعتصم على اربعين الف الف درهم فاداها بغير مكروه. وسمعت حامد بن العباس يحكي انه سمع صاعداً يقول حدثني احمد بن اسرائيل قال حدثني الفضل بن مروان قال ما في الارض اجهل من وزير يطلب الخليفة منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه فانه يطمعه في نعمته وانما يدفع النكبة مدة ثم تحدث وقد ذهب المال . فمن ذلك ان المعتصم لما خرج يغزو الروم وانا وزيره استخلفني على سر من رأى واستخلف بحضرته محمد بن الفضل الجرجراني (٤) فلما عاد طمع في فقال لي قد وردت والمال(٥) والجيش مستحق

«١» لعله : اذ اتى . م.ع الظاهر انه انبث الجيش اي تفرق .
«٢» لعله رؤي .
«٣» الجملة محرفة ولعل الصواب وتقلد الوزارة بعد ولايته .
«٤» بالاصل الجرجاني . «٥» لعله سقط : قد ذهب .

فاحتل (١) لي مائة الف دينار من مالك وجاهك ففعلت فلما مضى شهر طلب مني على هذا السبيل خمسين الف دينار ففعلت فطلب في الدفعة الثالثة بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار فوعدته بها وادفعه (٢) اياماً ثم حملتها اليه فبلغني عنه انه قال لابنه الواثق هذا النبطي ابن النبطية اخذ مالي جملة وهو ذا يتصدق علي به تفاريق . ثم (٣) قبض عليه بعد ايام واخذ منه اربعين الف الف درهم .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الملك التواريخي وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ فلقب بها وكان يجلس في الجامع الى جانب الزجاج ويعظمه قال سمعت المبرد يقول كنت اصحب الفضل بن مروان فذكر بحضرته في ايام الواثق عظم بناء احمد بن الخصيب بسر من رأى وانه استعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج والقارية (٤) ساجة عظيمة تستعمل صحيحة . فقال الفضل ما كانت لي في خدمة لذة في بناء ولا فرش ولا غلمان ولا جوار ولا مفاخرة بمروءة وانما كانت لذتي في العمارة والتوفير ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم وتعهدي وقد وليت للمأمون ديوان الخراج فوجدت الاهواز قد داخلت بثق اسوه (٥) ابطل العمارة فانفقت عليه مائة

«١» م.ع عدى احتال بنفسه على حد قول الحماسي :

اذا ماأتت من صاحب لك زلة فكن انت محتالا لزلته عذرا

«٢» م.ع الظاهر وادافعه . «٣» م.ع الظاهر ان هذا من كلام احمد بن اسرائيل الراوي عن الفضل . «٤» م.ع لم نعثر على القارية بهذا المعنى . «٥» م.ع الظاهر ان الاصل بثق سد او أسداد جمع سد وهو بناء يجعل في وجه الماء .

الف دينار وجددت في عمارة النواحي . وكانت كوَر الاهواز اذذاك قد ارتفعت باربعة وعشرين الف الف درهم للسلطان فضمنتها له بثمانية واربعين الف الف درهم حاصلة للحمل .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثنا ابي قال سمعت نجاح بن سلمة يقول ان السبب في علو حال عبيد الله ابن يحيي بن خاقان مع المتوكل ان اباه يحيي بن خاقان بن موسي تقلد ديوان الخراج في ايام المتوكل فقلد ابنه ابا محمد عبد الله مجلساً من مجالس الديوان ولم ير عبيد الله اهلا لمثل ذلك فغضب على ابيه وصار (الى) الفضل بن مروان وهو يتقلد ديوان الضياع فلزمه وخط بين يديه وكانت ارمينية تجري في ديوان الضياع وكان على اهلها مقاطعة فضلها مال جليل فامتنع الفضل بن مروان من اقتضائها(١) لهم وعرض عليه مرفق مائة الف درهم فابى قبولها وطرحها(٢) نفوسهم على اكثر الوجوه بسر من رأى فلم يجب احد الى ذلك فلجأوا الى عبيد الله بن يحيي وسألوه مسألته لما ظهر من اختصاصه به ونفاقه عليه فخاطبه في امرهم فتذمر من رده لانه كان يعمل معه بالرزق (٣) ولا له نفع وكانت حاله قوية وانما اراد التصرف مراغمة لابيه وجعل ذلك كالمرفق له والصلة فأجابه وامضى المقاطعة فحمل اليه القوم خمسة آلاف دينار فردها وقال ما كنت لآخذ على معروفي ثمناً فلما خرجوا الى ارمينية أحبوا مهاداته

«١» الصواب امضائها . «٢» الصواب وطرحوا .
«٣» لعله بلا رزق .

ومكافأته فاستعملوا اله فرش بيت ارمني ببساط عظيم ومصليات وانخاخ (١) ومساور (٢) ومخاد (٣) ودست وستور وأذهبوا الجميع وكتبوا عليه كنيته واسمه ولم يكن رأى (٤) قط مثله حسناً وجلالة وحملوه اليه واتفق انه وكل المتوكل تلك السنة بالطرق وامر ان لا يدخل شيء من الامتعة او يعرض عليه فعرض عليه البيت في جملة ما جيء به من أرمينية فاستهوله وقال من هذا الرجل فقالوا هو (٥) عبيد الله بن خاقان قال واي شيء اليه حتى يستعمل له هذا العمل لعل هذا مرفق لابيه فقيل له ان ارمينية تجري في ديوان الضياع ولا معاملة بينه وبين ابيه فاستشرح الصورة ونقر (٦) عليها الى ان حدث الحديث على صحته فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله وامر بتسليم فرشه اليه وقال هذا فتى يدل فعله على كبر همته فلما صرف محمد بن الفضل الجرجرائي (٧) عن وزارته قال قد استغنيت عن وزير لان اصحاب الدواوين مرضون عمالهم علي والتاريخ يجعل باسم وصيف التركي واجرى الامر على ذلك مدة ثم انه احتاج الى كاتب يكون بين يديه في أبنيته والتوقيعات في المهم الذي يامر به من حضرته فيها وفي غيره الى اصحاب الدواوين وغيره (٨) فامر ان يطلب له حدث من اولاد الكتاب ينصبه لذلك فسمي له جماعة منهم عيسى بن داود بن الجراح وابو الفضل

«١» م.ع في اللسان النخ بساط طوله اكثر من عرضه وهو فارسي معرب وجمعه نخاخ وفي التاج انه بالفتح . «٢» م.ع جمع مسور ومسورة وهي متكأ من أدم وهي المساند . «٣» م.ع جمع مخدة وهي الوسادة . «٤» يريد روي . «٥» بالاصل ابو .
«٦» م.ع المعروف نقر عن الشيء اذا بحث عنه . «٧» بالاصل الجرجاني .
«٨» م.ع هكذا في الاصل .

ابن مروان وجماعة وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ابنا يحيى بن خاقان فحين مر على سمعه ذكر عبيد الله ذكر حديث الفرش فاختاره ولم يزل حاله يرقى معه الى ان استوزره .

« للبحث صلة »

المحاضرة الاولى

الأدب (١)

« أفقه · فعله · غايته »

فكرت في شيء من الكلام أمهد به السبيل الى دراسة الأدب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب عليّ ان أقول : أحاديث الأدب · لان كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وعنت الفكر وما ينبغي للادب ان يكون الا ألهية يتلاهى بها العقل ، لكنها ألهية شريفة لا تشبه غيرها من الألاهي ، ما ينبغي للأدب ان يكون الا لذة الفكر وراحة البال · فكرت في شيء من الكلام أستعين به على الاستهلال ثم عدلت عن التفكير وقلت ما قاله الاستاذ « برونتير Brunetière) في اول محاضرة من محاضراته : لعلكم تعترفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين أروع المقدمات وأفضلها · فلنشرع في حديثنا الاول دون الافاضة في التمهيد ·

***

قلت : الأدب ألهية ولكنها شريفة · واذا أردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الأدب المديد · فمتى أدركنا العالم الذي يحيط به الأدب علمنا مقدار اتساع أفيائه وانبساط سلطانه ·

قال « اناتول فرانس ، Anatole France » في مقال له في معجمات اللغة :

اني أحب معجمات اللغة · فانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة ولكني احبها لانها تحتوي على شيء جميل فخم · انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة اوالفاومائتي صفحة عبقرية فرنسا وطبيعتها · ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة · وقد عزمت مجلة المجمع العلمي على نشر هذه المحاضرات كلها متتابعة ·

وافكار اجدادنا وافراحنا وافراحهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم · ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم · ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم . وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم · ليجس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشر ودمها وروحها » ·

اني احب ان اقتبس قول اناتول فرانس في اللغة فأقوله في الأدب نفسه فاذا قلنا في الادب ما قاله اناتول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب هو روح الوطن وعبقريته ادركنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألهية شريفة لا تشبه غيرها من الالاهي ·

* * *

كنت أطالع رواية من الروايات فعلقت بذهني عبارة قيدتها في دفتري · قالها شيخ ايطالي في حض فتى على درس اللغة اللاتينية :

« ان هذه اللغة الشريفة قد آنستني آثارها المنقطعة النظير آلامي وشجوني في معظم الاوقات · كنت ياسيدي أتغدى وماغدائي الا صفحة من«تاسيت» واتعشى وما عشائي الا الهجية من « جوفنال » ·

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب يفرج الغم ويكشف الكرب وينشئ في العقول لذة لا يعدلها كثير من لذات الدنيا فهي لذة هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق · اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون الادب موضوع علم وانما أريد ان يكون الادب كما قال عنه الاستاذ (لانسون Lanson) رياضة وذوقاً ولذة · ولا بأس بان اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وفعله :

« الادب لا يعلمه المرء علماً ولا يدرسه دراسة وانما يمارسه ويجربه ويحبه واصدق كلام فيه انما هو كلام (ده كارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنه حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احاسن افكارهم » ·

ان الرياضيين — وانا اعرف طائفة منهم — الذين يلهيهم الادب فيذهبون الى المسارح و يقرأون الكتب على سبيل التسلي انما هم أقرب من الصواب من هؤلاء الادباء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم يجردونه تجر بداً و يظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جلدوا ابواباً . خلق الادب لينشئ لذتنا ولكنها لذة تروض قوانا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغنى مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقاف الباطن ، هذه هي حقيقة فعله .

وللادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق لذة الافكار انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرته وراحته وتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي نتعبه في ممارسة الاعمال و يرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . اصبحت الفلسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلسفة لا يستطيع درسها كل واحد منا ، اما الادب فانه يعم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقي هذه الجماعات وتغير اوضاعها . الادب هو الذي يتعهد النفوس التي اثقلتها تكاليف الحياة واغرقتها مشاغل المادة فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضعف الدين في كثير من رجال العصر وبعد أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثرة الضيقة او عن الحرفة التي تغرس فينا غرائز الحيوانية » .

هذا ما قاله الاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقاف الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة اي لا غاية مادية لها وكأن الذين وضعوا « قرار » انشاء مدرستنا قد فطنوا لذلك واحبوا ان ينبهوا عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا تثقيف الجمهور تثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب وهم يعنون بذلك ان الثقافة الادبية لا تكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق او كما يدرس الطب مثلاً وانما يحصل الادب للذته .

اراد احد شباب الفرنسيس ان ينصرف الى الادب فسأل (فلوبر) عن رأيه في ذلك فقال له (فلوبر Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى ان أبين لك ان استثمار عملك امر صعب جداً ان لم يكن

ممتعاً ، انك لاتزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عملك ولا ترج ان تكون لك مكافأة ولاتفكر في نشر ماتكتب ، تقبل طريقتي فقد كان عمري سبعاً وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فاذا خطر ببالك ان تستخرج فائدة من آثارك ضللت وكنت من الخاسرين فلا تفكر الا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .

لا تظن ان حياة اديب مثلي ناضرة بالازاهير فاذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهمين ، اذا كان حبك للادب خالصاً فحصّل الادب لنفسك قبل كل شيء واقرأ كثيراً كتب (المدرسيين) وروض قلمك على كتابة اشياء شعرت بهـا وعلى وصف البيئة التي تأنس بها » .

علمنا (فلوبر) ان نحصّل الادب لانفسنا دون ان نرجو مكافأة ، ينبغي لنا ان نحصل الادب لمسرة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فاذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفد من الادب ، اذا كنا نتوخى الكسب في تحصيل الادب انحط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا والادب اجل من ان يكون حرفة ، اننا نحصل الادب لنذوق لذة الحياة ، اننا نحبه كما كان الشيخ الايطالي يحب آثار اللغة اللاتينية . اننا نحبه لانه ينسينا الآلام والشجون على انه قد يجوز ان يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي ان تكون هذه الفوائد غاية الادب وانما نجنيها على طريقنا في نزهة العقل كما نجني الورد والريحـان على طريقنا في نزهة البدن . اننا لا نتنزه لنقطف الورد ولكننا نتنزه لنروض أجسامنا وكذلك لا ندرس الادب لنعيش به ولكنـا ندرسه لنروض به عقولنا .

قلت : قد يفيد الادب فوائد عظيمة ، واذا سمحتم لي قرأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك » ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من الناس ولكن المنفعة يجب ان تأتي على سبيله كما يأتي الورد والريحان على سبيل المتنزهين .

* * *

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من مجلسنا هـذا قبل ان يتأكد عندي اننـا ادركنا غاية الادب . ما احب ان اخرج من هذا المجلس قبل ان اثق باننا علمنا ان الادب انما هو : رياضة وذوق ولذة لا نتفرغ له لغرض من اغراض

الدنيا فهو اجل من ان تكون غايته الكسب وانما نمارسه لندرك به جمال هذا العالم انما نمارسه لنفرج به غم هذه الحياة . يقول اناتول فرانس في هوغو في معرض النقد : عاش فيكتور هوغو ثملاً تسكره الالوان ورنات الاصوات وقد اسكر العالم بذلك . فاذا جاز لي هذا التعبير قلت : الادب يسكر بالوانه ورنات الفاظه فهو نزهة عقولنا ونعم النزهة يشحذ الطباع ويجمع النفس ويعمر الصدر . اني لا ارى اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط تاسوني (Tassoni) الذي كان يعتقد ان الادب مضر بالجماعة والبشرية . اي شيء احسن ترويضاً لمداركنا من الادب . اي شيء احسن تهذيباً للاهواء منه . اي ثقافة اعمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية . واذا لم يكن لادبنا في هذا العصر عاقبته المحمودة فهذا ناشئ عن انه لا يزال في عزلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الامم . فاذا كان لحديثنا خلاصة فهذه خلاصته :

الادب الهية شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موضوعها روح الوطن وعبقريته

في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الثانية

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الادبية · الانفراد بالرأي في الادب

ما أظن انكم نسيتم ما حدثتكم به في الاسبوع المنصرم ، ما أظن انكم نسيتم أفق الادب وفعله وغايته ، اني اعتقد الاعتقاد كله ان مطافكم في هذا الافق الفسيح يوطئ لكم السبيل الى الاحاطة بروح وطنكم وعبقريته ، واذا قلت روح لوطن وعبقريته عنيت بذلك ثمرات قرائحه ونتائج خواطره من منبثق فجره الى يومنا هذا · اني اعتقد الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الأفق يدخل السرور على القلوب ويثقف البواطن ويهذب العواطف وليس بقليل ان ينسلخ المرء من حيوانيته ويحلق في جو أعلى من جو البشرية والادب هذا فعله في الامم · فاذا كانت غايته مجرّدة وثقافته خالصة نجع واثر : هذا أفقه ، وهذا فعله ، وهذه غايته · ما اظن انكم نسيتم شيئاً من ذلك ·

غير اني أتوقع بعد ان بينت لكم أفق الادب وفعله وغايته على سبيل الايجاز وعلى قدر ما سمح به الزمن ، غير اني أتوقع ان تقولوا لي : أدركنا هذا كله ، ولكن كيف السبيل الى ذوق لذة الادب ، كيف السبيل الى الاتصال بهذا الافق والعلم بهذا الفعل والخلوص الى هذه الغاية ، ولو قلتم لي شيئاً من ذلك لوقع القول مني موقعه لان السر كل السر في تمهيد هذه السبيل قال الاستاذ لانسون :

« لا أكاد أفهم كيف يدرسون الادب من دون ان تكون غايتهم في دراسته ثقافتهم وحدها ، لا أكاد أفهم كيف يدرسونه من غير ان يكون مرمى فكرهم الالتذاذ بالادب ، لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الادب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم في نظام واحد وان يهيئوا طرائق في التدريس وان تكون وجهتهم أصح وأوضح من وجهة هواة الادب الصغار · ولكننا لا ينبغي لنا ان نذهل عن امرين : الامر الاول ان أستاذ الادب الذي لا يعنى بتنمية الذوق الادبي في تلاميذه ولا يستميلهم الى ان يجثوا كل حياتهم في الادب عما يشحذ افكارهم و يسليهم عن همومهم لا يكون أستاذاً صالحاً ، هذا هو الهدف الذي يجب علينا ان نرمي اليه لاان نعد الطلاب جوابات الى يوم الامتحان ،

والامر الثاني لا يستطيع أستاذ الادب ان ينفع بتدريسه ان لم يكن هو نفسه من هواة الادب قبل ان يكون من العلماء ، لا يمكن ان يثمر تدريسه اذا لم يبدأ بتثقيف نفسه بهذا الادب الذي ينبغي له ان يجعله ثقافاً لغيره ، لا يمكن ان يؤدي تدريسه الى الخواتيم الحسنة اذا كان نقب عن الآثار الادبية وجمعها ، ولم تكن غايته في تنقيبه وجمعه زيادة ادراكه للادب وزيادة لذته بعد هذا الادراك » .

ما أصح هذا الكلام ! ما ألصقه بالحقيقة ! الاستاذ الذي لا يعنى بتنمية الذوق الادبي في تلاميذه لايكون أستاذاً صالحاً ، تنمية الذوق هذا هو هدف الاستاذ وعلى حسب ذوقنا الادبي يكون شعورنا بالجمال . واحساسنا للقبح ، على حسب هذا الذوق يكون ادراكنا لمحاسن العالم ومقابحه ، فاذا فسد ذوقنا الادبي ضعف شعورنا بجمال العالم وبهجة الحياة ، اذا فسد هذا الذوق انقلبت أضواء الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، وما انحط الادب الا لفساد الذوق ، أصبحنا في عصر لا نستطيع التمييز فيه ، تعرض علينا الآثار الصالحة فلا نهتدي الى التلذذ بصلاحها ، وتعرض علينا الآثار الفاسدة فلا ننقبض عن مواضع فسادها ، ولو سلم ذوقنا لتيقظ فينا الشعور بمناعة الآثار وشناعتها ، فما كل اثر من هذه الآثار الادبية فاسد قبيح ، ولا كل واحد منها ماتع جيد ، فالذوق وحده هو الذي يهدينا سواء السبيل في التمييز والاستاذ هو الذي يقوي فينا هذا الذوق . تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب .

وقبل ان أبين كيف يستطيع الاستاذ ان يروّض تلاميذه على ذوق لذة الافكار أحب ان انظر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لانسون) اي أحب ان أبين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هواة الادب لا يستطيع ان يثقف ذوق تلاميذه ، فالادب شيء وعلم اللغة شيء آخر وقد يجوز ان يضرب الاستاذ في اللغة بالسهم الفائز وان يأخذ منها الحظ الاوفر ولا يكون في هذا كله اديباً ، اي لا يعرف اماكن الجمال ومواطن القبح في آثار اللغة الخالدة فاذا خرج الاستاذ عن ان يكون أديباً ، اذا لم يستطع ان يتذوق لذة الجمال أعقم التدريس وأفسد الاذواق ومتى فسد الذوق فسد كل شيء في الادب ، أستاذك ذوقك : هذه كلمة (فولتير Voltaire) .

قلت : تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب ، فكيف يثقف هذا الذوق

ويقوم ، كيف يدرب على التمييز في الآثار الادبية ، هنا العقبة الكؤود ، وهنا يظهر ضعفنا وينكشف أمرنا . سئلت مرة عن رأيي في أساليب طلاب (البكالوريا) في الانشاء ، فقلت بعد التمحيص والتدقيق في جملة ماقلت : ان الطلاب لم يتعمقوا التعمق كله في الموضوعات التي طرحت عليهم ، فقد كانت أفكارهم سطحية على انهم كانوا يستطيعون بفضل ثقافتهم العامة التعمق في الموضوعات والذنب في ذلك يرجع الى أساليب التدريس فلم ينظر الطلاب في كتاباتهم نظرات عامة اي انهم لم يبحثوا عن كاتب اوشاعر على وجه عام او عن نتائج عصر من العصور على صورة عامة ، او عن التطور الادبي في خلال العصور ، ان الاساتيذ لايدربونهم على التفكير ولا يعودونهم ان تكون لهم أفكار عامة في موضوعات حديثة . وجملة القول ان تدريس الادب ينقصه الشيء الكثير فهو لايستند الى دراسة المصادر الادبية نفسها اي الى دراسة كلام المؤلف اوشعر الشاعر او خطبة الخطيب فان تفسير هذه المصادر هو المعتمد عليه في تدريس الادب والظاهر ان هذا النقص ذاته كان في مدارس فرنسة حتى جاء في بلاغات وزارة معارفها سنة ١٩٠٢ ان تدريس الادب يجب ان يكون أساسه درس المصادر الادبية نفسها .

المعول عليه من كلامنا هذا درس المصادر الادبية لان هذا الدرس هو الذي يقوم الذوق فكيف تدرس المصادر الادبية ، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر الشعراء هذا الذي نحوم عليه ونلوب فلا نكاد نصل اليه ، فقد كنا ولا نزال اذا شرحنا شعراً نتوخى تفسير الغريب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيبه والتنبيه على مذاهب الاستعارات والكنايات وسائر فنون المجاز هذا شيء وليس بكل شيء ، ان التفسير اللغوي قد يولد فينا ميلاً الى معرفة مفردات اللغة ولكنه لا يولد فينا ذوقاً أدبياً اي لا يقوي فينا الشعور بالجمال . واللغة كما قلت شيء والادب شيء آخر ، وكثير من علماء اللغة أنفسهم لا ذوق لهم في الادب .

ان هذه المصادر الادبية التي نتفرغ لدراستها تشتمل على امور غير امور اللغة وآلاتها ان هذه المصادر انما هي آثار ناطقة يظهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلكم على آثار العصر والبيئة فيهما او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وتكشف لكم عن اهواء صاحبها وانفعالاته . فاذا اردتم ان تعرفوا شيئاً من روح الشاعر

ومن فكره ومن عاطفته فان التفسير اللغوي لا يضمن لكم الوصول الى هذه المعرفة ولكنه يعينكم عليها فاستنطقوا المصادر الادبية واسألوا كلام المؤلف وشعر الشاعر وخطبة الخطيب فان من وراء هذا كله اشخاصاً ينطقون و يشعرون فاذا خالطتم هذه المصادر ومازجتموها احطتم بظواهر اصحابها وبواطنهم واتصلتم باسرارهم والغازهم فعرفتم خصائصهم وطبائعهم واهتديتم الى اخلاقهم واوضاعهم فنشأت في انفسكم من هذا كله لذة منقطعة النظير ومن هذا يتبين لكم انه لابد لكم من الاحاطة بعلم النفس حتى تستطيعوا ان تمضوا القول في روح الشاعر وفي عواطفه ·

قلت : المصادر الادبية تدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه انه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحاول درس شاعر من شعرائه فلابد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي ايقظها فاذا كنا مثلاً ندرس المتنبي ووقع نظرنا على اسلوب غريب في شعره او على لفظ غريب فلا يصح ان نجزم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا ان هذا الاسلوب غريب قياساً الى عصر المتنبي اذ انه قد يكون غريباً في عصرنا ومأنوساً في عصر ابي الطيب ·

يستنبط مما تقدم اننا ينبغي لنا ان نستعين بالمصادر الادبية نفسها على فهم روح صاحبها وافكاره وعواطفه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي ·· ومتى نشأ هذا الذوق وكان سليماً خالصاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وبهذا الشعور تزداد لذتنا بمحاسن العالم نفسه على اننا لانستطيع ان ندرك حقائق المصادر الادبية الا اذا كنا منفردين بامر البحث والتنقيب فلا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فينا ، لا ينبغي لنا ان نكرر كلام غيرنا على اثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الادبية جامدة لا روح فيها · —

قال الاستاذ « لانسون » :

« اذا حاولت ان أتصور خصائص المؤلفات وطبائع اصحابها امتنعت عن تخليص آراء من اولعت بهم من الاساتذة في هذه المؤلفات اشباه « تين » و « سانتبوف » و « غاستون باري » و « برونتير » فالاولى لي وانا اخوض في موضوع ليس فيه حقيقة مبنية على اصول مستندة الى عقل ان ألخص ما انشأته في قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وما اخطرته

بالي من الآراء وما اهتديت اليه من صيغ فكر المؤلف وعاطفته ، وعلى هذه الصورة وحدها تكون الدراسة صادقة ، فيها روح اذ انه لا يستطيع احد ان يستميل غيره الى الامور التي يخوض فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي ذاقه هو نفسه في هذه الامور » .

هذا ما قاله لانسون ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المتنبي مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المتنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه بعض الاساتذة كالثعالبي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حس المتنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المتنبي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بآرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل اي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب ينبع الذوق والعاطفة فتتغير آراء الناس فيه بتغير اذواقهم وعواطفهم انظروا مثلاً الى «فيكتور هوغو» فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب حرج لقد ذهب الاعجاب المجبيز به الذين كلوا واعيوا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم قلق الادب واضطرابه فاذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر الذين يريدون ان يذوقوا لذة الادب بالانفراد بآرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

هذا ما حاولت تقريره في هذا المجلس وما أريد ان أبسط القول اكثر من ذلك ، ولئن كانت خلاصة حديثنا الاول : الادب روح الوطن وعبقريته ، فخلاصة هذا الحديث تثقيف الذوق هو الذي يضيء لنا الظلمات حتى ندرك روح هذا الوطن وعبقريته .

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الثالثة

تمازج الثقافات

ما ارى حاجة الى ان اعيد في هذا المقام ما قلته في دراسة المصادر الادبية ، فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب علينا ان نقرأ كلام الكاتب اوشعر الشاعر اوخطبة الخطيب ، عرفتم كيف يجب علينا ان نحيط بروح المؤلف و بافكاره وبعواطفه ، وننظر في اتصال هذه الامور النفسية بعضها ببعض وفي تفاصيلها ومظاهرها ، عرفتم كيف ينبغي لنا ان نبحث عن بيان المؤلف وفنون افصاحه ، وعن خصائص لغته وأسلوبه ، وفي الجملة فقد عرفتم كيف ينبغي لنا ان ندرس المصادر الادبية واذاقلت : دراسة المصادر الادبية ، اردت بذلك التعمق في التنقيب عن فكر المؤلف وعواطفه ، والتمكن من معرفة مراميه والوصول الى تلك الذكريات التي كانت تخطر بباله في ساعات تأليفه وكتابته ، فاذا كنا نفسر كلاماً فكأننا نحاول ان نقوم مقام صاحب هذا الكلام ونبعث قبالة اعيننا حالة عقله من مرقدها ، وننعش فكره وانفعالاته بعد ان ذهب اثره ، وانطوى ظله ، ولم تبق منه الا صفحات لا نرى فيها في فاتحة الامر غير صور بعيدة عنا ، وتعابير جامدة لا روح فيها ، فاذا عالجناها انتفضت من مدافنها فأصبحت صوراً ناطقة تشعر وتفكر .

كان يجب عليّ بعد ان فرغت من هذا التمهيد ان اشرع واياكم في قراءة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عبادة وابي تمام ، وانا لا اشك في ان لهذه الاسماء العربية صدى في آذانكم لا تجده لغيرها من الاسماء غير اني اذا كنت قد استعنت بطائفة من آراء الافرنجة على الخوض في موضوع للعرب فيه المقام الارفع والمحل الاشمخ ، فما اردت بذلك ان اكفر نعمة ادب ذهبت في الشغف به كل مذهب ، ما اردت ان اكفر نعمة لغة امتزجت بالنفس محبتها ، والعود غض والغصن رطيب ، الا انه اذا كان يتيسر لي الاستشهاد ببعض آراء شيوخ ادبنا في قديم الدهر كالجاحظ واشباهه ، ومن هم اشباه الجاحظ ، فما كان يتيسر لي الاهتداء الى كل الآراء ، والادب قد لبس في هذا العصر برداً قشيباً فحدثت فيه حوادث وعلقت فيه عوائق ، ونهجت مناهج وسلكت مسالك ، فلا مندوحة لنا عن الاقتباس من بعض الافرنجة ولا غضاضة في ذلك فقد اخذوا عنا فأخذنا عنهم وتلك الايام نداولها

بين الناس ومازالت الامم في قديم الدهر وفي حديثه يقتبس بعضها من بعض وقديماً تمازجت الثقافات فأدى تمازجها الى العواقب المحمودة في عبقرية الفكر ·

انلتفت قليلاً الى القرون الخالية فلننظر الى الرومان كيف اقتبسوا ادبهم من اليونانيين فقرأوا كتبهم ونقلوا طرائقهم ولننظر الى الادب الفرنسي في القرون الوسطى كيف انبلج نوره من أفق اللاتينية وهذا « سبنسر » اخذ عن الايطالية في ايام تجديد ادبها ، وهذا الشاعر الانكليزي « تومسون » قد اثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنسة من العصرين المذكورين وقد كان « فولتير » يعبد الكاتب « اديسون » وكان « روسو » و « ديدرو » يعبدان « ر يشاردون » واي تأثير اعظم من تأثير شاعري الانكليز « شكسبير » و « بايرون » في الادب الفرنسي ، وقد كان شعراء الادب الوجداني في فرنسة متصلين الاتصال كله « بولترسكوت » ومن «ميشله» الى « رنان » قد استنزل كتاب فرنسة الذين نظروا في مصاير النوع البشري وحيهم من المؤرخ الالماني « هردر » وشاعر الالمان «غوتي» استنزل وحيه من ادب المتقدمين وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتبس الاسبانيون ادبهم من شعراء فرنسة مثل « مولير » ولم يقصر الروس في الاخذ عن الادب الغربي في القرن التاسع عشر ولم يحجم البولونيون عن اقتباس أدب فرنسة وايطالية والمانية وانكلترة ·

مالنا وهذه الاعجميات فلننتقل الى ناحية اقرب · هذا ادب العرب نفسه ، أفلم يدخله شيء من حكمة الهند ، وفلسفة اليونانيين ، وادب الفرس ، وهذه مصر في عصرنا أفلم يكن للثقافتين الفرنسية والانكليزية اثر في كتابات ادبائها ، أفكان يستطيع اساتيذ ادبها ان يسلكوا هذا المسلك في ادبهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاجنبيات ·

معاذ الله ان ارمي في قولي هذا الى الخروج على عبقرية ادبنا فان الامة التي لا تتصل بماضيها لا تثق بحاضرها وآتيها ، وان لنا من هذا الماضي الشيء الذي نفخر به على وجه الدهر ، ان لنا من هذا الماضي محاسن لا تبلى بجبس الليالي ، ولكن تجديد الادب في هذا العصر امر لامندوحة عنه ، فان الافراط في المحافظة على هذا الادب لايقل ضرره عن الافراط في التجديد ، ولو شئتم لتلوت عليكم صفحة كتبها ابو الحسين احمد ابن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه التقريب ، ما اظن احداً من ادباء هذا العصر

يعقد فصلاً ابلغ من هذا الفصل في التجديد قال ابو الحسين :

« ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ، ولمه نأخذ بقول من قال : ما ترك الاول للآخر شيئاً ، وندع قول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه و يرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما تقول لفقهاء زماننا اذ نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، او علمت ان لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكاً ، ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ولضلت افهام ثاقبة ولكلت ألسنة لسنة ولما وشى احد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة ولمجت الاسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ » .

ما اثقب نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما اهدى فكره ! ما اصفى ذهنه ! لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ، ان عقل البشر ينبسط افقه من عصر الى عصر ، ويتسع مجاله من دهر الى دهر فيولد في انبساط هذا الافق واتساع هذا المجال الفاظاً ومعاني لم تك من قبل ، و ينشيء الادب لهذه المعاني اساليب طريفة ويفرغها في قوالب حديثة ، وعلى هذا ينتقل الادب من طور الى طور ويدرج من حال الى حال على تعاقب الاحقاب ، ولو ثبت هذا الادب على اساليب محدودة لاتى عليه حين من الدهر لم يك فيه شيئاً ، لو تملص هذا الادب من عوامل الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً اننا نجد مذاهب تولد ، ومذاهب تموت والفاظاً تدفن والفاظاً تبعث واساليب تعيش واساليب تنقرض ، ما اعظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ « شارل ريشة » احد اعضاء معهد باريز :

« يسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في عنفوان امره ، وريعان عمره ، فالعالم « ارخميدس » على نبوغ فضله و براعته ، كان يجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، واجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجهيزية يعرف من العلوم امورا يجهلها العالم « غليله » نفسه ، ما بين العالم « فرنكلان» وبين

العالم « اثنتين » مائة وخمسون سنة فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن ، وما هو قرن ونصف قرن ؟ المشي غير وئيد ، اننا نسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتبسه من العلوم سلطان عظيم على المادة مها اختلفت أشكالها » .

هذا ما قاله (شارل ريشه) في كتابه العالم . ولو قلتم لي وما هي الاواصر بين العلم والادب لأجبتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لايخلو من التأثير في الفكر و بالادب كما أشرت الى ذلك في حديثي الاول تستفيض مذاهب الفلسفة والعلم في طبقات الناس فتعمل عملها في أوضاع الجماعات ، فالادب ظهير العلم ومعينه ، ولو نظرتم في تخالط الامم في هذا العصر وتقارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها ، وآثار عقولها ، لرأيتم ان الثقافات لامندحة لها عن التمازج والتواصل ، فالامم يأخذ بعضها عن بعض و يهتدي بعضها ببعض ، لا شك في ان لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها تصلح لها وقد لا تصلح لغيرها من الامم غير ان تمازج الثقافات اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أفضى الى الخواتيم الحسنة في نتائج العقول وثمرات الالباب لنضرب مثلاً لذلك .

قلت : لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها ، فاذا قابلنا بين الشعوب السامية وبين الشعوب الآرية وجدنا ان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تستره وتغطيه ، ولذلك فانك تجد لغة التوراة لغة شعرية ساطعة الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة ، فالذهن في الامم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة و يحرص على طابع الانفعال المادي ، اما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة و يرتفع الى تصور الفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد[1] .

---

(١) رأي الاستاذ « دارمستتر » صاحب كتاب : حياة الالفاظ .

فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كالفرس واليونانيين انتقلت آثار هؤلاء الى العرب والفلسفة من جملة هذه الآثار ، فهي نتيجة من نتائج تمازج الثقافات وما أظن ان الفلسفة خلت من رسوم حسنة في الفكر العربي ٠

ما أردت التبسط في هذا الموضوع ولا كانت غايتي استنهاض هممكم للتقليد فاني من المتشددين في الحرص على أوضاع أدبنا والاحتفاظ بمذاهبه ، الا ان هذا التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يزيد في رونق لغتنا وأدبنا فاني أخشى اذا جمد هذا الادب ان يضيق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فاذا أخذنا في بعض الاحايين عن ثقافات الامم ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقديماً استعان أدباؤنا بآثار من جاورهم وخالطهم فما نقصت مقاديرهم ولا خفت موازينهم ، فطلعوا على قومهم بادب مصقول الحواشي مهذب الاطراف ، على اني لا أقول بالمبالغة في الاخذ والاقتباس فان لميراثنا الادبي روحاً يجب علينا ان نحافظ عليه ، وان للعصر روحاً مالنا منه نلت ، فالتأليف بين الروحين صقال الادب ونموه ٠

دمشق : في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

الارض مثعلة : كثيرة الثعالب . ومَسرفة كثيرة السُرْفة وهي دويبة سوداء الرأس وسائرها احمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان على مثال الناووس تضم بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه ومنه المثل (أصنع من سُرفة) .

ومشبولة كثيرة الاشبال . ومشاهة ذات شاء او كثيرة الشياه . ومفعاة كثيرة الافاعي . ومفأرة وفئِرة كثيرة الفئران . ومغدرة كثيرة الغدور اي الوعول الغادرة .

ومضبَّة وضببة كثيرة الضب . ومضغبة كثيرة الضغابيس والضُغبوس ولد الثعلب .

ومبعضة كثيرة البعوض . ومبقَّة كثيرة البق . ومَحياة ومحواة كثيرة الحيات .

ومَكلبة كثيرة الكلاب . ومَوزّة كثيرة الوز . وموحوشة ذات وحش او كثيرة الوحش . ومأوزة كثيرة الأوز . ومجرودة كثيرة الجراد . ومثورة كثيرة الثيران . ومَجرذة كثيرة الجرذ .

ويقال أظبت الارض كثرت ظباؤها . وأسبع الطريق كثر فيه السباع .

وأضبَّ المكان كثرت ضبابه . وأبعض القوم صار في أرضهم البعوض .

وارض محربشة كثيرة الحرباء . ومسروءة ذات سروء وهي البيوض من الجراد والسمك والضباب . ومظبأة كثيرة الظباء .

* * *

وانتهج الرجل طلب النهج . وأوعر السالك وقع في وعر من الارض . وأجدَّ لزم الجدَد وهي الارض الغليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجَدَد أمن العثار .

وحقَّ الطريق ركب حاقَّه اي وسطه . وسمَّت : لزم السمت وهو الطريق والمحجة تقول خذ في هذا السمت .

وأسبل الطريق : كثرت سابلته . وطرَّق الموضع : جعله طريقاً يقال لا تطرّقوا المساجد — وللابل : جعل لها طريقاً . واستطرق الشيء : اتخذه طريقاً . وأجدَّ الطريق : صار جَدَداً . واستنهج : صار نهجاً .

* * *

وعشَّر الغراب : نعق عشرة أصوات في طلق واحد . و نَغَق نغيقاً ونُغاقاً : صاح غيق غيق . وقَطَت القطا تقطو قطواً : صوَّت بقولها قطا قطا . وقطقطت صوتت وحدها . وعندل العندليب : صوَّت ومثله وَطَّ الوطواط وبطبط البط وزرزرالزرزور وتخت الفاختة . وقد مأمأت الشاة والظبية مأمأة : واصلت صوتها فقالت مئ مئ . ولقلق اللقلاق : صوّت . وكذا قمقم القُمقُم ونضوّع الضُّوَع .

* * *

و يقال داهى القوم مداهاةً ودهاء اي أصابهم بداهية . وصأتهم الصالّة : أصابتهم والصالّة الداهية ومثله ذبلتهم ذبول . وفقرته الداهية فقراً : نزلت به فكسرت فقار ظهره . وقد ترِه الرجل ترهاً اي وقع في الترّهات . وأصبر : وقع في ام صبّور اي الداهيــة . وذبلته الذبول اي دهته الدواهي . وأفلق الرجل : جاء بعُلَق فُلَق اي بالداهية .

وأفتق الرجل : ألحّت عليه الفتوق اي الآفات من جوع وفقر ودين . ونكبــه الدهر اي أصابه بنكبة . ووتر فلاناً أصابه بوتر . وأفظعه أوقعه في امر فظيع شديد . وألأى الرجل وقع في اللأواء وهي الشدة والمحنة . وأزل الناس : أصابهم الأزل اي ضيق العيش وقحطوا . وأسنتوا أجدبوا واصله من السنة بمعنى القحط والجدب .

وشتا القوم وأشتوا : أجدبوا في الشتاء . وثغبوا ثغباً أصابهم الثغب وهو القحط .

وأمحل الله الارض : جعلها محلة . وأقحطها أصابها بالقحط . وجرد القحط الارض وجرّدها : جعلها جرداء . ودُبيت الارض : أكل الدبى نباتها فهي مدبيّة ومدبوّة . وجرِدت وجُردت : أكل الجراد نباتها — وجُردت الزروع : اصابها الجراد .

وبشّر الجراد : اكل ما على بشرة الارض اي وجهها .

* * *

و يقال اكثأت الارض : كثرت كثأتها وهي الخنزاب اوالكرّاث او بزرالجرجير . وأقثأت كثر بها القثاء — والقوم كثر القثاء عندهم . واجملوا كثرت جمالهم .

وأشحم الرجل اذا كثر عنده الشحم مثل ألحم اذا كثر عنده اللحم . وأبلت الابل : كثرت . وأبّل الرجل : كثرت إبله ومثله آبل ايبالاً . وتمعّر : كثر عُقاره وهو

خيار المال والكلأ . وأضبَّ البلد : كثرت ضبابه . وأثلَّ الرجل : كثرت عنده الثَّلَّة وهي الضأن الكثيرة وفي القاموس جماعة الغنم الكثيرة او من الضأن خاصة ولا يقال للمعزى الكثيرة ثَلَّة ولكن حَيْلة ، فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لهما ثلة ومنه بنو فلان مُثِلّون اي اصحاب غنم .

ورسَّل القوم : كثر رسلهم وهو اللبن ما كان . وأزبدوا : كثر زبدهم . وأزاتوا كثر عندهم الزيت . وأرحلوا : كثرت رواحلهم وهي الابل القوية على السفر والاحمال .

ونضَّض الرجل ونضنض : كثر ناضُّه اي دراهمه ودنانيره .

وأغزر القوم : غزرت إبلهم وشاؤهم وكثرت ألبانها — وصاروا في غزر المطر وهم قوم مُغزر لهم اي غزرت إبلهم وألبانهم .

وقد أكثر الرجل اي كثر ماله .

(النبك) : سالم خليل رزق

آراء وافكار

قوة الحافظة وكثرة المحفوظات

اذكر في هذه العجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين نؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين ونقلة الاخبار قاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والمكاتب الى ما في الحفظ من الفوائد والمقاصد فتثور هممهم الى اقتفاء آثار اولئك الرجال و يسيرون على مناهجهم في حفظ ما يمليه عليهم اساتذتهم ومعلموهم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظـة قوية فعرف قدرها وما اضاعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانهماك بالاكل والشرب و باقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سنذكره قريباً ·

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والاكثار من المحفوظات لأن العائق الذي يعوق غيرهم عن استثمار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » قد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصباب على حفظ ما يتلقونه من اساتذتهم وبذلك يحرزون شرف النبوغ في علومهم وينالون مزية التفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتوفق لاستخدامها ·

وانني قبل الشروع بذكر الحفظة وبيان محفوظاتهم آتي على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — ·

قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما وعاه الصدر

وقيل العلم في الصدور لا في السطور ، وقيل العلم مااستحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحديته بمسألة علمية بدهك بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدفتر او الكتاب ·

معنى الحفظ — : يقال حفظ القرآن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول المحدثين عرض محفوظاته على فلان ، و يقال حفيظ وحافظ من قوم حفـاظ وهم الذين

رزقوا حفظ ما سمعوه وقلما ينسون شيئاً بعونه . و يقال حافظ من قوم حفظة ككتاب وكتبة والحفظ نقيض النسيان وقلة الغفلة : و يقال رجل حُفظة كهمزة اي كثير الحفظ . ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . و يقال حمل فلان القرآن على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً . ومن المجاز ايضاً ظهرت على القرآن واظهرته ا قرأته على ظهر لساني .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة و يرون ان النبوغ فيهما غير متاح الا لمن يحفظهما باسانيدهما . وكان حفاظها يملونهما في مجالس لم يحضرها اولو العناية بها و يكتبونها عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم ابن الانباري وولده ابو بكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى الشريف المرتضى كتاب الغرر والدرر املاء في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ : اما املاء الحديث فقد استمر الى سنة ٨٧٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغاني والغزالي والزمخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم على انفراده قد تضاهي بحجمها وعظمها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القرطاس من خزانة حافظته صفواً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزانته اذ العقل يحيل ان تتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظهراً لها بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من الكتب المحفوظة في خزانته .

فانا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها و كتبها مما تضيق عنها ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق إن كانت غير محفوظة له أن تتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

عن مسائله الكتب المختصة كما هو الحال والشأن مع احدنا اذا اراد ان يكتب في موضوع ما ·

اهتمام ائمة اللغة بحفظ غريبها — · كان المشتغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب نفح الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فاتفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جننت فقال :

روعت عجوزي أن رأتني لابساً   حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هي همة   هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها   اني لما سن الكرام تبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن · واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجليه بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن ·

ما يجب على الحافظ مراعاته — · يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بمواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساوٍ له في المعنى جلاءً وخفاءً من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظهما لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه ·

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالببغاء تنطق بما تلقن من الكلمات ولا تفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه أنه كان يحفظ كتاب الروض للمقري ولا يفهم لمسائله معنى فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها و يحصلون منها على بغيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأه عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فمثله كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفيه بقوله :

حمار العنب ايش معناه   حامل ثقيل الارطال
غير متلذذ بحلواه   وهو حامل الحمل باطل

وقال مروان بن ابي حفصة يذم قوماً استكثروا من رواية الاشعار من غير تفهم ما فيها من المعاني واللطائف :

زوامل للاشعار لا علم عندهم   بجيّدها الا كعلم الاباعر
لعمرك مايدري البعير اذا غدا   باو اقه او راح ما في الغرائر

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فان ترك التكرير من اكبر موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان واعظم بواعث النسيان الترك . قيل للاصمعي كيف حفظت ونسي أصاحبك قال درست وتركوا .

مورثات النسيان . — يروى عن سيدنا علي بن ابي طالب انه قال : عشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة واكل سؤر الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين القطارين والقاء القملة حية اه . كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويتجافون عن اتيانها وان كانوا يعجزون عن تعليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط الكائن بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سؤر الفأر والقاء القملة حية وقد عد قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى مايجب ستره واطالة النظر في النجوم .

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيراً في الحافظة وهي البطنة ويقال لصاحبها البطن وهو الأشر المتمول ومن همه بطنه او الرغيب الذي لا ينتهي من الاكل كالمبطان فقد قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ وينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والمخدرات على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السعوطات والتدخين بالتبغ ، ومنها كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبلد الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرفها بكليتها الى الاشتغال باحراز المال وطلب الرياسة فان المتدهور في هذه الهاوية السحيقة لو كلفته حفظ حديث او بيت واحد لأظهر لك العجز عن حفظه .

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في توريث النسيان — الهمّ ولاسيما مايتوالى منه كل يوم على العائل المملق ومايعانيه من الضنك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواح الفكر والفنك في القوة الحافظة والاغارة على ما اكتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقدنقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية يخص الله بهـا من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لاتنال بالسعي ولاتدرك بالارادة .

لايكبر على القارئ تصديق ما سنورده في اخبار افوياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات نقلةالاخبار بل يعتقد انللطبيعة خوارق تتخذ لها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه الملكة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثمارها على غيرهم بما كانوا عليه من صفاء القرائح و بساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد بحسنى العقبى فلم يسلطوا على تلك الملكة مايضعفها ولاقارفوا شيئاً من مورثات النسيان بل تجافوا عنها جداالتجافي واعظم ما استعانوا به على صيان موهبتهم هذه تجردهم من حب الدنيا وهجرهم الملذات البدنية وايثارهم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فتسوغوا بالعفاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكى ان اباحامد الاسفرايني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيـا كان يعيش عيشة الكفاف ، يحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة و يعيش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام اليزدي كان له عمامة وقميص بينه وبين اخيه اذا خرج هذا قعد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابانصر محمد الفارابي كان قانعاً باليسير من الرزق كان في اول امره ناطور بستان في دمشق وهومع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لايعتريه تصنع ولايعرف السرور ولاأحوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرتها نصف دينار في الشهر يقتنع به و يشتري منه ورقاً ولايوقد عليه ضوء وتحته حصير قصب وعليـه ثوب خلق ولايخرج من بيته الايوم الجمعة وسيراليه المستضيء خمسمائة دينار فردها فقال له اجعلها لولدك فقال : ان كنت خلقته ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لايأكل الا البقول ولايشرب الا قرب العصر مراعاة لحفظه وسيأتي ذكرهما . ولوأردت

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المتقشفين في معايشهم إيثاراً للذة العلم على كل لذة لا تسع لنا المجال وأفضى بنا الحال الى الملال ·

* * *

وهنا أشرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم في افتتاح هذه المقالة : أبدأ بتسطير سنة وفاة احدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات : مقتصراً على ذكر أشهر مشاهيرهم مضرباً عن ذكر من نقل عنه انه كان يحفظ كتاباً او كتابين فان الإحاطة بذكر هؤلاء تملأ مجلداً ضخماً يجدر ان يؤلف على حدته فأقول :

(سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة انه استنشد عمر بن ربيعة القرشي شيئاً من شعره فأنشده قصيدته التي اولها :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غدٍ ام رائح فمهجّر

وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه احد الحاضرين بقوله : أتضرب اليك اكباد الابل تسألك عن الدين و يأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فقال عبدالله ماسمعت سفهاً فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالعشيّ فيخسر

فقال ابن عباس ما هكذا قال وانما قال (فيضحي واما بالعشي فيخصر) قال المعترض اوَ تحفظ الذي قال قال والله ماسمعتها الا ساعتي هذه ولوشئت ان أوردها لأوردتها وأنشده اياها كلها ·

(سنة ١١٧) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في حفظه قال ماقلت قط لمحدث أعد عليّ « وماسمعت أذناي شيئاً الا وعاه قلبي » قال الامام احمد بن حنبل في حقه : قتادة عالم بالتفسير و باختلاف العلماء ثم وصفه بالفقه والحفظ وقال قلما تجد من تقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها ·

قلت لانجد مانشبه به أدمغة من عرفوا بحفظ مايلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة كعبدالله بن عباس وقتادة وابي تمام والمتنبي والمعري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا بالسماعة اوحافظة الصدى (الفونغراف) فان ذلك القرص شبيه بادمغة اولئك من جهة حفظه مايلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة ·

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استحققت هذا الاسم فقال لاني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف بانك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا حديثاً الا ميزت القديم من الحديث ، فقال له فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه و يستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف أقاويل العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار الهزليين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك فلت انا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جلسة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رقاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ يتذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظة فالتفت ابو عبيدة وكان من جملة الحاضرين وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولا دخل قلبي شيء فخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريدني بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرقاع وانا اعيد من حفظي ما فيها وما وقّع بها الأمير على كل رقعة منها فأحضرت الرقاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل أبق على نفسك من العين فكف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الحميدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة متى سمعها مرة واحدة ، وانشد البحتري قصيدته التي اولها « أأفاق صب من هوى فأفيقا » وكان ابو تمام حاضراً فحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعين بيتاً وقصتها مشهورة مذكورة في ترجمته ·

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه ·

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ والضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعين الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتحن حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوا متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسمعها ويتجاهل بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يجيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى متنه فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل ·

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل في حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق · قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذاكر بمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فنسيته · واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً ·

(٣٠٢) يونس بن حبيب النحوي : قال ابو عبيدة معمر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملأ كل يوم الواحي من حفظه ·

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النعجة في مكتبه فربما استعار بعض الصبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبدالله فيقول له أقرأه علي فاذا فعل قال أعده ثانية

ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك .

(٣٢١) محمد بن الحسن بن دريد اللغوي : كان واسع الرواية لم ير احفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فيسابق الى اتمامها من حفظه .

(٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النحوي : كان اكثر الناس حفظاً في الادب قال ابو علي القالي — كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد اكثر الناس في محفوظاتك فكم تحفظ قال أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها .

(٣٥٤) احمد بن الحسين ابو الطيب المتنبي : كان سريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب للبيع فأخذه المتنبي من يده وطفق يقرأه فقال له صاحبه أدفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقرأه فدفع المتنبي الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومر بتلاوته حتى أتى على آخره .

ومما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا و يستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال حجلى وظربى قال الشيخ ابو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد .

(٣٥٦) علي ابو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني : قال التنوخي في حقه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم — ابو الفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغاني والآثار والاحاديث المسندة والنسيب ما لم ار قط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات و السير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم .

(٣٥٦) اسماعيل ابو علي القالي صاحب الآمالي المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً .

(٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس وهجوهم .

(٣٩٣) محمد ابو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابه « قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال الصاحب « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه ٠

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالبديع الهمذاني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها غير مرة واحدة فيعيدها من حفظه مقلوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهزها على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبدالله بن حمدويه الحاكم الضبي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه بجزء من الحديث واجّله في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجعفر بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان حفظ هذا اضيق مما انت فيه ٠

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املي من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد تواطأت على وضعه فيجيب عنه ثم يترك سنة و يسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه ٠

(٤٤٩) احمد ابو العلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يحيله العقل وقد اقتصرت منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سيما ان راويها ثقة معروف وهو الامير أسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجلست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال صبي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام قلائل عدة كتب وذلك اني اقرأ عليه الكراسة والكراستين

مرة واحدة فلا يستعيد الا ماشك فيه ثم يتلو عليّ ما فقد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت فلمله يكون محفوظاً قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجدر الوجه على عينيه قلبلا وهو يتوقد ذكاء يقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن ياولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم مايختاره لك فقال سمعاً وطاعة فيختار ما يريد ، قال ابن منقذ فأخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج و يستزيد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول اعد عليّ هذا فأردده مرة اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد على كراسة ثم قلت له يقنع من هذا من قبل نفسي قال اجل حرسك الله قلت كذا وتلا عليّ ما امليته عليه وانا اعارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقيل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى .

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللغوي المعروف بابن سيده الضرير : قال في حقه ابو عمر الطلمنكي — دخلت مرسية فتشبث بي اهلها ليسمعوا عليّ كتاب (الغريب المصنف) فقلت لهم انظروا من يقرأ وانا امسك كتابي فأتوا برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتعجبت منه .

(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين : كان يحفظ اثنتي عشرة الف ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المهذب لابي بكر الصيدلاني في مجلدات ويحفظ تفسيراً لثعلب جميعه .

(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالغزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته الكثيرة فلا حاجة للتطويل في ذكر محفوظاته .

(٥٤٤) محمد بن مروان الاشبيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .

(٥٨٠) الخضر بن ثروان التوماثي : كان يحفظ الجمل وشعر المزلبين واخبار

الاصمعي ورؤبة والعجاج وذي الرمة وغيرهم من المخضرمين واهل الجاهلية والاسلام ٠

(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي : كان يحفظ القرآن وكتاب التنبيه في الفقه وشعر الحماسة ٠

(٥٩٠) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية العجيبة في فن القرآت السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وقر بعير من العلوم بحيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها ٠

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكناني العسقلاني : كان يحفظ مختصر الخرقي في الفقه وألفية ابن مالك والطوالع للبيضاوي والشذور والملحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة ويحفظ غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها على علماء عصره ٠

(٧٢٨) الامام احمد بن تيمية له من المؤلفات المفيدة مايربو على اربعمائة كتاب كلها كان يمليه من خزانة فكره ويغترفها من بحار معرفته وكان الناس يبهتون من كثرة حفظه فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي ٠

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والألفية ومنهاج البيضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره ٠

(٨١٧) محمد بن يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كان سريع الحفظ وكان يقول لا انام الا واحفظ مائتي سطر ومما يدل على قوة حافظته اتيانه برديف لكلام علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسألوه عن قول علي لكاتبه (الصق روانفك بالجبوب الخ) ٠

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التنبيه لابي اسحق والفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والفية العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره ٠

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي والارشاد لابن المقري والفية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البيضاوي في اصول الفقه

والشاطبية و كافية ابن الحاجب الفية ابن مالك الطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزي ·

(فريق من الحفظة الذين لم اهتد الى تاريخ وفياتهم) — منهم الهيثم بن احمد بن غالب قال في كتاب نفح الطيب : كان آية في الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقترحوا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي يأرق) وسمّاره قد نام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف ·

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال في الشقائق النعمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر ابن الحاجب للعضد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطيبي ·

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين التفتازاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الاوهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لامكن ان يكتبها من حفظه ·

ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : حكى عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ماذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ · وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشاف للزمخشري الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه ·

وهنا أستوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء اقوياء الحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بيان اسمائهم لضاقت عن جريه صفحات المجلة وانما اكتفي الآن بايراد هذه النبذة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك كله) ·

حلب : كامل الغزي

عضو المجمع العلمي العربي



مطبوعات حديثة

حوليات مصر السياسية

«تأليف احمد شفيق باشا»

تمهيد الجزء الثاني ص٧٩٩ وملحقه ١٢٨ص طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ·

تمهيد الجزء الثالث ص٧٣٥ طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م ·

الحولية الاولى سنة ١٩٢٤ م ص٦١١ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م ·

الحولية الثانية سنة ١٩٢٥ م ص١١٠٤ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م ·

الحولية الثالثة سنة ١٩٢٦ م ص٧٠٧ طبعت سنة ١٣٤٨ — ١٩٢٩ ·

وكلها مطبوعة في مطبعة شفيق باشا ومطبعة حوليات مصر السياسية بشارع الدواوين بالقاهرة ·

بلغ المؤرخ الاستاذ واضع هذا الكتاب العظيم أمنيته على نحو ماتوقعه في الجزء الاول من حولياته (مجلة المجمع العلمي العربي م٨ ص٣٠٦) وما أمنيتـه الا خدمة مصر وتاريخها · وبعد ان مهد لتاريخه في ثلاثة مجلدات عاد يخص كل سنة بمجلد فكتب تاريخ مصر الآن بعد المقدمات المهمة من سنة ١٩٢٤—١٩٢٦ اي ثلاث سنين وتوخى «خطة الحياد في سرد الحوادث وبيان ارتباطها بعضها ببعض» وابتعد «عن الحكم فيها الا بما قضت به ضرورة البيان متوخياً في الحكم البحث عن الحقيقة المجردة» «فما زالت علة التاريخ الزيغ والميل مع الهوى» «وحسبك ان تعلم ان اول واجبات المؤرخ نسيان عواطفـه ووأد العوامل الشخصية وأداً تاماً ، والتحرر من النزعات النفسية إطلاقاً حتى لاتصطبغ كتابته بما يشوّش بهاء الحق و يغض من جمال الصدق» .

وفي الحق ان المؤلف راعى هذه الاعتبارات كل المراعاة فيما أصدره حتى الآن من مجلداته الستة المتعة بحيث لا يحتـاج الباحث بعدها في تلخيص تاريخ مصر الحديث الا الى الرجوع الى مادوّن من هذه الوثائق الثمينة وبذلك وفر للباحثين اوقاتهم واعطاهم زبدة ماتم في تاريخ مصر السياسي · وحسب القارئ ان يعرف ان العلامة مؤرخ مصر

الحديثة صرف حياته في معاناة السياسة خائضاً فيهـا مع الخائضين قريباً كل القرب من الاوساط السياسية . وهو يكتب الآن مجرداً عن مظاهره القديمة وقد نضج عمله وصحت تجاربه . ولذلك يهنأ على عمله المجيد الذي خلد به مجد مصر الأخير على صورة ترفع رأس كل مصري بل كل عربي وشرقي . وفقه الله الى إتمام مشروعه الذي تنوء بحمله الجماعات دع الافراد . وانا لنرجو ان تنبعث همة كل اخصائي في علم من العلوم البشرية في مصر والبلاد العربية ليقدم لامته خدمة كخدمة صديقنا احمد شفيق باشا ، اذاً لامتلأت الخزائن بمنشآت الأقلام وخرجنا بالامة الى رحاب البحث العلمي الممتع ولفاخرنا امام أمم الغرب بمؤلفنا وتسلسل اعمالنا ، فمحونا بعملنا وجدنا الوصمة التي طالما وصمنا بها الدخلاء برميهم ايانا بوناء الهمم افراداً وجماعات . م . ك

المجمع العلمي اللبناني

« خلاصة اعماله الى السنة الحاضرة (١٩٣٠) بطبعة المعرض ببيروت » . . .

رسالة في أعمال المجمع منذ نشأته في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ وفيه خلاصة من تقارير خمسة وضعتها اللجنة الادارية — واللغوية — والجغرافيا والتاريخ — والمخطوطات ورأي رئيسه وبعض اعضائه في دائرة المعارف . ولم تخرج كلها عن حدود التقارير التي لم تنفذ بعد وننتظر عطف الجمهورية اللبنانية حتى تخرج من الاقوال الى الافعال . وقد استفدنا منه ان في مكاتب بيروت الكبرى ٦٧٤ مؤلفاً عربياً مخطوطاً منها ٤٧٦ مجلداً و١٩٨ رسالة . ففي الجامعة الاميركية منها ١٨٣ مجلداً و١٣٤ رسالة . وفي مكتبة الآباء اليسوعيين ٢٤٥ مجلداً و٤٤ رسالة . وفي دار الكتب الكبرى ٤٨ مجلداً و٢٠ رسالة . وان لجنة الجغرافيا والتاريخ « طبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي كل منها حقول متنوعة لاسماء المدن والدساكر والقرى والمزارع وعدد النفوس والمذاهب والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن الآثار واهم الحاصلات الزراعية والمنسوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون العمرانية الاقتصادية عدا أماكن الاصطياف ومواردها التي لها المقام الاول في جبل لبنان » .

والمأمول ان يتم هذا المعجم قريباً وان يشرع المجمع الشقيق في القاء المحاضرات العشر التي اعدها لهذه السنة وهي مهمة في بابها ولا بأس بان نلفت نظر من وضعوا هذه الرسالة الى ان المجامع التي ذكروها في العراق ومصر (بل وشرقي الأردن) لم تتعد حدالتأسيس بل حدّ الاماني حتى الآن . وعالم الادب ينتظر منها ومن المجمع اللبناني اعمالاً أدبية محسوسة تقرّ بها عيون العرب والعربية . م . ك

سيد قريش

— بقلم —

« الاستاذ معروف الارناؤط »

قال ابو العباس النامي في المتنبيّ والنامي ، من خواص شعراء سيف الدولة : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبيّ ، وانا لما قرأت (سيد قريش) واحطت بحياة العرب ، وسياستها ، واجتماعها في جاهليتها الجهلاء ، خطر ببالي ان اقول في الاستاذ معروف الارناؤط ما قاله النامي في المتنبيّ : كان بقي من الادب زاوية دخلها السيد معروف الارناؤط .

وما هذه الزاوية الا زاوية الرواية ، ولقد دخلها الاستاذ معروف وتبحبح في ساحتها ، فبَوَّأته وفَيّأها ، فما نكرت جانبه ولا نكر جانبها ، أعطته كل ما ملكت ، واعطاها كل ماملك ، أعطته صوراً هامدة فأحياها ، وارواحاً جامدة فحرّكها ، وألواناً كامدة فصفّاها ، فان شئت ان تشاهد شيئاً من حياة هذه الصور ، وحركة هذه الارواح ، وصفاء هذه الالوان ، فارجع الى اي فصل من فصول سيد قريش ، اني لا ادلك على موضع من مواضع روعتها ، فاختر لنفسك ماشئت من فصولها في الغساسنة والمناذرة ، والقياصرة والأكاسرة ، فان كان في قلبك غم لم تفرّجه فارجع الى فصلها في شاعر الغساسنة ، انك تجد دمشق في ربيعها الطلق تهش بك ازاهيرها ، وتضحك اليك رياحينها ، فاستظلّ بهذا الظل الخضل ، وان كان في عينيك بقية دمع لم تذرفه ، فارجع الى فصل العرب بين الروم والفرس ، انك تصادف أمة مصدوعة الشمل من قديم الدهر ، تشتري موتها في سبيل حياة غيرها ،

من الروم والفرس ، يصطنعونها في تأييد سلطانهم ، فيتقاتل الحارث الغساني ، والمنذر اللخمي حتى ينبسط قيصر او كسرى في بلاد العرب ، وان كان في صدرك وحشة في وطنك فارجع الى فصل الوطن في البادية ، انك ترى البدوي يأبى ان يسكن دمشق وجناتها بدل الصحراء ، فتعلم كيف يكون الحنين الى الوطن ·

ارجع الى هذه الفصول كلها ، حتى تعرف ماهو سحر العبقرية ، وتدرك الفرق بين كدرة التاريخ ونضارة الفن · لقد وضّح الاستاذ معروف الارناؤط حياة العرب قبل الاسلام في جميع نواحيها ، في سياستها ، واجتماعها ، وثقافتها ، على قدر ما هداه اليه التاريخ ، وعلى قدر ما أوحت اليه الرواية ، والتأليف بين حقيقة التاريخ ، وبين خيال الرواية ، هذا هو السحر الحلال الذي يروعك في سيد قريش ·

« شفيق جبري »

هدايا كتب

(العقود الدرية في الدواوين الحلبية) — هي ثلاثة دواوين لثلاثة من شعراء حلب : اولهم حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ · وهذا الديوان لم ينشر ولم يطبع بعد · والثاني ديوان فتح الله النحاس المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ وهذا طبع وتدوول · والثالث ديوان مصطفى بن عبد الملك البابي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ · وقد طبع ايضاً والاخير منهم هو صاحب الموشح الرقيق الذي وصف فيه عين الذهب ووادي الباب ومطلعه :

(بأبي وا بأبي وا بأبي جرعة من ماء عين الذهب)

وقد ذهل ڤانديك في جغرافيته (المرآة الوضية) فجعل هذه العين في الاندلس مذ قال « ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى البابي الحلبي هذا الموشح بابي الخ » والبابي المذكور مات سنة ١٠٩١ هـ اي بعد جلاء المسلمين عن الاندلس بنحو (٢٠٠) سنة فلا يعقل ان يكون — وهو في حلب — قال موشحه في العين التي في الاندلس · وناشر هذه الدواوين الثلاثة هو عضو مجمعنا العلمي الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ وقد طبعها في مطبعته العلمية بحلب سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) ·

وقد أثنينا مراراً على نشاط رصيفنا الاستاذ في ماينشره من الكتب والمخطوطات في الفنون الخزانة فجزاه الله خيراً .

(الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) — اخذت (مكتبة عرفة) في دمشق تنشر على نفقتها من وقت الى آخر الكتب التي تراها أعلق بفائدة الجمهور ، من ذلك الرسالة المذكورة التي ألفها الاستاذ الكتاني المعروف في دمشق بعلمه وفضله ورسوخه في علوم الدين ولا سيما السنة والحديث . وقد جمع في رسالته كل ما يتعلق بالسنة وطبقاتها ودرجاتها ، فالمتصفح لها يجد كل ما يهمه ويفيده في الوقوف على علم السنة وتاريخه وتدرجه منذ صدر الاسلام الى اليوم .

(مستهل الآداب) — وهذا الكتاب ايضاً مما نشرته مكتبة عرفة لمؤلفه الأديب السيد محمد جميل سلطان من أساتذة المدارس وقد ضمنه طريقة حديثة في تسهيل تعليم الآداب العربية للطلاب طبقاً للمنهاج المقرر تدريسه لطلاب الصف الخامس . فنشكر لمؤلفه وناشره ونلفت أنظار أساتذة التعليم اليه .

(الثقافة والتهذيب) — رسالة لطيفة في حجمها غزيرة في مادتها وفائدتها لكاتبها الفاضل (ابو زهير الاندلسي) وهو لقب انتحله السيد راشد طبارة ، يوقع به آثاره . ومنها هذه الرسالة التي ضمنها مباحث في التربية والتهذيب ومقامهما من حياة الافراد والجماعات ، والبحث فيهما مستند الى الاصول التي وضعها علماء هذا الفن المعاصرين ، فالرسالة لا غنى لمعلم ولا لمربٍ عنها فنشكر لمؤلفها سعيه وهديته .

(الهندسة المستوية) — تأليف « وينثوورث وسميث » وتعريب كل من الفاضلين جلال امين زريق والاستاذ السيد علي وقد وصل الينا من هذا المصنف جزآن الثاني والثالث اللذان قررت وزارة المعارف العراقية تدريسهما في السنة الثانية من الدراسة الثانوية فنلفت اليهما علماء هذا الفن وطلابه .

« المغربي »

الجزء ٣ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٣٠ م الموافق شوال سنة ١٣٤٨ هـ

قاعدة توهم الإصالة

— أو —

« انجذاب الطبع »

كنت منذ خمس سنوات نشرت مقالاً في مجلة المجمع (مجلد ٥ ص٢٠٥) بعنوان « تأصيل اصل في اللغة العربية » قررت فيه قاعدة لغوية سميتها (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) وبنيتها على ما روي من أن (عمارة ابن عقيل) أحد من تؤخذ عنه اللغة في القرن الثالث للهجرة استعمل في شعره كلمة (أرياح) جمع ريح . فخطأه ابو حاتم السجستاني قائلاً ان هذا لايجوز وانما هي (أرواح) بالواو لان (الياء) في مفرده مقلوبة عن (واو) فاعتذر عقيل بقوله (لقد جذبني اليها طبعي) يعني انه يسمعهم يقولون في جمع ريح (رياح) فتوهم الياء أصلية فقاس عليها (ارياح) .

وقلنا في مقالنا المذكور ان علماء اللغة افترصوا غلط عقيل واستفادوا من(انجذاب طبعه) فخرّجوا كلمات كثيرة في اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) مخالفين القياس في ذلك . وقد تتبعت طائفة من تلك الكلمات سردتها واحدة واحدة في مقالي المذكور . وأثبت كيف كان قياسها وكيف جرى الاستعمال عليها بخلاف القياس مراعاة لقاعدة (توهم الأصالة) وهذه هي تلك الكلمات نذكرها درج مقالنا هذا :

(١) عيد أعياد	(٧) مذهب تمذهب	(١٣) تهمة أتهمه الحاكم
(٢) منطقة تمنطق	(٨) مصير أمصرة؛ مصران ومصارين	(١٤) (ساق) وجمعها سؤق بالهمزة
(٣) مدرعة تمدرع	(٩) مسيل مُسُل مسلان أمسلة	(١٥) سنة سانهه
(٤) مسكن تمسكن	(١٠) مكان أمكنة أمكن أماكن	(١٦) ثور أثيه
(٥) منديل تمندل	(١١) حيلة أحيل	
(٦) مسلم تمسلم	(١٢) تخمة أتخمه الطعام	

هذه الكلمات وردت في كلام العرب فهي اذاً قاموسية وقد طبقها علماء اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) . وهناك كلمات ذكرناها وردت على تلك القاعدة لكنها ليست قاموسية وانما هي مولدة استعملها المولدون متأثرين بالقاعدة من حيث لا يشعرون وهي :

(١٧) مسخرة تمسخر عليه	(٢٠) سلطان تسلطن
(١٨) ملعون تملعن	(٢١) شيطان تشيطن
(١٩) مشيخة تمشيخ	

هذا ما أحدثه المولدون من الكلمات المراعى فيها قاعدة (توهم الأصالة) اما المعاصرون فهل استفادوا من تلك القاعدة ؟ نعم . فان الشيخ ابراهيم اليازجي استعمل :

(٢٢) كلمة (منطاد) وجمعها على (مناطيد) توهماً ان نون (منطاد) اصلية مع انها زائدة وكان القياس ان يقال (مطاويد). ثم خرجتُ أنا كلمة جديدة شائعة على الالسنة والأقلام ولاسيما في المعاملات الرسمية وطبقتها على تلك القاعدة وهي كلمة :

(٢٣) أشّر تأشيراً بالهمزة على توهم أصالتها في كلمة (إشارة) وكان القياس ان يقال (شوّر على الكتاب) لا أشر عليه .

هذا ملخص ماجاء في مقالنا السابق . ومازلت مذ ذلك الحين أتتبع الكلمات القاموسية التي وردت مضروبة على غرار تلك الكلمات فعثرت على طائفة منها أحببت جمعها في هذا المقال وتخريجها على قاعدة (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) كما فعلت في كلمات المقال الاول . وبعد ان أسردها آتي على كلمات نستعملها نحن اليوم مخالفين فيها القياس . ثم أستفتي الزملاء بجواز استعمالها بناء على القاعدة نفسها .

(٢٤) ص في مقالنا السابق (مجلد٥ ص٢١٠) ان اصل (سنة) سنو حذفوا واوها وعوضوا تاء فقيل سنة . لكنهم كثيراً مايقفون عليها بالهاء فيقولون (سنه سنه) وبذلك توهموا الهاء أصلية وبناء على هذا التوهم قالوا في جمع سنه (سنهات) وفي فعلها (سانهه) اي عامله بالسنة كما قالوا (سنوات) و(ساناه) على الأصل .

وأقول هنا انهم كما كانوا يقفون في (سنه) على الهاء حتى ظنوها أصلية كذلك كانوا ينطقون الهاء تاء فيقولون (سنةٌ سنةً سنةٍ) حتى توهموا ان التاء أصلية وليست مقلوبة عن واو . وتوهمهم هذا جذب طبعهم الى اشتقاق فعل منها واثبات التاء في الفعل : فقالوا (أسنت) مشتقاً من كلمة (السنة) المستعملة في معنى الجدب والقحط لا بمعنى العام . ومعنى أسنت القوم أجدبوا وقحطوا . وكان القياس ان يقولوا (أسنى القوم) بالألف المنقلبة عن الواو الاصلية . نعم هم يقولون أسنى القوم لكن لا بمعنى قحطوا بل بمعنى أقاموا في المكان سنة واحدة . ومن قبيل توهم الأصالة في تاء (سنة) استعمالهم فعلاً لها من التفعّل فيقولون (تسنّت فلان فلانةً) اي ان فلانة المسكينة أسنتت وأجدبت وقلّ مالها وهي كريمة فافترص فلان اللئيم الكثير المال حالتها هذه فتزوّجها .

(٢٥) (ميسم مياسم) الميسم أثر الكي في الجلد مشتق من (الوسم) الواوي فأصل (ميسم) (موسم) قلبت واوها ياء لانكسار ماقبلها فاذا جمعتها على القياس قلت (مواسم) بتصحيح الواو . لكنهم قالوا في جمعها (مياسم) ايضاً وهذا بناء على توهمهم أصالة الياء في (ميسم) كما توهموا أصالتها في (ريح) و(عيد) مذ قالوا (أرياح) و (أعياد) . ولعلهم انما قالوا مياسم في ميسم ابتعاداً عن التباسها بالمواسم جمع موسم وهو اجتماع الناس في أيام مخصوصة .

(٢٦) (زير أزيار) الزير هو الذي يزور النساء ويحب محادثتهن من غير شر . فهو من(زار يزور) الواوي وأصل (زير) (زور) قلبت الواو ياء لكسر ماقبلها . فجمع (زير) (أزوار) يرد الياء الى أصلها . لكنهم لكثرة ماسمعوا كلمة (زير) توهموا ياءها أصلية فقالوا في جمعها ايضاً (أزيار) .

(٢٧) (مُكحلة تمكحل) (المكحلة) بضم الميم اسم آلة للوعاء المعروف الذي يوضع فيه الكحل وقد أُنس الناس بكلمة مُكحلة وترددت على أفواههم حتى حسبوا ميمها (أصلية) وحتى قالوا في الفعل منها(تمكحل) اي أخذ مكحلة كما قالوا تمنطق . وقياسه تكحل من دون ميم .

(٢٨) (مولى تمولى) المولى السيد وميمه زائدة لانه مشتق من (ولي) . فكان قياس فعله ان يقال (تولى) فلان علينا . لكنهم توهموا ميم (مولى) أصلية فقالوا (تمولى) علينا و (ما كان فلان بمولى ولقد تمولى) .

(٢٩) (إتَّقى تَقى يتقي) فعل (اتَّقى الله) اصله إوتقى من الوقاية قلبت الواو تاء ثم ادغمت التاءآن وقد كثر استعمال (اتقى) حتى توهموا ان تاءه اصلية لامنقلبة عن واو ثم توهموا ان ثلاثيّ (اتقى) (تَقى) لا (وقى) ومضارعه يتقي لا يقي . انشد ابن دريد :

جلاها الصيقلون فاخلصوها خفافاً كلها يتقي بأثر

وامره (تق) لا (ق) قال الشعبي :

(تَقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خلتني في الحج ملتمساً وصلا)

وهكذا زادوا في لغة العرب بناء على قاعدة (التوهم) فعلاً ثلاثياً هو (تقى يتقي) كقضى يقضي . وجعلوا له مصدراً وهو (تقىً وتِقاء) واسم مصدر وهو (تقوى) . فكأنه لا واو في اصل المادة بل نسوها بالمرة . وكل ذلك ناتج عن لزوم التاء في (اتقى) وتوهمهم أصالتها .

(٣٠) (اتخذ تخذ) فعل (اتَّخذ) افتعال من الاخذ . واصله إئتخذ ولقد توهموا أصالة التاء في (اتَّخذ) من كثرة استعمالها حتى اشتقوا منه فعلاً ثلاثياً مبدوءً بالتاء فقالوا (تَخِذتُ مالاً اذا كسبته وتَخِذتُ زيداً صديقاً) من باب تعب . وجعلوا له مصدراً مبدوءً بالتاء ايضاً فقالوا (تَخَذاً) على وزن (تعباً) .

(٣١) (خنثى خنثاه) خُنثى كحبلى ألفها زائدة لكنهم توهموا أصالتها فاشتقوا من خنثى فعل (خنثاه) كسلقاه اذا صيره كالخنثى ومنه قول المتنبي :

خَنْثَى الفحولَ من الكماة بصبغه ما يلبسون من الحديد معصفرا

اي صيَّر فحول الكماة خناثى وذلك مذ صبغ دروعهم بعصفر الدم . ولون المعصفر والورس مما يتضمخ به النساء فهم خناثى : بين النساء والرجال .

(٣٢) (مأونة : مان يمون) وزن (مأونة) مَفْعُلة وهي مشتقة من (الأين) بمعنى التعب فأصل (مأونة) (مأيُنة) . والاصح ان كلمة (مأونة) مشتقة من (الاون) واصل معناه الشدة والتعب كالاين لكنهم نقلوه الى معنى التكلف للنفقة خاصة . والمأونة هي النفقة التي

بتكلفها رب العائلة تكلفاً . وقد كثرت (المأونة) في استعمالهم حتى توهموا ان ميمها اصلية كالفاء من (فعولة) مع انها هي كالميم في (مفعلة) وبناء على هذا التوهم اشتقوا من (مأونة) فعلاً ثلاثياً فقالوا (مأنه يمؤنه) ثم خففوا همزته فقالوا (مانه يمونه) وكان القياس ان يقال بدل (مانه يمونه) (آنه يؤونه) لان اصله الاون او الاين كما مر .

(٣٣) (زيار زيّر) الزيار خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس (أي شفته) لذل فيتمكن من بيطرته . واصل (زيار) (زوار) بالواو . لكنهم توهموا أصالة يائها لكثرة الاستعمال . وبناء على هذا التوهم قالوا في فعله (زيّر) البيطار الدابة . اي شدّ جحفلتها بالزيار والقياس فيه زوّر بالواو .

(٣٤) (عيال : أعيَل) عال الرجل عياله يعولهم اذا كفاهم مؤونتهم ويقال في المزيد منه (أعول عياله) بمعنى عالهم . فأعول بالواو هو الاصل والقياس . لكنهم أحياناً يقولون (أعيل) الرجل عياله بالياء مكان (أعول) وهذا منظور فيه الى توهم أصالة الياء في (عيال) الكثير ترددها على الأفواه . مع ان (ياء) عيال مقلوبة عن واو : اذ اصله (عِوال) . قال ابن برّي « كأن (عوال) في الاصل مصدر أريد به المفعول » يريد ان معنى عوال في الاصل هو ان تعول غيرك ثم استعملوه في من تعولهم . وهكذا وجود الياء في (عيال) جعلهم يتوهمون و يشتقون منها فعل (أعيل) اذا كثرت عياله : كما يقولون ايضاً (أعول) بالواو على الاصل . ولعل الذي روّج (أعيل) في الاستعمال أن لأعول الواوي معنى آخر وهو رفع الصوت بالبكاء . فمن ثم استحسنوا ان يقولوا (أعيل) بالياء استناداً الى قاعدة التوهم وخصوا (أعول) الواوي بالعويل .

(٣٥) (قَيْل : أقيـال) القَيل الملك او من كان دون الملك من ملوك حمير : فهو بمثابة (برنس) في لغات الأعاجم . واصل (قَيْل) المخفف (قيّل) مشدد . خففوه مثلما خففوا (ميّت) فقالوا (ميْت) واصل (ميّت) ميوت . فكذلك اصل (قيّل) قيول : فهو مشتق من القول . لان الامير الحميري يقول ما يشاء فينفذ قوله . فاذا جمعوا (قَيْل) المخفف قالوا (أقوال) لان الجموع ترد الاشياء الى اصولها كما يقولون في جمع (ميت) (أموات) . لكن الفصحاء اكثر مايستعملون في جمع (قيْل) (أقيال) بالياء وهذا بالطبع مراعى فيه قاعدة (توهم الأصالة) اي أصالة الياء في (قيل) . ولعل الذي روّج هذا الجمع

وجعله يغلب على (أقوال) هو تجنبهم الالتباس (بأقوال) جمع (قَوْل) مصدر قال ٠

(٣٦) (منارة : منائر) ميم منارة زائدة لان الكلمة مشتقة من النار او النور ٠ فوزن (منارة) مفعلة لا فعالة ٠ لكنهم توهموا أصالة ميم (منارة) كما اذا كانت مشتقة من (منر) وهذا التوهم جعلهم يعتبرون ألفها زائدة كألف (فعالة) لا أصلية ٠ و يجمعونها على (منائر) بالهمزة لا (مناور) بالواو ٠ فانظر كيف عكسوا : فتوهموا الحرف الزائد (وهو ميم منارة) أصلياً ٠ والحرف الاصلي (وهو واو منارة : منورة) زائداً ٠ حتى ظهر أثر هذا التوهم في جمع التكسير فقالوا (منائر) بالهمزة ٠ والقاعدة في ذلك ان الواو والياء اذا وقعتا بعد الف تهمزان اذا كانتا زائدتين كياء (فضيلة) في (فضائل) وتبقيان على حالتهما اذا كانتا أصليتين فواو (منارة — منورة) أصلية فيجب ان تبقى على حالها في الجمع ٠ فيقال (مناور) ومع هذا فقد قالوا ايضاً (منائر) على توهم أصالة الميم وزيادة الواو ٠

(٣٧) (حيْز: تحيَّز) الحيْز المكان ويستعملونه أحياناً كما نستعمل نحن اليوم كلمة المنطقة مذ نقول ان البلد الفلاني داخل في منطقة الحرب اومنطقة الثورة مثلاً ٠ والفعل منه تحوَّز بالواو لان اصل (حيّز) (حيوز) من حاز الشيءُ يحوزه اذا ضمه اليه وجمعه ٠ و (الحيّز) يحوز ما في ضمنه ٠ فقياسه تحوَّز لا تحيز ٠ لكنهم مع هذا قالوا (تحيز) على توهم أصالة الياء في حيْز ٠

« هذه ثلاث عشرة كلمة عثرت عليها أخيراً وأضفتها الى الكلمات التي أودعتها مقالي الاول ٠

وكما زدت في مقالي الاول فعل (أثَّر تأثيراً) وطبقته على قاعدة (توهم الاصالة) و (انجذاب الطبع) واستحسنت تجويز استعماله — أحب في مقالي هذا ان أسرد خمس كلمات أطبقها على القاعدة المذكورة وهي :

(٣٨) سيد : تسيّد) سيّد أصله سيود من (ساد يسود) الواوي فاذا أراد العرب ان يقولوا صار فلاناً سيداً قالوا (تسوّد فلاناً) وهذا هو القياس كتحوَّز من الحيز ٠ لكنهم قالوا ايضاً (تحيّز) بالياء على توهم أصالة الياء في الحيز كما مر ٠ فلمَ لا يطاوعني الرفاق فنقول (تسيّد فلان) أي صار سيداً ٠ كما قالوا (تسوّد) ٠ وذلك بناءً على توهم أصالة الياء في (سيد) كما توهموا هم أصالتها في (حيّز) ٠ ثم نخصص (تسوّد) — بالشيء

الذي صار أسود كما مر في تخصيص فعل (أعول) بالعويل وجعل (أعيل) للعيال . ولم لأأشايع على ذلك . وانما نرى الناس اليوم يستسهلون ان يقولوا (تسيّد) اي صار سيداً . ولا يفهمون من (تسوّد) الا معنى اسودّ أي صار أسود .

(٣٩) (رياضة : تريض) أصل رياضة رواضة بالواو لانها مصدر راض الدابة يروضها فالفعل منه (تروّض) وهو القياس لكنهم يقولون اليوم (تريّض) بالياء . فلما ذا لانجيزلهم ذلك كما جاز في (أعيل) مستندين الى قاعدة (توهم الاصالة) أي أصالة الياء في رياضة . و يحق لنا هذا التوهم لكثرة ما نستعمل كلة رياضة استعمالاً مستفيضاً على أطراف ألسنتنا وأسنة أقلامنا .

(٤٠) (مختار : مخاتير) التاء في (مختار) زائدة كما لا يخفى . فالواجب اذاً حذفها في جمع التكسير فيقال (مخابير) وهو الأصل . لكن كثرة استعمال كلة (مختار) مراداً بها شيخ الحارة او شيخ القرية الذي ترجع اليه الحكومة في أمورها — هذه الكثرة جعلتنا نتخيل انتاء (مختار) أصلية . ولذا انجذب طبعنا الى إثباتها في جمع التكسير فنقول(مخاتير) بالتاء . كما أثبت العلامة اليازجي النون في (مناطيد) مع انالقياس والاصل أن يقال (مطاويد) ولا أكلف نفسي عناء في استصدار فتوى من الزملاء بجواز استعمال (مخاتير) فان فتواها معها وقد أعلنتها على ألسنة جميع الناس وأيّدت ذلك معاملات الحكومة .

(٤١) (مسمار : تمسمر) ميم (مسمار) زائدة لان اصله اسم آلة من (سَمَر) الشيء (بالتخفيف) وسمّره (بالتشديد) شدّه بالمسمار . لكننا من كثرة استعمال (مسمار) حسبنا ميمه أصلية . وجعل الناس يقولون (مسمَره) كما يقولون (تمسمر) فلان في مكانه اذا ثبت ولم يتحلحل . وكان القياس ان يقال (تسمَّر) في مكانه من دون ميم في اوله . لكننا توهمنا أصالتها في(مسمار) فأجريناها في تمسمر . وهذا كافعل من قبلنا في (تمسخر وتملمن وتمشيخ) مذ توهموا ان الميم أصلية في مسخرة وملمون ومشيخة .

(٤٢) (مركز : تمركز) ميم (مركز) زائدة : اذهو اسم مكان من(ركزه) اذا غرزه وأثبته في الارض . والمراكز منابت الاسنان . وشاعت كلة (مركز) في زماننا لمعان مختلفة حتى حسبنا ميمها أصلية . ولذا اشتققنا منها فعلاً وقلنا (تمركز) اي ثبت واتخذ لنفسه

مركزاً . وكان القياس ان يقال تركّز . غير ان توهّمنا أصالة ميم (مركز) جعلنا نقول (تمركز) كما قال العرب تمكحل مذ توهموا الميم أصلية في (مكحلة) .

هذه هي الكلمات الخمس التي أرى تجويز استعمالها وان نستفيد من قاعدة توهم الأصالة .

وأختم البحث بتقرير كلمتين ارى ان أطبقهما على القاعدة المذكورة وأخالف ابن جني وسيبويه فيما ذهبا اليه من امرهما . وهما :

(٤٣) (صاغ يصوغ صوغاً) واسم الفاعل (صائغ) بقلب الواو همزة . والمبالغة (صوّاغ) بالواو المشدّدة . لكنهم قالوا ايضاً في المبالغة (صيّاغ) بالياء المشددة المقلوبة عن واو . ولا موجب لقلبها . غير ان ابن جني علل القلب بكراهة التقاء الواوين . فنقول له : ولماذا لم يكرهوا التقاء الواوين في (جوّال) مثلاً فيقولوا (جيال) . وعندي ان السبب في قولهم (صيّاغ) قول العرب في مصدر صاغ (الصياغة) بقلب الواو ياء وقولهم في اسم الفاعل منه (صايغ) بتسهيل الهمزة ياء . وقد كثر استعمال كلمتي (صياغة) و (صايغ) في كلامهم كثرة جعلتهم يتوهمون ان الياء اصلية فيهما ثم جذبهم توهمهم هذا الى ان يقولوا في المبالغة (صيّاغ) بالياء على خلاف القاعدة كما قالوا (صواغ) بالواو على القاعدة .

ومثله في ذلك (نام نوماً) واسم الفاعل (نائم) واصله (ناوم) وجمع نائم (نُوّام) بواو مشددة وهو الاصل . لكنهم قالوا ايضاً في جمع نائم (نُيّام) بياء مشددة . قال الشاعر :

(ألا طرقتنا ميّة ابنة منذر فما أرّق النُيّام إلا سلامها)

وكذلك نسمعهم يقولون في جمع (نائمة) (نوّم) بواو مشددة على الاصل و (نُيّم) بقلب الواو ياء على خلاف الاصل . واري انه لا داعي لهذا القلب في (نُيّم) ولا في (نُيّام) سوى توهمهم اصالة الياء في (نايم) و(نايمة) مذ ينطقونها هكذا بياء بين مسهّلتين عن الهمزة .

(٤٤) (فتى : فتَوان) ألف (فتى) منقلبة عن ياء لان فعله (فتِي يفتى) على وزن (بلي يبلى) فالقياس ان يقال في تثنيته (فتيان) وفي جمعه (فِتية) لكن أهل اللسان كما نطقوا بذلك على الأصل خالفوه وقالوا في المثنى (فتَوان) وفي الجمع (فِتوة) بالواو في الكلمتين . فما الداعي الى ذلك ومن اين جاءت هذه الواو ؟ أجاب سيبويه عن هذا بان إبدال الواو في ذلك شذوذ . أما انا فأرى ان استعمالهم (فتَوان) و (فِتوة) بالواو بدل الياء مبني على القاعدة السحة: قاعدة (انجذاب الطبع) وتوهم أصالة الواو في كلمة (فتوّة) التي

هي مصدر (فتى يفتى) اليائي . قد تولدت (الواو) في(فتوة)— مع ان فعلها يائي — بعامل صرفي : ذلك انهم بنوا من فعل (فَتِي) اليائي مصدراً على وزن (فعولة) كما قالوا (طفولة ورجولة ومروءة) من (طفل ورجل ومرء) فكان (فُتوية) : ففي هذا البناء اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الياء واواً وأُدغمت في الواو الزائدة . فأصبح المصدر (فتوّة) . اونقول في إعلال (فتوية) ان الواو قلبت ياء كما هو المشهور في القاعدة فصارت (فُتُيّة) ثم قلبت الياء المشددة واواً مشددة لانضمام التاء قبلها اذ القاعدة ان الياء اذا كان قبلها ضمة تقلب واواً فصارت (فتوّة) . ثم ان كلمة (فتوة) شاعت ورددتها الافواه وغلبت في الاستعمال على المصدر الآخر وهو (الفَتاء) وبذلك توهموا ان واوها أصلية . وبعد ان استحكم هذا التوهم سهل عليهم ان يقولوا في مثنى فتى (فَتَوان) كما قالوا فتيان وفي جمعه (فِتْوة) كما قالوا (فتية) وفي جمع فتاة (فتوات) كما قالوا (فتيات) وملخص القول ان اجراء (فتوان) و (فتوة) و (فتوات) على قاعدة (توهم الأصالة) خير لنا من ان نقول كما قال سيبويه — ان ذلك شذوذ . لان القول بالشذوذ يؤدي الى عدم قبول كلمات جديدة . بخلاف القول بقاعدة (توهم الأصالة) فاننا نستفيد منه تصحيح كثير من الكلمات التي قد نحتاج اليها في المصطلحات الحديثة . « المغربي »

جامع التواريخ

المسمى بنشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

— ٣ —

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد الكاتب قال لما تقلد ابي ديوان الضياع المعروفة بغريب الحال (١) استخلف اخي ابا الحسين زكريا بن يحيى على الديوان وأجرى له عشرين ديناراً في الشهر وأجرى عليّ عشرة دنانير برسم التحرير في هذا الديوان فأنفت من ذلك ولم اقبل الرزق ولا العمل ومضيت الى ديوان ضياع الخاصة. وكان يليه اذ ذاك ابو حامد محمد بن الحسن الملقب بسودانية فلم القه ولا توسلت اليه بما كان بين ابي و بينه. ولزمت الديوان بحضرة ابي يوسف عبد الرحمن ابن محمد بن سهل المعروف بالمرمد . واليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان مدة شهر وكنت أتعلم. فبلغ اباحامد خبري ولم اكن اذ ذاك بلغت عشرين سنة ولا قاربتها. فاستحضرني فدخلت اليه فعتبني على تركي الدخول اليه والتعرف اليه. وامرني بملازمة حضرته واجرى لي درجين وثبتاً وقرطاساً في كل يوم وقال سود فيها وتعلم الخط. فلما كان بعد ايام فرقت ارزاق الكتاب لشهر واحد فوقع الى خازنه المتولي للتفرقة أن يحمل اليّ بقيمة عشرين ديناراً ثلاثمائة درهم. وقال قد اجرى لك هذه في كل شهر. فصرت الى ابي فأريته

---

(١) م . ع لم نعثر على ضياع بهذا الاسم .

اياها وقلت قد فعل الله بي خيراً تمافعلت. فقال خذ الان العشرة والزم موضعك ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر. فاخذتها وكان هذا اول اقبالي .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لما أنفذ ابي الى مصر اجتذبت(١) البحتري وابامعشر فكنت آنس بهما لوحدتي وملازمتي البيت وكانا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماً انهما اضاقا في وقت من الاوقات اضاقة شديدة وكانامصطحبين فعرض لهما ان يلقيا المعتز وهو محبوس ويترددان (٢) اليه و(لا) يوصلان عنده اصلا فتوسلا اليه حتى لقياه في حبسه. قال فقال لي البحتري فأنشدته ابياتا كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري لماحبس وحملتها اليه وهي(٣)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك ... من الحادث المشكو والحدث المشكي

وما هذه الايام الا منازل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وانما ... صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

اما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوساً على الظلم والافك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة ... فآل به الصبر الجميل الى الملك

على انه قد ضيم في حبس العلى ... واصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات ودفعها الى خادم كان معه وقال غنها واحتفظ بها فان فرج الله عني فاذكرني بها لاقضي حق هذا الرجل. قال ابو معشر وكنت

«١» .. ع لعلها محرفة عن اجتبيت . «٢» م • ع لعل اصل العبارة : وجعلا يترددان اليه ولا يوصلان عنده اصلا فتوسلا اليه . «٣» راجع ديوان البحتري (مصر ١٣٢٩ — ٢ : ١٥٤).

قد اخذت مولده وعرفت وقت عقد البيعة للمستعين ووقت البيعة بالعهد من المتوكل للمعتز ونظرت فيه وقد صححت النظر وحكمت له بالخلافة بعد فتنة وحروب وحكمت على المستعين بالخلع والقتل فسلمت ذلك اليه وانصرفنا .

قال وضربت الايام ضربها(١) وصح الحكم باسره فدخلنا جميعاً الى المعتز وهو خليفة وقد خلع المستعين وكان المجلس حافلا قال ابومعشر فقال لي المعتز : لم انسك وقد صح حكمك وقد اجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً وثلاثين ديناراً نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وامرت لك عاجلا بالف دينار صلة. قال فقبضت ذلك عاجلا كله في يومي قال البحتري وانشدته انا في ذلك اليوم قصيدي التي مدحته بها وهنأته وخلوت المستعين واولها :

يجانبنا(٢) في الحب من لا نجانبه ويبعد عنا في الهوى من نقاربه

حتى انتهيت الى قولي :

وكيف رأيت الحق قر قراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه

ولم يكن المغتر بالله اذ شرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبي مناكبه

وقد سرني ان قيل وجه مسرعاً الى الشرق تحدى سفنه وركائبه

الى واسط(٣) نحو الدجاج ولم يكن لينشب الا في الدجاج مخالبه

فضحك واستعاد هذه الابيات مراراً فأعدتها فدعى (٤) بالخادم وطاب الرقمة

«١» م . ع المعروف ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ومن ضربه . «٢» راجع الديوان ١ : ١٧ . «٣» في الديوان الى عسكر . «٤» م . ع دعى يدعي لغة في دعا يدعو.

التي فيها ابياتي التي انشدته اياها في حبسه. فأحضره اياها بعينها فقال قد امرت لك بكل بيت في الرقعة بالف دينار وكانت ستة فأعطيت ستة آلاف دينار. وقال لي كأني بك وقد بادرت فاشتريت غلاماً وجارية وفرساً وفرشاً واتلفت المال لا تفعل. فان لك فيما تستأنفه من ايامك معنا مع وزرائنا واسبابنا اذا علموا موقعك منا غناء عن ذلك فاشتر بهذا المال ضيعة ببلدك تقوم في ادناها فترى اقصاها ويبقى لك اصلها وتنتفع بغلتها كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصله به عبد الله بن جعفر فقلت السمع والطاعة وخرجت فعملت بما قاله واعتقدت بالمال ضيعة جليلة بمنبج ثم تأثلت حالي معه واعطاني وزاد وماقصر.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح بن جعفر بن محمد بن الفرات بعد عوده من مصر والشام في ايام الراضي وتقلد الوزارة قال اجتزت في رجوعي هذا الى مدينة السلام بمنبج فرأيت ضياعاً في نهاية العمارة والحسن فسألت عنها فقيل هي اقطاع البحتري الشاعر واملاكه فقلت لمن(١) هي اليوم فقيل لي هي اليوم في يد ابن ابنة ابنه ابي الغوث فقلت هذا نسب طويل وامرت الحسن بن ثوابة بقبضها فلما كان من الغد جاءني رجل متكهل (٢) في زي الجند وذكر انه صاحب الضياع وقال ياسيدي هذه الضياع التي قال جدي البحتري بسببها(٣).

وما انا والتقسيط اذ تكتبونه ويكتب قبلي جلة القوم او بعدي

وانشدني هذه الابيات كلها وقال ذاك بكاء لاجل تقسيط يسير فكيف

«١» بالاصل : من . «٢» م . ع لعله مكتهل . «٣» راجع الديوان ١ : ٢٠٠

يكون حالي اذا قبضت هذه الضياع ؟ قال فتذممت ان اكون سبب ذهاب معيشته فاطلقت له عنها .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح قبل تقلده الوزارة الاولى بمدة طويلة قال حدثني ابي قال صرفت محمد بن سيف العامل عن بادوريا وتقلدتها فاستدركت عليه اشياء كثيرة وطالبته بها فلم يرد فيها شيئاً. فأخرجته يوماً الي وناظرته فأقام على امر واحد فاغتظت عليه وامرت بصفعه فلم يتأوه ولم يزل يصيح واحدة فاذا صفع اخرى قال ثانية على هذا الى ان صفع ثلاث عشرة صفعة. فتعجبت من عدده وقلت هذا(١) له ويحك اي فائدة لك في العدد وان لا تستعفي قال انا اعدد ذلك اعزك الله لاصفعك بعدده بعد ايام اذا صرفتك وتقلدت مكانك فلا اظلمك بالزيادة ولا افوز بالنقصان قال فأخجلني فقلت قم في غير حفظ الله الى منزلك فأطلقته وذهب المال .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا نفطويه قال حدثنا ثعلب قال : كان عندنا في الحربية جمال(٢) مستور يوصف بالزهد وكان لا يحمل لاصحاب السلطان شيئاً وكان اذا حمل بقدر قوته على ضيق لم يزدد عليه شيئاً واراح نفسه ولا يحمل الاكارة(٣) خفيفة مثل لحم وفاكهة(٤) وما يكون قدره خمسين رطلاً او نحوه قال فاتبعته يوماً وهو لا يعلم اني خلفه فرأيته يضع رجلا ويقول الحمد لله ويرفعها ويقول استغفر الله فقلت له لم تفعل هذا؟ فقال انا بين نعم لله

«١» لعله : من عدده هذا وقلت «٢» م . ع كذا في الاصل . ولعله . حمال مستور . والحربية محلة ببغداد منسوبة الى حرب بن عبد الله البلخي احد قواد المنصور .
«٣» م . ع الكارة مقدار معلوم من الطعام . «٤» بالاصل فاهه .

وذنوب فانا احمده عز وجل على نعمه واستغفره من ذنوبي فاردت امتحانه فقلت : ما تقول في علي وابي بكر ايهما افضل ؟ فقال اذا نشرت الدواوين ووضعت الموازين أأسئل عن ذنوبي ام عن تفضيل ابي بكر وعلي ؟ فقلت بل عن ذنوبك فقال فلي في نفسي شغل عن معرفة الافضل منهما .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال سمعت حامد بن العباس يقول مافي الدنيا اضر على الانسان من مداجاة العدو وينبغي ان تشهر ما بينك وبين عدوك حتى لا يقبل قوله فيك قال وسمعته يقول: ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير . فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلا حراً ، فاحسنت اليه وبررته وكنت اعتمد على عناية ابي العباس بن الفرات وكان البواب قديم الخدمة لاسماعيل يدخل الى مجلس الخاصة ويقف بين يديه فلا ينكر ذلك خدمه عليه لسالف الصحبة فصار الي في بعض الليالي فقال قد حرد الوزير على بن الفرات وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته ويهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأي؟ فقال اكتب رقعة الى رجل من معامليك يعرف شحه وضيق نفسه والتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها واسأله ان يجيبك على ظهر رقعته لترجع اليك فتخرجها فانه لشحه وسقوطه يردك بعذر واحتفظ بالرقعة فاذا طالبك الوزير اخرجتها اليه وقلت قد افضت حالي (الى) هذا واخرجتها على غير مواطأة . فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قاله

وجاءني جوابه بالرد كما حسبنا فشددت الرقعة معي فلما كان من غد اخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة واقرأته اياها ورققته وتكلمت فلان واستحيا وكان ذلك سبب خفة امري وزوال نكبتي فلما تقلدت في ايام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب واجتذبته الى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين ديناراً كل سنة وهو باق معي الى الآن .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي عن جدي عبدالله بن هشام قال حدثني يحيى بن عبدالله الكسكري (١) قال كنت اكتب لابن البختري الاصغر علي مصر . فصرف بسليمان ابن وهب وخرج معه ابنه عبيد الله وكان يخلفه عليها فجلس «٢» العامل بن البختري لرفع حسابه وخلوا لنظم الحساب وكنت اغدو واروح الى سليمان اعرض عليه ما اعمل وكان قد وكل بابن البختري قائداً من قواد مصر معه عدة من الفرسان والرجالة والغلمان وكان ابن البختري يقيم لهم الطعام الواسع وحضر المهرجان فتقدم بان يحضر قدر نبيذ ويعمل فيها الهريسة في الدار التي كان فيها معتقلا وكان قصيراً ضئيلا فجاؤا له بالقدر وطبخ فيها الهريسة في جملة الطعام واكل الموكلون وشربوا وسكروا وعمل هو الحيلة فجلس في القدر وغطيت عليه وأخرجت ولم يعرفوا خبره حتى طلبوه لما افاقوا فلم يجدوه . قال يحيى بن عبدالله ولم اكن انا عرفت الخبر فبكرت الى سليمان على رسمي فوجدت عبيدالله جالساً متشاغلا بطلبه وقدصح «٣» وهو

«١» م . ع كسكر كجعفر كورة قصبتها واسط . «٢» لعله : فحبس .
«٣» م . ع كذا في الاصل . ولعله ضج . .

فيقال فينا كيف يحفظها ولا الاموال (١) والاعمال مع عجزهم عن حفظ محبوس وجعل يضرب الناس في التقرير عليه وامر بالقبض علي لما رآني فقلت له اعزك الله لو كان عندي علم بالخبر ماجئتك قال فصدق قولي وكان حضوري سبب خلاصي قال ووقع في يده وكيل نصراني لابن البختري يتوكل في مطبخه وكان نبطياً (٢) وقيل له انه لا يجوز ان يخفى عليه خبره فجعل يضربه وكان في المجلس سليمان بن وهب واصحاب البرد والاخبار والناس باجمعهم وكنت احسن بالنبطية (٣) ولم يكن عبيدالله يحسنها فلما حمي الضرب على الوكيل كاد ان يقر على موضع ابن البختري ففهم ذلك سليمان ولم يحب ان يأمره بالانكار فيكتب بالخبر واراد ان يسلم المنكوب سلوكا المذهب الناس قديماً في طلب السلامة بالابقاء على اعدائهم قال فقال للمضروب كلاماً بالنبطية تفسيره لا تقر فان الاقرار مثل القير لا ينقلع قال فصبر الرجل على الضرب ثم قال سليمان لعبيدالله الى كم تضرب هذا البائس لو كان يعرف شيئاً لقاله اقطع عنه الضرب لا يتلف فندخل في دمه قال فرفع الضرب عنه واطلق من يومه وأفلت المستتر

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن عبد الملك التاريخي قال حدثنا المبرد قال حدثني الحسن بن سهل لما امن وجلس في بيته قال

«١» لعله : يحفظون الاموال . م . ع : لعل الاصل يحفظ هؤلاء . «٢» م . ع لعله قبطيا لان الحادثة وقعت في مصر .

«٣» م . ع لعل الباء زائدة اوسقط لفظ التكلم اونحوه .

دخلت يوماً الى المأمون وهو جالس وبحضرته جماعة من خواصه منهم اسحاق ابن ابراهيم بن مصعب وكان في يده كتاب يقرأه فلم ينظر اليّ فوقفت قائماً فقال له اسحاق يا امير المؤمنين ابو محمد الحسن بن سهل فقال لي اقعد فقعدت فقال احضر دواتك فاحضرت فقال وقّع بتقليد اسحاق بن ابراهيم جميع اعمال المعاون بالسواد جزاء له على ما نبه عليك (١) من تكرمتك يا ابا محمد فشكرته ودعوت له ووقعت بذلك.

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن احمد الداري الصيدلاني البصري قال انشدني ابو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي الضرير المعروف بالبصير لنفسه :

واحربا مما الذي لقيت انا   احمل في كل بلدة شجنا
ادخلها وادعاً فتجلب لي   رقة قلبي من اهلها سكنا

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال رأيت بعمان شيخاً من الخوارج قد دخل في يوم جمعة من ناحية بلد الشراة الى السوق بعمان وكانت طريق الناس الى الجامع والناس يتعادون الى حضور الجمعة خوفاً من فوتها والخارجي ماش الهوينا (٢) في حاجته لا يراعي امر الجمعة فاذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع فالتقيا فقال الشيخ للخارجي وهو لا يعرفه وقدر انه يريد الجامع الى اين تمضي يا شيخ وقد صلى الناس وفاتتك الصلاة فقال الخارجي يا ابله اعافاتت من ادركها يريد ان التجمع معهم لا يسقط الفرض الذي

«١» لعله عليه . «٢» م . ع كذا في الاصل . والصواب الهوينى .

هو الظهر وهو اذ جمع معهم ترك الظهر فتفوته الصلاة الواجبة وهي الظهر ويصلي مالا يجدي عنه في مذهبه من تكفيرهم . قال ولم يفهم الشيخ ما سمعه وقلت انا للخارجي اظنك اعزك الله شاريا قال فقال نعم والحمد لله قال وهم يستحبون ان يقال لهم شراة ويأبون ان يقال لهم خوارج ويذهبون الى قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية)

حدثني ابو الحسن علي بن نطيف البغدادي المعروف بابن السراج المتكلم المعروف بالبهشمي «١» قال كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد شيخ للامامية يعرف بابي بكر بن الفلاس وكان طيباً فحدثنا يوماً انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع . ثم صار يقول بمذهب اهل التناسخ قال فوجدته وبين يديه سنور اسود وهو يمسحها «٢» ويحك بين عينيها ورأسها وعينها تدمع كما جرت العادة في السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديداً فقلت له لم تبكي؟ فقال ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه امي لا شك وانما تبكي من رؤيتها لي حسرة. قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم عنه وجعلت السنور تصيح قليلاقليلا. قال فقلت له وانا معتقد الطنز به : فهي تفهم ما تخاطبها به؟ فقال نعم فقلت له افتفهم انت عنها صياحها؟ فقال لا فقلت له فانت اذاً المسوخ وهي الانسان .

كتب محمد بن عيسى احد كتاب زماننا «٣» بتعزية الى صديق له قرأته

«١» م . ع البهشمي نسبة الى البهشمية وهي طائفة من المعتزلة تنتمي الى ابي هاشم الجبائي.
«٢» م . ع السنور الهر والانثى سنورة فالصواب اعادة الضمير عليه مذكراً او تأنث السنور . «٣» لعله سقط كتاباً .

بخطه فاستحسنت منه صدره . ونسخته «من سره امتداد عمره . ساءته فجائع دهره . بفقد حميم . اوطارق هموم . عادة للزمان معروفة وسنة للحدثان مألوفة . واحق من سلم للاقضية والاقدار . من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار . فان اصابته مصيبة تلقاها مسلماً او تأتيه«١» وجدته محتسباً »

كتب الي عمرو بن محمد بن الاشعث « شاب ورد من عمان مجتازاً بواسط ذكر انه كان من الجند فيها فزالت نعمته وهرب حين ملك الديلم عمان اياتاً في آخر رقعة له اقتضاني فيها ثواب مديح كان اسلفنيه وهو :

مات الرجاء بغيظه فلك البقا ولربما افضى النعيم الى الشقا
فان احترقت فمن تلهب حادث لاقل منه تلهباً ان يحرقا
ان كان عود الجود جف فانه لم يسق ماء نداك حتى اورقا
واردت منك اذا حرمت مطالبي تسمي معي فلعلني ان ارزقا

حدثني ابو علي المنتاب قال حدثني ابي قال كنا مع حامد ابن العباس في ولايته يوماً جلوساً في الخيش بواسط في النصف الاخير من تشرين الثاني لشدة الحر فجاء البرد في ليلة فاصبحنا من غد وقد لبسنا الخزوز والمحشو وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدة الحر وشدة البرد في ليلة واحدة .

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن اسماعيل بن سايدة الواسطي قال سمعت بعض شيوخنا يحكي عن ابراهيم الحربي انه قال : في العافية طعم كل شيء وفي الرزق نصر كل شيء .

«١» م . ع هكذا في الاصل ولعله تأتيه .

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال سمعت القاضي اباجعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي الانباري يحدث ابي وقد جئت اليه ومعي تهنئة بعيد اضحى فحدث احاديث فقال حدثني ابو حازم القاضي قال كان في حجري ايتام ذكور واناث خلفهم بعض العمال فرددت امانتهم الى بعض الشهود فصار الي الامين يوماً وعرفني ان عامل المستغلات ببغداد الذي يتولى مستغلات السلطان وعامل بادوريا قد ادخلا ايديهما في املاك الايتام وذكرا ان الوزير عبيد الله بن سليمان امرهما بذلك عن امير المومنين المعتضد فصرت الى المعتضد في يوم موكب فلما انقضى الموكب دنوت منه وشرحت له الصورة فقال لي ياعبد الحميد : هذا عامل خانني في مالي واقتطعه ولي عليه مال جليل من نواح كان يتولاها من ضيعتي خاصة ومالي عليه بضعف هذه الاملاك التي خلفها . فقلت ياامير المومنين ماتدعيه عليه يحتاج الى بينة وقد صح عندي ان هذه الاملاك املاكه يوم مات ولا طريق الى انتزاعها من يد ورثه الا ببينة بالمال. هذا حكم الله تعالى في البالغين. فكيف في الاطفال؟ قال فسكت ساعة مطرقاً ثم دعا بدواة ووقع بخطه الى عبيد الله بن سليمان بالافراج عن الضياع.

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان يخلف ابا نوح عيسى بن ابراهيم على ديوان الضياع . حدثه انه كانت في يد صاعد بن مخلد ضمانات كثيرة وكانت اليه معاملة مع ابي نوح وكان صاعد اذ ذاك من وجوه الناس ولم يكن بلغ المبالغ الكبار فحضر عنده(١) صاعد

«١» بالاصل عند .

اول خلافة المعتز ونحن حضور فطالبه ابو نوح باموال وجبت عليه وجرت بينهما مناظرات ادت الى ان تنطع في الجواب فاغتاظ ابو نوح فاغضبه. فرد عليه صاعد مثل ما قاله له فستعظم الناس ذلك فاستخفوا به وقالوا يا مجنون ويا جاهل قتلت نفسك قم قم فاقاموه وخلصوه من ان يفتك به ابو نوح في الحال. وقالوا هذا مجنون ولم يدر ماخرج من فيه. وانصرف صاعد الى منزله متحيراً لا يدري ما يعمل فيما قد نزل به. فحدث اخاه عبدوناً عما جرى فقال له ان لم تطعني فأنت غداً مقبوض عليك مطالب من المصادرة عما لا يفي به حالك ولا حال من عرفك من اهلك ومقتول بلاشك تشفياً منك. قال وما الرأي ؟ قال كم عندك من المال الصامت العتيد واصدقني عن جميعه. قال خمسون الف دينار قال تسمح نفسك ان تتعرى منها وترمي بها كأنها لم تكن وتنقذ نفسك وتحرس دينك وما بقي من حالك وضياعك وعقارك فتصير من اجلاء الناس او لا تسمح بذلك فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع وتذهب الضيعة والنعمة كلها وتذهب النفس. قال ففكر طويلا ثم قال قد تعريت عنها في عز نفسي. قال اعطني منها الساعة ثلاثين الف درهم. قال خذ. فاخذها وجاء الى حاجب موسى بن بغا وقت عتمة وقال له هذه عشرة الآف درهم خذها واوصلني الى فلان الخادم. قال وكان هذا الخادم يتعشقه موسى جداً ويطيعه في كل امره وموسى اذذاك هو الخليفة وكتبته(١) كالوزراء والامور في يديه والخليفة في حجره . قال فأخذ الحاجب المال واوصله الى الخادم

(١) م . ع الكتبة بكسر الكاف الكتابة كالامرة والامارة .

فاحضره العشرين الالف(١) درهم الباقيــة وقال هذه هدية لك وتوصلني الساعة الى الامير وتعاونني في حاجة اريد ان أسأله اياها ومشورة أريد ان أشير عليه بها فاوصله الخادم فلما مثل بين يديه سعى اليه بكتابه وقال قد نهبوك واقتطعوا مالك واخربوا ضياعك واخي يجمل كتبتك اجل من الوزارة ويتغلب لك على الامور ويوفر عليك كذا ويفعل كذا ويحمل اليك الليلة من قبل ان ينتصف الليل خمسين الف دينار عينــاً هدية منه لك لا يريد عليها مكافأة ولا يرتجعها من مالك وتستكتبه وتخلع عليه غداً سحراً. قال فقال له موسى افكر فقال ليس هذا موضع فكر والح عليه قال وقال له الخادم(٢) في الدنيا احد جاءه هذا المال العظيم دفعة واحدة فرده وكاتب بكاتب والمال ربح. قال فأجابه وصافحه فقال له فتنفذ الساعة من يحضرك اخي وتشافهه بذلك. وانفذ من احضره وبات عندهم في الدار وقلد موسى كتبته اصاعد في الحال وامره بالبكور اليه ليخلع عليه وتقدم الى النقباء بان يباكروا الرجل ليركبوا معه. قال وبكر صاعد وليس عند احد له خبر فخلع عليه موسى بن بغا لكتبته وركب الجيش على بكرة ابيهم وانقلبت سر من رأى بظهور الخبر فبكر بعض المتصرفين الى الحسن بن مخلد وكان صديقــاً لابي نوح فقال له قد خلع على صاعد. فقال لاي شيء فقال تقلد كتبة موسى بن بغا فاستعظم ذلك. وقال ثيابي قال فأحضرت فلبس وركب الى ابي نوح فقال له عرفت

«١» م. ع كذا في الاصل بتعريف العشرين والالف والافصح تعريف الدرهم وحده.

«٢» م. ع لعله سقط «همزة» او «ما».

خبر صاعد؟ فقال نعم. الكلب. وقد بلغك ماعاملني به؟ والله لافعلن به ولا صنعن.
قال انت نائم ليس هذا اردت. قد ولي الرجل كتبة الامير موسى بن بغا وخلع عليه الساعة وركب الجيش معه باسرهم الى داره فقال له ابو نوح: هذا ما لم نظنه: بات خائفاً واصبحنا خائفين منه. فما الذي عندك فقال له انا اصلح بينكما الساعة قال فركب الحسن بن مخلد الى صاعد وهناه واشار عليه ان يصالح ابا نوح وقال له وانت بلا زوجة وانا اجملك صهره وتعتضد به فانك وان كنت قد نصرت عليه فهو من يعلم موضعه ومحله ويجمل بمصاهرته ومودته وانت حبيب على الرجل. قال ولم يدعه حتى اجاب الى الصلح والصهر فقال له فتركب معي اليه فانه هو ابو الابنة والزوج يقصد المرأة ولولا ذاك لجاءك. قال فحمله من يومه الى ابي نوح واصطلحا ووقع العقد في الحال بينهما وزوج ابو نوح في مجلسه ذلك ابنته الاخرى بالعباس بن الحسن بن مخلد فولدت له ابا عيسى المعروف بابن بنت ابي نوح صاحب بيت مال الاعطاء ثم تقلد ديوان زمام الجيش لعمه سليمان بن الحسن وكان اصغر سناً من ابيه فكانت كتبة صاعد لموسى ومصاهرته لابي نوح اول رتبته العظيمة التي بلغها ثم تقلبت به الحال حتى ولي الوزارة.

« للبحث صلة »

المحاضرة الرابعة

تاريخ الادب

أما وقد أوجزت في الكلام على الادب وتدريسه ، وعلى الذوق وتثقيفه ، ولمحت الى تمازج الثقافات ، فبينت دون شيء من الاسهاب كيف يأخذ بعض الامم عن بعض ، و يقتبس بعضها من بعض ، فيزيد هذا الاقتباس في عبقرية البشر ، اما وقد فرغت من هذا كله ، فقد لزمني على ما أعتقد ان أخوض في الموضوع الذي انتدبت اليه وهو تاريخ الأدب ، وما تاريخ ادب العرب الا تسلسل قرائحهم وبنات افكارهم من يوم ظهر هذا الشعب الكريم على وجه الارض حتى يومنا هذا ، ماتاريخ الادب في الحقيقة الا سلسلة آثار ، اذا نظرنا اليها وجدنا فيها سلاسل شتى : سلسلة آثار مؤلف من المؤلفين ، سلسلة آثار عصر من العصور ، سلسلة آثار تطور الادب في خلال القرون الخالية ، ماتاريخ الادب الا النظر في تأثير بعض المؤلفات في بعض واتصال بعضها ببعض وتسلسلها في تعاقب الاحقاب ، هذا هو تاريخ الادب ومن هذين السطرين يتبين لكم حرج الموضوع وضيق مذاهبه ، وتبدو لكم سعة مجاله وترامي اطرافه في وقت واحد ، اما حرج الموضوع فانه ناشيء عن فقدان ما يجب علينا ان نتوسل به من الوسائل الى معرفة قرائح العرب ونتائج عقولهم على حسب روح هذا العصر ، واما سعة المجال فحسبكم ان تجدوا في تاريخ ادب العرب صور ناطقة تفصح لكم عن اطراد آثار عبقرية تهم في مطاوي الاحقاب .

ما طالعت مقدمة من مقدمات تاريخ الادب الفرنسي الا وقع نظري على عبارة تدخل الخوف على قلب من يتفرغ لتدريس تاريخ الادب حتى يتهيب الموضوع فيكاد يمسك عن الكلام لدهشه وتحيره ، فقد وجدت في احدى المقدمات هذه العبارة : تاريخ الادب الفرنسي انما هو نتيجة حياة باجمعها او تكفي حياة باجمعها حتى يتم مثل هذا التاريخ ، واذا انتظر المؤرخ نتائج بحثه وتنقيبه ليشرع في موضوعه ، أفيكتب هذا التاريخ

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على انه يجب على المؤرخ ان يعمل على قدر مجهوده دون شيء من الاوهام ·

وقال الاستاذ برونتير في نقده مذهب سانتبوف : وعلى هذا فان دراسة كاتب كبير ان لم تستغرق حياة برمتها استغرقت سنين طويلة ·

هذا قول كتاب اذا أحبوا ان يكتبوا في تاريخ الادب وجدوا السبيل ممهدة فما نقول لكتاب تعترضهم العقبات وتحيط بهم المصاعب فتقف اقلامهم لتحيرها ، الموضوع حديث لم يكتب العرب فيه على حسب روح هذا العصر وانما كتبوا باساليب لا تناسب اوضاع هذا العصر ، مات فلان سنة كذا ··· ومن قوله في وصف كذا ··· وله تشبيهات فريدة ··· كل هذا ليس من تاريخ الادب في شيء ، واذا كنا نجد بين نقاد المتقدمين من ارتفع الى منزلة أعلى ، وحلّق في جو أفسح كالجرجاني في وساطته ، وكالثعالبي في كلامه على المتنبي ، او كغيرهما فهذا قليل على ان نقدالادب شيء وتاريخه شيء آخر ·

قلت في صدر الحديث : تاريخ ادبنا ضيق المذاهب ، فلنبحث عن شيء من هذا الضيق ، اذا اخذتم تاريخ ادب غربي وجدتم في فاتحته وصف اول هذا الادب كيف ولد وكيف عاش ، فلا يستغني المؤرخ عن التنقيب عن لغة قومه ، كيف نشأت هذه اللغة وما هو اصلها ومنحدرها وماهي عناصرها ، لا يستغني المؤرخ عن هذا كله حتى يستطيع ان ينظر في تسلسل الآثار العقلية نظراً ثاقباً ويحيط بمختلف العوامل التي عملت في هذه الآثار ، فيكون مثله في ذلك كمثل المؤرخ الطبيعي فكما ان هذا المؤرخ يصف اتصال المخلوقات الحية في الطبيعة بعضها ببعض على صورة مرتبة فكذلك يجب على المؤرخ الادبي ان يبين كيف تسلسلت آثار عبقرية قومه والتحق بعضها ببعض من مباديها الى خواتيمها ، أفيتيسر لنا في حالتنا هذه ان نعرف شيئاً عن مبدإ لغتنا فنعرف كيف ولدت الفاظها وكيف عاشت كما يعرف الفرنسيون مثلاً كيف تحدرت لغتهم من الاصل اللاتيني؟

كنت أذاكر مرة في امر لغتنا الكريمة أستاذاً مطلعاً على اللغات السامية فقلت له في جملة ماقلت : وددت لو اننا نعرف كيف ولدت لغتنا في اول امرها كما يعرف بعض الافرنجة كيف ولدت لغاتهم ، فقال : هذا امر ممتنع الآن ، ان بعض الافرنجة شهدوا ميلاد لغاتهم فدوّنوا آثارها وتعهدوها فكان مثلهم في ذلك كمثل من يغرس شجرة ثم يتعهدها حتى تورق وتزهر وتثمر ، اما نحن معاشر الساميين ، فاننا لم نشهد ميلاد لغاتنا

فلا نستطيع ان نعرف اليوم كيف اورقت هذه الشجرة السامية وكيف ازهرت وكيف أثمرت وبيننا وبين الذين غرسوها وتعهدوها أحقاب متطاولة وعصور متراخية ، خفيت علينا حتى اليوم آثارها ورسومها فلا نعرف عن هذه الاحقاب شيئاً . —

هذا صحيح ، والغريب انكم تجدون من كان يعتقد ان لغة العرب قد تكاملت دفعة واحدة دون شيء من التدريج ومنهم (رنان) فقد قال :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سره ، انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي غنى ، كاملة بحيث انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها اقل تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لاول امرها تامة ، ولا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في اطوار مختلفة » .

وانا لا ادري كيف صدر هذا الكلام عن رجل مثل رنان ، اي شيء يتكامل في الطبيعة فجأة ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش فتموت فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات ، اما قول (رنان) ليس للغة العرب طفولة ولا شيخوخة فهو مخالف لاصول العلم ، للغة العرب عهد طفولة ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذا العهد ، لبعده عنا وخفاء رسومه علينا ، فلا يمكن ان تكون لغة جاهليتنا متكاملة على صورتها هذه من دون ان يتسلسل فيها هذا التكامل عصوراً متطاولة صقلت اللغة وحسنتها حتى طلعت علينا في حلتها الانيقة ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى ذلك في شعرهم ، أفأجد حاجة الى ذكر قول عنترة :

(هل غادر الشعراء من متردم)

اول قول امرئ القيس :

(عوجا على الطلل القديم لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابن حزام)

او قول زهير :

(ما ارانا نقول الا معارا   او معادا من قولنا مكرورا)

فالذي يستنبط من كلام عنترة وامرئ القيس وزهير ، انه جاء قبلهم شعراء جالوا

في الشعر كل مجال وحلّقوا في سمائه كل محلّق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا عنترة وامرأ القيس وزهيراً وامثالهم فيض قلوبهم وصوب اذهانهم ، وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً ، فلغة العرب متقادمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلا ريب في انها قد سبقتها احقاب مديدة ، انتقلت فيها اللغة من طور الى طور ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انتقلت اللغة في اثنائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلمة في تاريخ ادبنا ، ولا تسد هذه الثلمة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الامم التي خالطها العرب في قديم الدهر وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته الينا بحذافيرها ، فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله . قال ابن فارس : ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

تصوّروا بعد هذا كله حرج موضوعنا وضيق مذاهبه ، اني لا اجد لذة في تاريخ الادب الا اذا عرفت اوائل الآثار واواخرها ، ومبادئ المصنفات وخواتيمها ، واستطعت ان اصل الاواخر بالاوائل واربط الخواتيم بالمبادئ حتى اعلم كيف تسلسلت ثمرات القرائح ونتائج الخواطر ، وكيف اثّر بعضها في بعض وتحدر بعضها من بعض فاذا لم يتهيأ لي شيء من ذلك كان العلم ناقصاً . —

على ان هذه العقبة التي تعترضنا في سبيلنا ليست فريدة فان من ورائها عقبات غيرها : اظن انكم تذكرون قولي في ثقافة الذوق : لا بد لنا من معرفة العصر الذي ندرس شاعراً من شعرائه ، فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي أيقظها ، فاذا كنا ندرس شعر المتنبي ، ووقع نظرنا في شعره على لفظة (ابتشاك) ومعناها : الكذب ، وهي لفظة غريبة فكيف نجزم امر غرابتها اذا لم يكن في لغتنا معجم يشير الى تاريخ الالفاظ ، كيف نعرف ان لفظ الابتشاك كان غريباً في عصر المتنبي اذا لم يكن في لغتنا معجم يبين لنا ان هذا اللفظ استعمل في عصر كذا ثم بطل استعماله بعد ذاك العصر ، فاذا كان في لغتنا معجم لغوي تفسر فيه الألفاظ بحسب تاريخها استطعنا ان نجزم امر غرابة الألفاظ ، فلا نسير في

نقيبنا واستقصائنا على غير هدى وانما نستند الى مصادر موثوق بصحتها ، فنقطع دون شيء من الحيرة والارتباك فلا يزال تاريخ ادبنا مثلوم الجوانب فاذا كنا نبحث عن شاعر من الشعراء فقد لزمنا في مثل هذه الحالة ان نقرأ شعر اهل عصره كلهم ، حتى نعرف مصطلحات ذاك العصر ، وهل يتيسر شيء من ذلك ؟ فاما ان يتولانا البحث عن هذا الامر ، واما ان نستعين عليه بالكتاب الذين ظهروا في ذاك العصر واشاروا الى غرابة الفاظ شاعر من شعراء عصرهم ، فاذا لم يكن شيء من ذلك بقيت في تاريخ ادبنا زاوية فارغة . —

ولو جاوزنا هذه العقبة لاعترضتنا عقبة غيرها فان في تاريخ ادبنا شيئاً من الغموض نشأ عن ان طائفة من الاسماء اطلقت على مسميات لانرى لها اثراً في هذا العصر ، لنضرب مثلاً لذلك فقد قرأت في بعض كتب الادب هذا الكلام : دخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة ، فالعباءة القطوانية منسوبة الى قطوان — موضع بالكوفة — منه الاكسية ، غير اننا لا نعرف شيئاً عن نوع هذه العباءة وكذلك المدرعة فانهما ثوب ولا يكون الا من صوف ومن الذي يعرف هيأة هذا الثوب[1] .

فانتم تجدون في سطر واحد كلمتين اوثلاث كلمات تدل على مسميات نكاد لا نعرفها ففي لغتنا كثير من الاسماء اطلقت في القرون الخالية على مسميات ثم انطوت تلك القرون فذهبت بذهابها المسميات وبقيت الاسماء في بطون المعاجم تدل على اشياء لا نعلمها ، وقد كانت هذه الاسماء وضعت للدلالة على انواع من السلاح واللباس والطعام والشراب والدراهم وماشابه ذلك ثم ذهب الذين كانوا يتقلدون هذا السلاح و يلبسون هذا اللباس و يأكلون هذا الطعام و يشربون هذا الشراب و يضربون هذه الدنانير والدراهم ، فذهبت بذهابهم مسمياتهم وبقيت الاسماء وحدها فلا تزال طائفة من ادبنا غامضة بعض الغموض .

---

(١) اخترت هذه الاسماء عرضاً وقد يجوز ان تكون مسمياتها معروفة في بعض قبائل دية الشام على ان في لغتنا اسماء كثيرة غيرها لا تعرف مسمياتها . فكتب الادب ومعجمات اللغة مملوءة بهذه الاسماء في كل عصر من عصور اللغة .

ما اردت الاستقصاء في البحث عن ثلم تاريخ الادب وانما احببت ان الم الى طائفة من هذه الثلم ، حتى ندرك مبلغ ما يقف في سبيل المؤرخ الادبي من المصاعب التي يستعصي عليه تذليلها ، واني لأجد الى جنب هذه العقبات عقبات غيرها لا بأس بالاشارة اليها .

اقتصر الذين كتبوا عن مؤلفي العرب على ذكر اليسير من آثار حياتهم العامة وحياتهم الخاصة فذكروا ميلادهم ووفاتهم ولمماً من اخبارهم وقد ورد قليل من النقد في تضاعيف كلامهم ، وما عدا ذلك فانا لا نكاد نحيط بشيء من آثار حياة مؤلفي العرب فلا نعرف مثلاً كيف ولد هذا المؤلف وكيف عاش وكيف رباه اهله حتى نشأ وترعرع ، لا نعرف كيف كانت حياته في مدرسته وما هي اخلاقه واوضاعه وعاداته ومذاهبه واهواؤه ، وما هي وجهته في حياته ، ما هي انباؤه الخاصة والعامة ، ما هي هيئته وصورته ، ما هي ملابسه ، ما هي الكتب التي كان يقرؤها . كل هذا ينفعنا في تاريخ الادب حتى تنكشف لنا اسرار المؤلفين فنستعين بذلك على العلم بافكارهم وعواطفهم ، ونحل عقد هذه الافكار والعواطف في اثناء بحثنا عن آثار عقولهم وألبابهم ، وهذا النوع من المعرفة عنصر من عناصر التمحيص والتدقيق . فاذا فاتنا هذا العنصر اضطررنا الى النظر في آثار المؤلف نفسها لانها تدل على فكره وعلى عاطفته وعلى روحه ، الا اننا قد نضطرب في خلال البحث والنظر اضطراباً نقف فيه حائرين فلو كنا نعرف دقائق حياة المؤلفين لما اضطربنا هذا المضطرب ، وقد استدرك هذا الامر طائفة من المؤلفين في هذا العصر فكتبوا تراجمهم باقلامهم ووصفوا دقيق حياتهم وجليلها وكشفوا الغطاء عن كثير من امورهم ، والمرء اذا صدق اعلم بظواهره وبواطنه ، وادرى بفضائله ورذائله ، وافطن لمواطن القوة والضعف فيه ، فضلاً عن اللذة التي نجدها في قراءة هذا النوع من التراجم ، فانها نزهة العقول وسلوة القلوب فكأننا بمحضر رجال قد باحوا باسرارهم فنكاد نشهد حركاتهم وسكناتهم ونكاد نسمع صوتهم وكلامهم ونرى ابتسامتهم وتقطيبهم ونشاركهم في آلامهم وأفراحهم وما شابه ذلك .—

قال « سانتبوف » في كلامه على هذه التراجم :

« احببت في كل حين مراسلات اكابر الكتاب واحاديثهم وافكارهم ، احببت تفاصيل طبائعهم واخلاقهم وتفاصيل تراجمهم التي كتبوها ، فان الباحث يعكف خمسة

عشر يوماً على آثار ميت مشهور سواء أكان هذا الميت شاعراً ام فيلسوفاً ، فيدرسه ، ويقلب النظر فيه ، ويسأله ماشاء من المسائل ، ويجعله قبالة عينيه » .

هذه طائفة من نواقص تاريخ ادبنا ولو شئت لأتيتُ على ذكر غيرها من النواقص ، وانما مرادي بيان ما بلغت المؤرخ من بعض المصاعب على ان التلوّم في التفرغ لوضع تاريخ الادب لا طائل فيه ، فاذا ظللنا ننتظر فاننا لا نصنع شيئاً ، اذا كنا ما ننفك نردّد ان تاريخ الادب يستغرق وضعه سنين طويلة فقد تمر هذه السنون من دون ان نشرع في الوضع ، فاذا اخرج شيوخ الادب مكنونهم واستنفدوا وسعهم فتصدى كل منهم لمادة من المواد ، وعمل على قدر مجهوده ، هيأنا تاريخ الادب ومتى تهيأ تاريخ ادب العرب استطعنا ان نحيط بتسلسل آثارهم وافكارهم وقرائحهم من اول امره الى آخره .

دمشق : في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الخامسة

نقد المؤرخات الادبية

ذكرت لكم اليسير من العقاب التي يصعب قطعها على الذين يتصدون لوضع تاريخ الادب ، وقد خالج قلبي الرجوع الى هذا الموضوع وانتم لا تجدون ريباً في علو شأنه ، ورفعة مقامه ، وكفى بتاريخ ادبنا ان يكون عنواناً لحسنات قوم ذهبوا بين سمع الارض وبصرها ، فلم تبق من جلالة ملكهم وفخامة سلطانهم الا آثارها مدة ، اذا نحن اعملنا الروية فيها برزت لنا بلاغة منطق اهلها ، ورجاحة احلامهم ، وصحة عقولهم ، لم تبق من قوم ملؤا الدنيا وشغلوا الدهر الا صور جامدة اذا نحن ناجيناها اعربت لنا عما نسجته طباع الذين صوروها وسبكته افهامهم ، فرأيتم كيف درج صوغ اذهانهم في مواضي الليالي من طور الى طور ، وشهدتم اطراد عصورهم وما كان يتخلل هذه العصور من خلابة في الالسن ، او من تشديق وتقعير فينقلب بكم تاريخ ادبنا من عصور السهولة والايجاز الى عصور التكلف والتزيد ، ومن الاقتصاد في النظر الى التبسط في التفكير وعلى هذا يكون التاريخ صلة محكمة الاطراف محبوكة الوشي ، بين حاضر الخواطر وماضيها ، واذا استطعنا ان نؤلف بين الحاضر والماضي حافظت لغتنا على وحدتها وازدادت عظمة سلطانها .

نعم ، خالج قلبي الرجوع الى البحث عن تاريخ الادب لان هذا التاريخ هو الذي ينزع بالنفس الى التمتع بآثار الاولين ويحمل رجال الادب على املاء قلوبهم من هذه الآثار ، فيطلعهم على دروج اصحابها من حال الى حال ويفيهم على توسعهم في اساليب شتى ومذاهب مختلفة ، كل عصر وله اسلوبه ، وكل دهر وله مذهبه ، وجملة المقال ان تاريخ الادب هو الذي يضيء لنا سبيل العقل البشري حتى ندرك آثار العبقرية في الاحقاب ، فنصل اواخرها باوائلها ، ومتى استحكمت هذه الصلة اتسعت افياء العبقرية .

هذا هو تاريخ الادب وهذه هي فعلته في الامم ، بقي ان نعرف كيف ينبغي لهذا التاريخ ان يكون حتى يعمل عمله هذا . جعل تاريخ الادب لاحياء آثار الماضي ورسومه ،

حتى تمثل الاذهان هذه الرسوم والآثار فتصبح بمحضر من اشخاص ناطقين ، يصورون لنا صوراً شتى ، في كل صورة منها فكر وشعور ، ينبغي لتاريخ الادب ان يكون فيه شيء من الحياة حتى يمثل لنا حقائق الآثار على وجوه متباينة ، فمرة نرى وضوح هذه الآثار وصفاءها ، ومرة لا نرى الا ابهامها وتعقيدها ، وحيناً نسمع خفيّ صوتها ، وحيناً لا نجد فيها الا الجمود ، ان تاريخ الادب هو الذي يبعث انواع هذه الآثار حتى تأخذ العين خصائصها وصفاتها ومحاسنها ومناسدها وجمودها وحياتها وعلو قدرها وانحطاطه ، ومختلف الوانها ، ومتباين اساليبها ومذاهبها . ان تاريخ الادب هو الذي يبعث روحاً في هذه الآثار كلها مستعيناً على التمكن من احيائها بالفن وما أوتيه من سلطان ، فالفن وحده هو الذي يحيي ما مات من الرسوم . وخلاصة الامر انا نطالب الى المؤرخ الأدبي ان لا يذهل عن شيء في تصوير صفحات التاريخ ، فلا ينبغي له ان يغفل عن تفاصيل الآثار وظروفها وعن الوانها ومعارضها وخصائصها .

فلنبحث بعد هذا كله هل كان عندنا تاريخ ادبي يستطيع ان يصور لنا حقيقة الماضي ، حتى نطلع على اطوار هذا الماضي وضروب اساليبه ومذاهبه ، اما المؤلفون في القديم فقد ذكرت لكم انهم لم يصنعوا شيئاً في تاريخ الادب واما المؤلفون في هذا العصر فما اظن انهم سبقوا المتقدمين في هذا الميدان ، وسننظر في ذلك في مجلسنا هذا ، اظن انكم ما نسيتم قولي : التاريخ الادبي انما هو سلسلة آثار ولم اقل مجموع آثار ، والفرق بين الجمع وبين التسلسل ظاهر ، فالآثار المجموعة ليست من تاريخ الادب في شيء وانما الآثار المطردة المتسلسلة هي التي تصور لنا الماضي ، الآثار المجموعة لا تدلكم الا على نتائج خواطر لا يتصل بعضها ببعض ، فلا تحيطون بشيء من تأثير عصر في عصر ، وتأثير مؤلف في مؤلف وانما الآثار المتسلسلة تصف لكم ارتباط عصر بعصر ، واتصال مؤلف بمؤلف فتشهدون سير العقل البشري وتنقله من حال الى حال ، ان ما وضع حتى اليوم من المؤرخات الادبية مجاميع لا سلاسل ، فان اصحاب هذه المجاميع اذا درسوا مؤلفاً من المؤلفين فانهم لم يدرسوا من تقدمه ولا نظروا في الذي جاء بعده ، انهم لم ينظروا في اواصر المصنفات وارتباطها بجملة التاريخ الادبي ، ان الذين كتبوا في تاريخ الادب كانت كتبهم مجاميع ولم تكن سلاسل مطردة ، فان كل عصر متصل بالذي سبقه ويمهد السبيل للذي تلاه .

تصفحت طائفة من كتب تاريخ الادب في هذا العصر، واحببت ان اجد فيها ما اصطلحوا عليه ان تكون اشباه هذه الكتب ، فلم اظفر بشيء وانما الذي تبين لي ان هذه المؤرخات الادبية مجاميع آثار فيها قليل من الدراسة الادبية والنقد الادبي ، ولكن هذه الدراسة مشوهة الاسلوب وهذا النقد مثلوم المذهب ، فلم تبين هذه المؤرخات الآثار التي ابقاها شاعر من الشعراء في اهل عصره ، ولم توضح العوامل التي عملت في هذا الشاعر حتى قال شعره ، ولا ذكرت كيف نشأ خيـال هذا الشاعر ، وكيف نما حسه وشعوره ، لم تبين الظروف التي قال في خلالها شعره ، على اني اعتقد ان ذكر هذه الامور لا يتيسر في هذا العصر لمؤرخ ادبي ، وعلى التخصيص ذكر الروح الادبي والروح الفني في عصر من العصور ، لوعورة هذا المسلك وخشونة هذا المركب ، ولا يتهيأ شيء من ذلك الا بعد سنين طويلة فكتب تاريخ الادب في هذا العصر ليست من التاريخ في شيء وانما هي مجاميع مشتملة على قليل من دراسة الادب ونقده ، فلنبحث هل تشتمل في الحقيقة على شيء من هذه الدراسة وهذا النقد .

اخذت عرضاً تاريخاً ادبياً وضعه استاذ من اساتيذ الادب في مصر ، وكتب التاريخ قليلة ثلاثة او اربعة على ما اظن ، اخذت عرضاً هذا التـاريخ وقرأت كلام صاحبه على المتنبيء حتى اعرف كيف حاول ان يبحث عن المتنبي ، ولم تكن غايتي الاستعانة بهذا الكلام ، فان الناقد الادبي يجب عليه ان يقرأ آثار المؤلف حتى يستطيع ان يبدي رأياً فيها ، فاذا استعان بكلام غيره على هذه الآثار لم يكن نقده نقداً ، قرأت الكلام على المتنبيء في هذا التاريخ لاطلع على أسلوب المؤرخ او على اسلوب النـاقد على الوجه الاصح ، فوجدته بعد ان ذكر اليسير من اخبار حياته اشار الى منزلته في الشعر فحكم له وقال : لم ينبغ احد بعده بلغ غايته في الشعر ، الا اني كنت احب ان اعرف شيئاً عن نبوغ المتنبيء نفسه ، فلماذا لم ينبغ احد بعد المتنبيء ، فلم يبين الناقد السماء التي حلق فيها المتنبيء ، ولم تطاولها سماء ، ولا الافق الذي امتد اليه حسه ، ولا الصور التي صورها ، ولم يذكر شيئاً من شعور المتنبيء ودقائق هذا الشعور ، وهو العامل الاكبر في شعره ، ولا ذكر طبيعة هذا الشعور ولا اشار الى شيء من عاطفته ، ولا وضح طبيعة هذه العاطفة ، ولا بحث عن قلق المتنبيء واضطرابه وعن اسباب هذا القلق والاضطراب ، ولا اشار الى تناقض المتنبيء في اخلاقه ، ولا صور

لنا مثله الاعلى في الحياة ولاذكر هل كان هذا المثل مادياً ام معنوياً ، ولا تعرض لبعض نزعات المتنبي في الفلسفة ولا ابدى رأيه في خلود المتنبي ، هل يخلد ابو الطيب ، وما هو السبب في خلوده ، وفي الجملة فقد قرأت البحث عن المتنبيء فلم ننشأ في ذهني صورة عامة ، قال المتنبي في كل الاغراض ، ما هي هذه الاغراض ، اجاد المتنبي في وصف المعارك ، ولكن اين مواطن الاجادة ، المتنبي في كلامه كثير من التعقيد اللفظي ، فاين مواضع هذا التعقيد ، قرأت هذا كله فلم تنشأ في ذهني صورة المتنبي العامة ، ولا صورة شعره ولا صورة حسناته ولا صورة سيئاته ، فلم اعرف شيئاً عن جملة حاله وشعره وأسلوبه .

فرغت من هذا التاريخ ، فأخذت تاريخاً غيره فوقع نظري عرضاً على بحث صاحبه عن ابي فراس الحمداني ، فتبين لي ان المؤلف قد استعان برأي الثعالبي في ابي فراس ، حتى انه لجأ في ذلك الى الفاظه نفسها ، فقال : ولما خرج قمر البيان من سراره ، واطلق اسد الحرب من اساره . وقال في موضع آخر في كلامه على شعر ابي فراس : شعره على مثال الشعر القديم متانةً وأسلوباً الا ان عليه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبدالله بن المعتز ، وهذا الكلام انما هو كلام الثعالبي نفسه ، اي امانة في نقد لم يقرأ صاحبه الاثر الادبي الذي ينقده ، اي روح في كلام لم يصدر عن قلب صاحبه ، فلو قرأ هذا المؤلف الاثر الادبي الذي ينقده لكان له رأي فيه خاص به ، مثل المصادر الادبية في تأثيرها في اذهاننا كمثل مشاهد الطبيعة في تأثيرها في حواسنا فكما ان هذه المشاهد قد تترك في حواس مصور آثاراً لا تتركها في حواس غيره من المصورين ، فكذلك المصادر الادبية فانها قد تترك في ذهن رجل آثاراً لا تتركها في ذهن غيره ، فيجب على الذي يتفرغ للنقد ان يقرأ الكلام الذي ينقده ، واما اذا ردّد ما قاله غيره فلا تجد امانة في قوله ، فاذا كنا لا نزال نكرر آراء المتقدمين ونستعين على بحثنا بكلامهم نفسه ، او نشوّه هذا الكلام في بعض الاحايين فكأننا لم نخط خطوة في الف سنة .

اكتفيت بهذا القدر من الاستشهاد لأبين لكم ان فريقاً من المؤلفين في الادب لا يزالون ينسخون في هذا الدهر اقوال المتقدمين ، فهم يسحبون على اذيالهم في كتابة المؤرخات الادبية مع شيء يسير من التعديل ، على ان البحث عن مؤلف من المؤلفات في هذا العصر

يختلف عما كان في القديم فقد استفاضت المناهج العلمية في دراسة الادب وشاعت مذاهب النقد وتبدلت الارض غير الارض والسموات واصبح هذا التطور علامة الحياة نفسها ، فلو اجتزأنا بآراء المتقدمين لجدت القرائح ، ولنضبت الخواطر ، فان لكل ناقد أسلوباً ، وان لكل مؤرخ مذهباً ، وعلى قدر اختلاف هذه الأساليب والمذاهب يزداد رونق الأدب ، فاذا تشابهت فنون الكتابة نفرت الاذان عن كل مردد ، وانقبضت القلوب عن كل مكرر ٠

اما وقد أشرت الى بعض المطاعن في المؤرخات الادبية فلا ارى بأساً بان اتلو عليكم صفات المؤرخ الادبي على حسب ما حددها الاستاذ « فاكه » في كتابه : فن القراءة ٠

« يجب على المؤرخ الادبي ان ينسلخ من دخيلته[1] على قدر ما اعان عليه الامكان ، يجب عليه ان يتجرد منها كل التجرد ، فلا يجوز له ان يعرب عن الاثر الذي ابقاه في نفسه مؤلف من المؤلفين ، وانما ينبغي له ان يفصح عن الآثار التي ابقاها هذا المؤلف في اهل عصره وابناء زمانه ، فاذا كان يبحث عن عصر من العصور وجب عليه ان يبين روح هذا العصر العام على حسب مايعرف من تاريخه وان يوضح الروح الادبي والروح الفني في هذا العصر على قدر ما يعرف من التاريخ الادبي والتاريخ الفني ، يجب عليه ان يقيس — وهذا الامر يكاد يكون ممتنعاً — العوامل التي عملت في مؤلف من المؤلفين وان يبين كيف نشأ عقل هذا المؤلف بحسب الكتب التي قرأها في حياته ، و بحسب الرسائل التي كتبها ، و بحسب رأي اهل عصره فيه ، يجب عليه ان يبحث عن مجامع الظروف العامة التي كتب في خلالها ، ظروف قومه ، وظروف مكانه ، وظروف اهله ، وظروف شخصه ٠ يجب عليه ان ينقب عن التأثير الذي اثره هذا المؤلف نفسه ، اي ان يذكر الرجال الذين راقتهم كتابته ، والرجال الذين لم تعجبهم هذه الكتابة ، فلا يجوز للمؤرخ ان يعرف الا الحوادث ولا ان يعلم غيره الا بهذه الحوادث نفسها ، و بروابطها ، فلا يحق القارئ ان يعلم كيف يحكم هذا المؤرخ ، ولا يحق له ان يعلم انه يحكم ، لا يجوز له ان يعرف انه يشعر ٠

---

(١) دخيلة الرجل مذهبه وجميع امره وقد استعملتها بدلاً من « الشخصية » ٠

اما الناقد الادبي فانه على خلاف المؤرخ فهو يبتدئ من حيث ينتهي المؤرخ الادبي ، انه على سطح هندسي غير السطح الذي ترى عليه المؤرخ الادبي ، فالذي يُطلب الى الناقد ان يبينه انما هو فكره في مؤلف من المؤلفين ، او في اثر من الآثار العقلية سواء أكان هذا الفكر صادراً عن عوامل عقلية ام كان صادراً عن هوائج نفسية ، فلا يطلب اليه ان يصوّر مخططاً وانما يطلب اليه ان يبين الآثار التي بقيت في نفسه بعد سفر من الاسفار » .

دمشق : في ٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩

المحاضرة السادسة

اطوار النقد

أفلا يزال منكم على ذكر ماقلته لكم في آخر مجلس من مجالسنا ، أفلا يزال عالقاً بحفظكم ان تاريخ الأدب شيء وان النقد شيء آخر ، فقد حدثتكم بخصائص المؤرخات الادبية ، وتعرضت لبعض المطاعن فيها ، فأرى ان اجعل النقد حديثي في هذه الامسية فألمح الى أطوار النقد في لغتنا الكريمة في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس ، ثم أجمل الكلام على النقد الادبي في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

كان نقد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي ايام بني أمية حكماً مختصراً يحكمونه على شاعر من الشعراء او لشاعر منهم ، وقد كان يجري شيء من هذا النقد في اسواق العرب وانديتهم في الجاهلية وفي مجالس الخلفاء وقد ملئت كتب الادب بكثير من موجز هذه الأحكام انقل اليكم نماذج منها على سبيل الاستشهاد .

قيل للحطيئة من اشعر الناس فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية وقال : هذا اذا طمع .

وقال عبد الله العباس : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انشدني لأشعر شعرائكم قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ، قال زهير ، قلت : وكان كذلك ، قال : لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال : اشعر الجاهلية امرؤ القيس واضربهم مثلاً طرفة ، واما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير اهجاهم والأخطل اوصفهم .

من هذه الامثلة القليلة يتبين لكم ان النقد كان عبارة عن خطرات سريعة ونظرات عجيلة لا يستند الى شيء من قواعد الفن الشعري الا ان هذه الأحكام كانت صادقة في معظم الاحايين تصدر عن بديهة وفطنة حتى جاء القرن الثالث فدخل النقد في طور آخر

وألف المؤلفون فيه كتباً منها طائفة زعم اصحابها انها تشتمل على تفصيل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين وانزالهم منازل والاحتجاج لكل شاعر بما وجده اصحاب هذه الكتب من حجة له ، وما قال فيه العلماء ؛ من هذه الكتب : طبقات الشعراء للجمحي ، غير ان صاحب هذه الطبقات لم يبحث الا عن الصور الفنية كحسن الديباجة وكثرة الرونق وجزالة البيت وما شابه ذلك ، كقوله مثلاً كان الحطيئة متين الشعر ، شرود القافية . وكان نابغة بني جعدة شاعراً مفلقاً فلا يختلف طراز هذه الآراء عن الطراز القديم .

ومنها طائفة تتضمن قواعد الشعر ككتاب ابي العباس ثعلب الا ان بعض الذين توسعوا في هذا الباب هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، وابن عبد ربه في عقده الفريد ، والآمدي في موازنته بين ابي تمام والبحتري والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه ، وابن رشيق في كتابه العمدة الى غيرهم من الذين كتبوا في تراجم الشعراء والكتاب كالثعالبي وابن خلكان .

كانت هذه الكتب اشبه شيء بكتب الفن الشعري في بعض أمم الغرب فانها تشتمل على قواعد الفن والذوق فلم يشر اصحابها الى الآثار الادبية الا من حيث الصور الفنية فلم يخبر ابن قتيبة مثلاً في كتابه . الشعر والشعراء ، الا عما يستجاد من شعر الرجل وما اخذه العلماء عليه من الغلط والخطإ في الفاظه ، فلم يخبر الا عن الوجوه التي يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها ، وكل هذا لا يتعدى المحاسن اللفظية غير ان ابن قتيبة قد تبسط في بحثه عن القديم والحديث بعض التبسط فقال : ولا نظرت الى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، فالذي يدل عليه باطن كلام ابن قتيبة ان القديم انما هو قديم بالنسبة الى عصرنا ولكنه حديث بالنسبة الى العصر الذي ظهر فيه ولكن الذي توسع في قواعد الفن انما هو ابن رشيق في كتاب العمدة ، على انه مع توسعه هذا لم يجاوز نقده الاقتصار على الصور الفنية فقد قال في فضل الشعراء :

(كل منظوم احسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة الا ترى ان الدر وهو اخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في

الباب الذي له كسب ومن اجله انتخب وان كان اعلى قدراً واغلى ثمناً واذا نظم كان اصون له من الابتذال واظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدد في الاسماع وتدحرج عن الطباع) .

فكان الشعر عبارة عن الفاظ تشبه الدر على ان ابن قتيبة كان يعرف ان العرب احتاجت الى الشعر لتغني بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة ولكنه نظر الى ظواهر الاكسية التي كانت تصون كرم هذه الاخلاق وطيب هذه الاعراق وصلاح تلك الايام ونزوح تلك الاوطان ولم يتغلغل في بواطن هذا الكرم وهذا الطيب وقد كان في هذه الكتب كلها شيء من النقد اللغوي وهو على ما اعتقد الاساس الذي لا يستغني عنه النقد الأدبي نفسه ، وان كان يختلف عنه ، فلا نكاد نجد نقداً ادبياً دون ان يكون فيه نقد لغوي فالكتب التي ذكرتها لكم لم تنظر في روح الشاعر وفكره وعاطفته فلم تفكك اجزاء هذا الشاعر وتبحث عن كل جزء منها ، فكان العصر الذي ظهرت فيه عصر صور فنية الا ان فريقاً من المؤلفين اشاروا الى تأثير بعض العوامل في الشعراء كتأثير البيئة من حاضرة وبدو وتأثير المزاج من سلاسة في الطبع وجفاء في الخلقة ومنهم الجرجاني في وساطته وهذا مذهب طريف في نقد الادب في لغة العرب يكاد يشبه مذهب « تين » في النقد الحديث وسيأتي الكلام على هذا المذهب .

ومن هذا القبيل ابو عامر ابن شهيد الاندلسي فالآثار الادبية في نظره صور ظاهرة تدل على بواطن اصحابها فمن قوله :

« ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه من اصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيأتها ، ومن كان جسمه مستولياً على نفسه من اصل تركيبه والغالب عليه جسمه كان ما يطلع في تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الاولى في التمام والكمال وحسن الرونق ، وهذا الاسلوب في النقد يكاد يشبه اسلوب سانتبوف في هذا العصر ومذهب سانتبوف التعمق في روح المؤلف حتى يبعث من مدفنه فترى هيأته وصورته .

اما التراجم فكنتم تجدون في معظمها اساليب متشابهة والفاظاً متقاربة بحيث يتحقق عندكم ان الشعراء الذين يتقدم اصحاب هذه التراجم متماثلون في صيغهم وقوالبهم فمن

قول اصحاب هذه التراجم : فلان احد افراد الدهر في النظم والنثر وفلان فرد دهره وشمس عصره وفلان اعجوبة الزمان ونادرته وفريد عصره و باقعته ، فيكاد يخيل اليك ان الناس كلهم اعاجيب الزمان ونوادره وآحاد الدهر وشموسه ، أفلم يعس ليل الى جنب شمس من تلك الشموس ·

هذه هي جملة اطوار النقد في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس اتيت على ذكرها على سبيل الايجاز ثم وقف النقد وقفته فلننتقل الى اطوار النقد في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث ·

ما اظن ان ادباً من الآداب قد نمت مذاهبه وامتدت ظلاله في العصور الاخيرة دون ان يكون للنقد الاثر الابلغ في نمو هذه المذاهب وامتداد هذه الظلال ، فالادب الالماني في القرن التاسع عشر قد انبلج نوره من افق الناقد « لسينغ » وقد كان النقد روح الادب الفرنسي من ثلاثة قرون ، ولم يحدث حادث في هذا الادب وفي اذواق اهله من القرن السادس عشر حتى يومنا هذا الا كان النقد مصدر هذا الحادث او اصله ، حتى ان كثيراً من شعراء فرانسه امثال رونسار ومالرب وبوالو وفولتير وشاتو بريان وهوغو قد اعتمدوا على النقد ولجأوا اليه في بسط آرائهم ومعتقداتهم في الادب ·

نشأ النقد الادبي الحديث في ايطالية في القرن الخامس عشر وقد كان لنشأته عوامل شتى منها عاملان كبيران : عامل باطن وعامل ظاهر ، اما العامل الظاهر فهو اضطرار رجال التجديد في ايطالية الى تعارفهم وانصرافهم الى استخراج ما خفي من الكنوز في متقدم العصور من مدافنها ، واما العامل الباطن فهو تيقظ « الشخصية » فقد كان الرجل في القرون الوسطى تابعاً لطبقته ولرجال نقابته ، قبل ان يكون مالك امره ، فلم يكن له في كل حين تصرف في شأنه وعمله وفكره فلما طلع فجر التجديد تيقظت « القوميات » وخرج الفرد عن الرق فاصبح هم رجل الفن ان يدخل في عمله سواء أكان هذا العمل شعراً ام كان تصويراً شيئاً من روحه اي شيئاً من طابعه[1] ·

ثم انتقل النقد من ايطالية الى فرنسة فصبغ فيها بصبغة ادبية فجمل نقدة الكلام في

(١) رأي الاستاذ برونتير ·

تآليفهم المحل الاول للمبادئ والمذاهب ، اني لا اتعرض في هذا المقام لتطور النقد في فرنسة فهذا خارج عن موضوعي ، فلا أتعرض لكتب الفن الشعري في العصرين السادس عشر والسابع عشر ، ولما كانت تشتمل عليه هذه الكتب من قواعد الذوق والفن ، ولا انصدى لانفجاج القوم في مسألة القديم والحديث ، ولما نشأ عن ذلك من خروج النقد عن طور ودخوله في طور آخر فبعد ان كان الناقد يدرس الآثار من حيث انها آثار شرع يدرسها من حيث انها صور الحضارات ، اني لا اتصدى لتطور النقد بعد هذا كله فقد اصبح للأثر الادبي في نظر « فيلمان » ارتباط وثيق بالاوضاع الاجتماعية والسياسية ٠

كل هذا لاحاجة بنا اليه في هذا المقام ولربما مست الحاجة اليه في العام المقبل ، ربما احتجنا اليه في دراسة نقدنا الادبي في اطواره كلها في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس وفي عصرنا هذا فقد نضطر الى شيء من ذلك اذا درسنا هذا النقد وقابلنا بين اطواره وبين اطوار النقد الحديث ٠

كل هذا لا حاجة بنا اليه اليوم على انه لا اجد لي بداً من ان اذكر لكم اربعة نقدة قد استفاضت مذاهبهم في الادب الحديث وكان لها اثر فيه ، واريد بهم فيلمان وسانتبوف وتين و برونتير فاذا اردنا ان نفهم اوضاع الادب الحديث فلا مندوحة لنا عن الاطلاع على مذاهب هؤلاء النقدة ٠

اما « فيلمان » (١٧٩٠ — ١٨٦٧) فهو مؤلف كتاب درس الادب الفرنسي ، واستاذ البلاغة في السوربون ، وصاحب سر (الاكادمية) وكتابه هذا كان فاتحة النقد الحديث فقد جعل فيلمان للمجالس الاجتماعية اثراً في الادب فقال :

لم يخرج من المجالس السابية نوع حديث في الادب فقط او صبغة خطابية او بلاغة سياسية بدلاً من البلاغة الدينية وانما خرج منها شيء آخر ، هبت من هذه المجالس نفحة حياة خرج من هذه المجالس عنصر حديث امتزج باجزاء الادب كلها فبدل منها وغير واعاد اليها شبابها ٠

واما « سانتبوف » ١٨٦٩ — ١٨٠٤ فقد حاول ان يطوي من ظل العاطفة الشخصية في النقد على قدر الامكان ، فالناقد في نظره يجب عليه ان يكون منزهاً عن كل غرض حتى يستطيع ان يكشف اسرار ارواح تختلف عن روحه ، يجب عليه ان يكون صاحب عقل مطلق لا يشغله غرض من اغراض الفن والاخلاق والدين والسياسة ٠

فالنقد يلزمه ان يكون في حيدة عن كل شيء على نحو حيدة العلم ٠

لا يريد « سانتبوف » ان يكون النقد تابعاً لاقيسة محدودة فاذا كان تابعاً لشيء من ذلك فكأننا نحاول ان نلزم الاشياء ان تكون تابعة لمذاهبنا فالطبيعة مملوءة بامور متنوعة وقوالب مختلفة فلا يلزم الناقد ان يكون خاضعاً لسلطان واحد ، وقد اعترض على تلميذه «تين» لما شاء هذا ان يطبّق مذاهب العلم في العقل البشري ويجعل للعبقرية الشخصية أسباباً عامة ٠ يقول « سانتبوف » ينبغي للناقد ان يتجرد من نفسه في النقد ، فمن شروط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد فن وان لا يكون له أسلوب فاذا كان للناقد شيء من ذلك صرف همه الى اثره الخاص فظهر أسلوبه في خلال الاثر الادبي الذي ينقده ٠

فاذا احتاط الناقد في هذه الامور كلها وجب عليه يومئذ ان يبعث كل مؤلف من مرقده حتى نرى هيأته الخاصة على ان يعتني بكل الظروف التي اتى على ذكرها المؤلف في ترجمته ومن هنا يتبين لكم ان النقد أصبح كناية عن تعمق في روح المؤلف ٠

اراد سانتبوف ان يدرس آثار الرجال على نحو درس علماء الطبيعة لنماذج الانواع المختلفة في عالمي الحيوان والنبات الا انه يرى ان اليوم الذي نستطيع فيه تصنيف الكتاب اصنافاً ، ان اليوم الذي نستطيع فيه وضع تاريخ طبيعي للعقول انما هو يوم بعيد على ان الذي يهم انما هو وصف الافراد على وجه الضبط ٠

واما تين (١٨٢٨ — ١٨٩٣) فكل اثر من الآثار الفنية في نظره يصدر عن صاحبه حتماً لعلة من العلل الخارجة لان الرجل في الطبيعة يتبع القوانين العامة على نحو المخلوقات والبكم قوله :

قد يمكن ان يعتبر الرجل حيواناً من نوع سام يضع فلسفة ويقول شعراً كما تنسج ديدان القز بيوتها وكما تبني النحل خلاياها فاذا وجدنا بستاناً ونحلاً فاننا نريد ان نعرف كيف يكون بناء الخلية ٠

من هنا يظهر لكم ان تين قد حاول ان يطابق بين العلم وبين نقد آثار العقل والعاطفة وعلى هذا فقد أراد ان يجعل النقد تاريخاً طبيعياً كبيراً تفسر فيه الآثار والقرائح والامزجة بحسب الجنس والبيئة والزمن ، لقد أدخل تين عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الاان مذهبه لا يخلو من بعض المبالغات وقد اثّر في الفلسفة وفن الرواية ٠

ثم جاء برونتير (١٨٤٩—١٩٠٧) فانبسط سلطانه على العقول حيناً من الدهر ومذهبه في الأدب مذهب النشوء والارتقاء قال :

انما نعلم ما استفاده التاريخ الطبيعي والتاريخ والفلسفة من هذا المذهب ، فأريد ان أبحث عن هذا الامر : أفلا يستطيع التاريخ الادبي والنقد الادبي ان ينتفعا بهذا المذهب ، انما مثل الانواع الادبية في نظره كمثل انواع الحيوان والنبات فانها تولد فتعيش فتموت او تتحول فهو لا يؤمن بمذهب التولد الذاتي في الادب ، فالطريقة الغنائية في القرن التاسع عشر لم تظهر فجأة وانما قد هيئت من القرن الثامن عشر .

هذه نظرة عامة في أطوار النقد الادبي الحديث ليس فيها شيء من التطويل والتفصيل وانما غايتي اطلاعكم على الزهيد من مبادئ هذه الاطوار حتى لا تكون غريبة عن اذهانكم وقد تبين لكم من هذه النظرة كيف امتد سلطان العلم الى افاق الادب فامتزج بالادب علم النفس والتاريخ الطبيعي وعلم التشريح وعلم الفيزيولوجية ومذهب النشوء والارتقاء ثم دخل النقد بعد برونتير في طور آخر وقل اعتناء النقدة بالاقيسة والمذاهب وجعلوا همتهم ان ينقلوا الينا الآثار التي رسخت في نفوسهم من قراءة كتاب من الكتب او ان يفهموا هذه الكتب ويفسروها لنا .

وجملة القول : النقد يحيط بالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ وما شابه ذلك فلا يصح ان يكون النقد في حال من الاحوال ثرثرة وهذياناً او خلطاً وتخبيصاً .

دمشق : في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

خلَّص السمن وأخلصه اذا اخذ خلاصته ، وتأثَّل الناس اذا اخذ منهم أثالاً اي مالاً وإئترش خماشته من فلان : اخذ ارشها وهو دية الجراحات ، وتحوَّف الشيءُ اخذ حافته — واخذه من حافته ، وتصَّفه وتنصَّفه وانتصفه : اخذ نصفه ، وارتجل الرجل : اخذه برجله ، واجتلَّ : التقط الجلة للوقود ، وخلف فلاناً واختلفه : اخذه من خلفه ، وتدهن اخذ مدهناً ، واعتصر : اخذ عُصْرة العطاء اي ثوابه ، واغتلَّ الضيعة : اخذ غلّتها ، وتنبل من فلان : اخذ الانبل فالانبل ، وتجلَّل الشيءُ وتجلَّه واجتلَّه : اخذ جُلَّه ، واستعظمه : اخذ معظمه ، وافتلذ المال : اخذ منه فلذة ، واعتدف الثوب : اخذ منه عدفة اي قطعة — والعدفة اخذها ، وجزَّأ الشيءَ اخذ منه جزءًا ، واشتقه : اخذ شقه ، واستنبل المال : اخذ نبيله اي خياره ، وتخبَّه : اخذ نخبته ، وتشافه : اخذت بشفه اي بفضله ، وامتدر المدر : اخذه ، واعتنف الامر : اخذه بعنف ، وتكلأ الشيءَ : اخذه كُلأةً — والكلأة : تسلمها . والكلأة هي النسيئة والعربون وكذلك اكلأها ، وتغفف الاناء والضرع : اخذ غُفّته اي بقية ما فيه ، وعصي يعصي عصياً : اخذ العصا — و بسيفه : اخذه اخذ العصا .

* * *

وتغفَّر الرجل : اجتنى المغافير من شجرها . والمغافير صمغ يسيل من شجر العرفط حلو كالناطف غير ان رائحته كريهة منكرة ، وقَرظَ القرظ : جناه او جمعه . والقرظ ورق السلم يدبغ به او ثمر السنط ويعصر منه الاقاقيا وهي مما يتداوى به وقيل هو شجر عظيم له شوك غليظ وزهر ابيض وثمر مثل الترمس تعصر منه الاقاقيا المذكورة ، وتكمّأ : اجتنى الكمء ، وتمغثر : اجتنى المغثر ، وهبد الهبيد مثله . والهبد والهبيد : الحنظل يقال صحبة الهبيد . امر من طعم الهبيد . وفي الاساس الهبيد حبّ الحنظل ، وتطرثث : اجتنى الطُرْثوث وهو نبت يؤكل يرتفع كالدرقة الملفوفة واصله قطع حمر خشنة ويسميه الاطباء رب الارض ورب الرياح ، وسلّق : اقتطع السلق من الارض ، واقتشد ، اقتطع القشد وهو نبات يشبه

القثاء وقيل الخيار ، وتلثّى والتثي : اخذ الثي، واقتعل القعال : استنفضه بيده عن الشجر ، وتخأّل الرُطَب : طلبه خلال السعف بعد انقضاء الصرام ، وحنظل : جنى الحنظل وهو لغة في الحنظل . ويقال خرج القوم يتذأنون اي يجنون الذؤنون وهو نبت من الرمث .

وقد اجرم التمر اي حان جرامه ، واقطف الكرم دنا قطافه — والقوم : حان قطاف كرومهم ، واخرف النخل : آن له ان يخرف اي يجني ، واقطع : اصرم ، واجنى الشجر صار له جنى يجنى فيؤكل .

* * *

واحتش الحشيش طلبه وجمعه ، ودوّن الديوان جمعه ، وحطب واحتطب : جمع الحطب وحطب فلاناً : اتاه بالحطب — وجمع له الحطب ، ورزم الثياب : شدها وجمعها رزماً ، وخلّ الكساء : جمع اطرافه بخلال ، وبقل بعيره : جمع له البقل ، وانتجب : جمع النجب اي لحاء الشجر وقيل قشر عروقها وقيل قشر صلب منها ، وجمّل الشيء : جمله جملة ، وخرط الجواهر : جمعها في الخريطة ، واستخلب الشيء : احتشه بالمخلب ، وجيش القائد : جمع الجيوش ، وكوم التراب جمعه وجعله كومة ، وخلا الشعير في المخلاة : جمعه ومثله التقط اللقاط ، وحزّب القوم جعلهم احزاباً — وجعلهم من حزبه .

* * *

واستكار استكارة : حمل الكارة على ظهره وهي مايحمل من الثياب على الظهر وسميت كارة القصار بذلك لانه يكوّر ثيابه في ثوب واحد و يحملها فيكون بعضها فوق بعض ، وثبّن الشيء : جعله في الثبان وحمله بين يديه . والثبان هو الموضع الذى تحمل فيه من ثوبك اذا تلحفته او توشحته فتثنيه بين يديك ثم تجعل فيه من التمر وغيره شيئاً وقال الازهري ليس الثبان بوعاء ولكن ماجعل فيه من التمر فاحتمل في وعاء وغيره وقد يحمل الرجل في كمه فيكون ثباناً ، وقد احتضن الشيء اي احتمله وجعله في حضنه ، واحتجز : حمل الشيء في حجزته وهي معقد الازار — وموضع التكة من السراويل .

وجُنِع البعير انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل . وربّع الرجلُ الحملَ ادخل المربعة تحته واخذ بطرفها الواحد وآخر بطرفها الآخر ثم رفعاه على الدابة فان لم تكن مربعة اخذ احدهما بيد الآخر ورفعاه وذلك يقال له المرابعة ، والمربَع والمربعة

خشبة يأخذ الرجلان بطرفيهـا ليرفعا الحمل على الدابة ويقال رابعوا الحمل اي ادخلوا المربعة تحته . وحدج البعير شدّ عليه الحِدج اي الحمل . ووسق الحنطة جعلها وسقاً وسقاً قال الخليل الوَسق هو حمل البعير والوِقر حمل البغل او الحمار .

* * *

وأزلخ البـابَ أغلقه بالمِزلاخ والمزلاخ والمزلاج والزلاج : المِغلاق الا انه يفتح باليد وهو المعروف عند عامتنا بالدُقرة ، وكذلك زلجه وأزلجه اي اغلقه بالمزلاج .
وعصم القربة جعل لها عِصاماً وشدّها بالعصام وهو عروة يُعلّق بها .

* * *

وثقب الشيء خرقه بالمثقب . ونقر الشيءَ ثقبه بالمنقـار . ووقب وقْبة اوجدها وهي نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء — والكوة العظيمة فيهـا ظلّ . وخزم انف البعير ثقبه لتعليق الخزامة فيه — والبعير جعل في جانبي منخره الخزامة وكذلك خزّم البعير وانفه ، والخزامة حلقة من شعر تجعل في وترة انف البعير يشد فيها الزمام ويسميها بعضهم بالخزام . وعلبى عبدَه ثقب علباءه وقيل قطعها وهي عصبة صفراء في صفحة العنق .

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

العربة واصلها

وقفنا على ما كتبه حضرة الخوري جرجس منش في مجلة المجمع العلمي (٩: ٦٩٩) بعنوان: « العَرَبة · هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ » فتعجبنا من هذا العنوان الغريب، لانه لم يذهب الى هذا الرأي احد، اذ كلنا يعلم ان ابن بطوطة ذكر اللفظة سماعاً عن اهل البلاد الذين كانوا ينطقون بها · فهو راوٍ لا واضع · فكيف نسب حضرته هذا الامر الى ابن بطوطة في ذيالك العنوان ؟ فلو قال مثلاً : « العربة : هل هي من عصر ابن بطوطة » لما ناقشناه · اما انه ينسبها الى الرحالة المذكور، في الوقت الذي يصرح فيه بانه يروي الكلمة روايةً، فهذا مما كنا نحب ان يرفع نفسه عنه ·

وهناك نسبة أخرى كنا نودّ ان لا يذكرها بالوجه الذي ذكره · فقد قال حضرته : « وقد كان ··· الاب انستاس الكرملي قد ذهب الى ان العربة تركية الاصل في نقده على الشيخ ابراهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة عربة بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل !! ··· » كذا رأينا هذه العبارة مكسوعةً بعلامتي تعجب · ونحن لم نفعل ذلك · فهي إذن من حضرة الخوري الفاضل ومن زياداته · وكان يحسن به ان يقول انها من عنده · او أن يجعلها بين عضادتين او هلالين او غير ذلك من العلامات، ليشعر القارئ بانها ليستا لنا اذ لسنا ممن يسخر بمعرفة اليازجي · ومقامه من اللغة اشهر من ان يذكر ·

إذن وضع حضرته هاتين العلامتين هو من عنده ليدل بهما على تعجبه من جهلنا · قلنا : اننا نقرّ بهذا الجهل وقد صرّحنا به مراراً، لكن مع هذا كله لم ننسب الى نفسنا القول بتركية اصل العربة · وكلامنا صريح فوَيق هذا وهو : « وهي تركية الاصل » ولم نقل : « وعندنا انها تركية الاصل » الى غيرها من العبارات الدالة على ادعائنا بالامر · انما اوردنا رأي الغير · والذي صرّح به قبلنا انها تركية صاحب مرآة اللغات، ومؤلف

الدرر العُمانية في اللغة العثمانيــة ومصنف لهجة اللغات وغيرهم وهم كثيرون . ولما قلنا انها تركية الاصل لم نقل انها بلفظها الحالي تركية الاصل بل اردنا ان نقول تركية التركيب والوضع . ألا يعلم الناس ان عولس او عوليس علم يوناني . ومع ذلك نقله بعضهم بالعين كما ترى . أفتكون الكلمة تبتدئ بعين يزول عنها اصلها اليوناني ؟ (١) فقول حضرة الخوري : « وهذا يؤكد (اي كتابة الكلمة بالعين) ماسبق وقلته لااظن العربة من اصل تركي » قول يقرب من قول الاطفال والرضعان .

اما ان «العربة» تركية فنحن لانشك فيها . وذلك لاننا نراها مدوّنة بهذا المعنى في كتاب « ديوان لغات الترك» لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري (٢) . وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) اي في اواخر المائة الحادية عشرة . وانت تعلم ان المؤلف تركي وصنف كتابه في بغداد ونقل الفاظه عن الترك كما تعلم ايضاً ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الأوطان والأطراف الا بعد مئات من السنين ، بخلاف ما يجري في هذا العهد اذ يتم اتخاذ اللفظة نقلها على اجنحة الصحف والمطبوعات . اما في عهد البداوة فان الكلمة ما كانت تنتشر الا بعد مئين من السنين فوجود العربة عند

(١) من الاعلام اليونانية التي عربهــا سليمان البستاني بالعين : عرليق وعسارافس وعسطروف وعسطيفيل وعسقانيــا وعسقانيوس وعسقلاف وعفرُذيت وعفنطوس وعفطوليق وعمارنقا وتزيد على ذلك العقيون وهي يونانية ايضاً قديمة التعريب . والعامة تقول اليوم معكروني والكلمة الايطالية خالية من العين . ونحن نقول كمك بالعين متأثرين السلف القديم وهي كاك بالفارسية اي بلاعين . وقالوا السقرقع واصلها السكركه ودرقاعة واصلها دركاه وهما من الفارسية . وتقول الآن عفارم من التركية آفرين . الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر اصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها بلغتنا بهذا الحرف الحلقي .

(٢) صنف المؤلف هذا الكتاب واهداه الى ابي القــاسم عبد الله بن محمد المقتدي بامر الله الخليفة العباسي وطبع في الاستانة سنة ١٣٣٣ هـ طبعاً متقناً وعلى ورق ثخين حسن .

الترك بصورة (أَرَبه) او (ارابه) بمعنى « العجلة اوالمركبة » في لساننا اقدم من نقل معناها بهذا اللفظ نقلاً عن الارمبين ان صح هذا النسب الموهوم فيه ·

اما انها سريانية فهي لم ترد فيها بهذا المعنى · وهل يمكن ان يستشهد بوجود كلة بمعنى من المعاني غيرالمعنى المطلوب الذي يجري فيه الجدال ؟ — ومن العجيب انحضرة الخوري يلوي النصوص ويقلبها ظهراً لبطن و يسومها عذاب الهون ثم يحاول ان يخرج منها معنى العجلة الذي يولي عنه بعيداً كلما عالج القبض عليه · فالمراد من قول المؤلفين الارمبين : جناح دولاب العربة : «العنفة» (كقَصَبَة) وهي مايضرب به الماء فيدير الرحى · فاين هذا من العجلة يأحفظك الله ؟ نعم ان العربة هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء بطحن بها الحنطة او يعصر بها البزر او يستخرج بها الزيت ، لكن بين ان يكون الزورق عجلة او مركبة فرق كالفرق الذي يرى بين السمكة السابحة في الماء والحيوان الداب على الارض · فان كان هذا يوافقه فلا يوافق الغير من المنصفين ·

ومن غريب ما استنتجه حضرة الخوري قوله : « وقد ذكر ابن علي عربيا على اللفظ الشرقي بمعنى العربة (العجلة) كامر بك » والعبارة التي يشيراليها حضرته هي : «(ايزارا) جناح دولاب العربة » · والحال اننا نعلم ان لا جناح للعجلة كما لا جناح لعجلة (بكسر الاول مؤنث العجل) · والعربة المذكورة فيهذا النص هي المعصرة لاغير · فكيف يلوي حضرته النصوص ويستنتج منها تلك النتائج ؟ ان هذا لا يمكن ان يسلم به جاهل فضلاً عن عاقل ·

فمعنى العربة التي استعملها الارميون يوافق المعنى المذكور عنها فيمعاجم لغتنا العربية اي معنى المعصرة الموضوعة فيالسفينة ولهادولاب وللدواليب عنفات يضربها الماء الجاري فتحركه اي (Presse hydraulique) وليس هناك اثر لمعنى العجلة ·

والعربة التي يكتبها صاحب «ديوانلغات الترك» ارَبه (كقصبة و بهاء فيالآخر) تركية الاصل لا شبهة فيها · وقد عربهـا العرب بالعين كما عربوا الفاظاً كثيرة ناقلين اياها من اللغات التي لاعين فيها · ولا سيما هذه الاربة عربت بالعين لقربها من لفظة « العربة » التي الفوها لوجودها عندهم علماً ونكرة وان كان المعنيان يختلفان · فاننا نسمع العراقيين يقولون اليوم ام البوص في امنيبوس وهي الحـافلة — وقلم طوز في اوكالبتوس

الى غيرهما من الالفاظ التي يسمع مثلها وتجري على هذا الوجه من التحريف والتصحيف في جميع الديار واللغات لمشابهة بين الكلم الغريبة والكلم المألوفة على السماع ·

(تذييل) اغلق علينا فهم بعض الالفاظ فنرجو من حضرته ان يفيدنا عنها · قال : « ذلك ما تبـادر الى ذهني » (ص ٦٩٩) أفيريد ان يقول ذلك ما تبادر ذهني اليه ، او ما بادر اليـه ذهني ؟ — وقال فيهـا « ليس هو من ائمة اللغة بل ليس هو الذي وضع ··· » افلو حذف « هو » من الجملتين الما كانتا اخف وارشق؟ — وفي ص ٧٠٠ « في العهد العباسي اي في اواخر العصر التاسع للمسيح » — قلنا فسر العهد العباسي باواخر القرن التاسع للمسيح والذي نعلمه ان العهد العباسي يمتد من سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) الى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اي ٥٢٤ سنة · هذا فضلاً عن اننا لم نجد بين الاقدمين من استعمل العصر بمعنى القرن او مائة سنة · — ومما شق علينا فهمه قوله في ص ٧٠٠ « عربية خطأ محض (بالتركية) لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعلها المراد (ارابه در) اهـ ·

فهذا كلام يدلك على ان اللفظـة التركية هي (ارابه در) · وهذا امر مضحك · انما المعنى هو « ارابه » بالتركية ، لان « در » في اللغة التركية اداة وصل الخبر بالمبتدأ · ويقابله « هو » بلغتنا · والسلف يحذفونه فيقولون مثلاً « العلم نافع » لا العلم هو نافع — ومما لم يأنس بالنطق به فصحاؤنا قول حضرة الخوري في حاشية ٧٠٠ « مثل برنساء وما اشبه » — والذي ينطق به ائمتنـا وما « اشبهه » (راجع لغة العرب ٧ : ٥٥٥) لترى سبب هذا التعبير) ·

ومن الغاز كلامه هذا التعبير : « وهذا يؤكد ماسبق وقلته لااظن العربية ··· » ولعل هناك غلط طبع اذ الصواب « ماسبق وقلت » او « ماسبق اذ قلت » · او اشباه ذلك ·

ومما لم نفهمه قوله « من اعتـاد الحرب (ص ٧٠١) أفيريد من عتاد الحرب (بلا همزة في الاول) او أعتد الحرب اوعتد الحرب » ؟ فاذا كان هذا هو المطلوب فلماذا كل هذا التحذلق ؟ — وفي تلك الصفحة : « ولما كانت المجلات ··· فقد توسطوا » والصواب حذف الفاء من الجواب إذ لا يتلقى جواب « لما » بالفاء بخلاف « اما » فلعل تشابه اللفظين استدرجه الى الوهم · والاحسن ان يحذف معها « قد » ايضاً فيقول : « ولما

كانت ... توسعوا » — وفي تلك الصفحة كرر قوله وماشبه . — والصواب الاحتفاظ بالفصلة وان يقال : وماشبهه . — وضبط «ارامية» في تلك الصفحة بمدالهمزة والصواب بغير مد والاكتفاء بالهمزة المفتوحة اوان يقال « إرميّة » (وزان عنب بالنسبة والتأنيث) كما صرح بذلك صاحب القاموس — واحسن الاقوال إرَم (كعنب) لانها واردة في سورة الفجر .

ارسلنا بهذه الكلم على ما حضرنا ونحن اول من يتهم نفسه بالخطإ و يقر به اذا مارآه متبلجا في سماء التحقيق الصاحية .

الاب انستانس ماري الكرملي
عضو المجمع العلمي

التذكرة الصلاحية

طالعت في الجزء العاشر (المجلد التاسع) من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق السيد (ف . كرنكو) في شأن الجزءين من تذكرة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندرة ووصفه ما احتوياعليه من الفصول الادبية ، فأحببت ان افيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من « التذكرة الصلاحية » بخزانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس — رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى ان هذه المجموعة الادبية النادرة المثيل هي مبعثرة الاجزاء فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودارالكتب المصرية وغيرذلك .

اما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في القالب الربعي يخرج في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش « الجزء السابع من التذكرة الصلاحيـة ، للشيخ الامام العـالم العلامة خليل بن ايبك الصفدي ، و بآخره ما نصه :

تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي ، وهو السابع من هذه النسخة ، والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا ان عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ فقد جمع ناسخنا كل

جزءين في واحد ، وخط هذا الجزء نسخي شرقي يرجع بحسب الظن الى القرن الثامن — عصر المؤلف — والنسخة جميلة مقروءة اعتنى بها صاحبها وان لم يسم نفسه .

واليك ما اشتملت عليه من الفصول ، بعد الافتتاح .

ص ٢ الى ٣٥ — رسالة القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الصاحب بهاء الدين بن حنا يعلمه بواقعة السلطان الملك الظاهر مع التتار .

ص ٣٦ الى ٤٣ — مقاطيع وقصائد شعرية للقاضي محي الدين عبدالله بن عبدالظاهر المتقدم في اغراض شتى — وقد قال الصفدي عقب نقله لتلك الاشعار :

على انها قطرة من بحر زاخر ، ولمة من معترض برق ما له من آخر ، ولو دُوّن نظمه وجمع لكان اجزاء كثيرة في سائر الافانين ، ولقيل لمجموعه ما هذا ديوان بل دواوين ، ولقد رأيت بخط العفيف الميسري ناقل جوهره الثمين ، وحقيق لما نقل من احسانه وحسناته انه كاتب امين ، لانه كتب من نظمه ونثره مما نقله من مسوداته القاضي الاشرف ولد القاضي الفاضل ما عندي بمفردي منه خمسة عشر مجلداً فكيف ماهو غير ما في ايدي الناس وغير ماهو عندي ايضاً بخط القاضي الفاضل — رحمه الله — وهو خمسة عشر جزءاً مجلداً » .

ص ٤٤ الى ٤٩ — رسالة من تحرير القاضي الفاضل يفتخر و يباهي ويتبجح ويترجح ويتفسح و يتروح .

ص ٥٠ الى ٩٨ — جملة من مختار نظم القاضي الفاضل .

ص ٩٩ الى ١٠٧ — رسالة قوام الدين ابي طالب يحيى بن زيادة التي اصدرها عن الامام الناصر امير المؤمنين الى الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ص ١٠٧ الى ١٠٩ — جواب القاضي محي الدين عبدالله بن عبد الظاهر عن الرسالة المتقدمة وقد ضمنها فصول إنكار عليه .

ص ١١٠ الى ١٦٣ — نسخة الجواب عنها .

ص ١٦٤ الى ١٦٩ — المختار من كتاب الدعاء لابن ابي الدنيا (قال الصفدي) : اخبرنا سماعاً شيخنا الامام الحافظ العلامة جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن

[بن يوسف المربي بدمشق ثالث ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بدار الحديث الاشرفية الخ .

ص ١٧٠ — انشدني تاج الدين خليل بن ابراهيم بن احمد المصري عرف بالوجيزي بدمشق المحروسة ... سنة ٧٣٤ بالجامع الاموي ، قال انشدني لنفسه ابو بكر بن عثمان بن العجمي بالقاهرة ... شعر .

ص ١٧١ الى ١٧٣ — اشعار لابي اسحاق بن خفاجة .

ص ١٧٤ — ابيات من قصيدة علي بن محمد الايادي التونسي (معاصر محمد بن هاني الاندلسي) في وصف الاسطول .

ص ١٧٥ — ابيات من قصيدة المريسي (الشاعر الاندلسي) في وصف الاسطول ايضاً .

ص ١٧٦ — حكاية عن امير مصر موسى بن عيسى .

ص ١٧٧ — اشعار للرستمي وصدر الدين بن الوكيل وابن القروي .

ص ١٧٨ — شعر لابن قلاقس .

ص ١٧٩ الى ١٩١ وهو آخر الجزء — المختار من شعر ابن دانيال .

قال المؤلف عقب ذلك ، تم اختيار ديوان بن دانيال بالديار المصرية في العشر الاواخر من رمضان سنة ٧٣٦ ، والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله وكفى .

وهو نهاية ما بهذا الجزء ، وكنتُ أُخبرتُ انه يوجد بالديار المصرية التونسية بعض اجزاء متفرقة من « التذكرة » فعسى ان اظفر بمطالعتها وبنشر برنامج فصولها في فرصة أُخرى ، ان ساعد القدر .

عن المهدية (تونس) حسن حسني عبد الوهاب
عضو المجمع العلمي العربي

حول شعر بشار

جاءنا ثلاث رسائل من الافاضل الآتية تواقيعهم حول شعر بشار بن برد وجمعه نذكرها حسب ورودها ·

لما لم يتيسر لي خدمة دمية القصر للباخرزي التي كنت أريدها منذ سنين فكرت في عمل آخر لخدمته فأشار صديقي العلام الاستاذ عبد العزيز الميمني الى عدة كتب خطية عني بنشرها ، منها نسخة (شرح المختار من اشعار بشار) المحفوظة بحيدر آباد الدكن من الهند واخترتها من بين الكتب المعرضة علي وارتضيتها لنفسي واستعنت برئيس جامعتنا الاسلامية الدكتور السيد رأس مسعود فاستعار لي النسخة من حيدر آباد واخذت اعمل فيها وهي شرح اشعار بشار بن برد اختارها الخالديان ابوعثمان سعيد وابو بكر محمد · شرحها اسماعيل بن احمد بن زيادة الله البرقي الافريقي · ولا اعرف وجود نسخة أخرى من هذا المختار او شرحه سوى هذه النسخة الحيدر ابادية وهي جيدة عتيقة يدل خطها على انها خطت في المائة السابعة من الهجرة وهي ذات اربعمائة صفحة لكنها مخرومة من الابتداء قد ضاع من اوراقها شيء يسير · ولم اجد ذكر الشارح في شيء من الكتب سوى ذكر اسمه في بغية الوعاة للسيوطي · الا ان شرحه هذا يدل على انه رجل كبير فانه يذكر اولاً ابيات بشار فيفسر كلماتها ومعانيها ثم يعارض كلام الشعراء الآخرين في مواضيع كلام بشار بعينها · وأريد ان اجمع اشعار بشار بقدر ما يتأتى لي الحصول عليه من الكتب والاسفار بعد خدمة هذه النسخة وان اجعل الاشعار المجموعة تذييلاً لها · ولا بد من هذا العمل اذ كنا نعم انه لا يوجد ديوانه وقد ضاع شيء كثير من شعره وانما يوجد منها ما يوجد في الكتب على سبيل الاقتباس · وحين نشر الشيخ احمد حسنين القرني ما جمعه من اشعار بشار كتب السيد محب الدين الخطيب في مجلته الزهراء انه أخبر بوجود نسخة من ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس لكنه لم يدر ان كان ذلك الديوان من تأليف المتقدمين او من صنع المتأخرين · فحين عزمت على خدمة شرح المختار كتبت الى الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ان يعينني في عملي · يخبرني بديوان بشار الذي عنده · لكن لم يصل الي جوابه بعد ، فلعل مكتوبي ما وصل اليه

والآن رأيت محاضرة في بشار بن برد للاستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ذُكر فيها ايضاً ما كان ذكر في الزهراء من وجود ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب ، فأرجو من السيد المومأ اليه الذي هو من اعضاء المجمع العلمي العربي ان ينظر في هذه السطور ويتفضل عليّ بالاخبار عن ديوان بشار الذي عنده والاولى ان يكون ذلك الاخبار في مجلة المجمع العلمي .

الجامعة الاسلامية عليكره الهند : محمد بدر الدين العلوي

« بشار ايضاً »

قرأت في الجزء الثاني عشر من المجلة محاضرة (بشار بن برد) للاستاذ المغربي فانتفعت بها كثيراً واذ كان بشار احد الشعراء المفلقين الذين غيروا الشعر العربي وحولوه الى طرق جديدة لم يسبق اليها احد قبله يلزمنا ان نفتش عن آثاره كلها التي بقيت . ولهذا السبب اقول ان في المكتبة السلطانية في حيدرآباد (في بلاد الهند) نسخة من كتاب قديم الخط عنوانه (المختار من شعر بشار) تصنيف الخالديين (ابي بكر وابي عثمان الشاعرين المشهورين) وقد طالعت هذه النسخة في مكتبنا في (علي كره) فوجدتها في غاية الجودة الا انه سقطت منها ورقة او ورقتان من اولها وقد عزم احد علماء جامعتنا على نشرها ولكنه بطيء العمل بها . واذ كان مشغولاً بنسخها لم يمكني وصف النسخة كلها . ولكن وجدت فيها — سوى كثير من شعر بشار — ان المؤلفين قابلوا شعر بشار بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه او كانوا متأخرين . ولعل النسخة الموجودة في تونس التي ذكرها الاستاذ المغربي في محاضرته نسخة أخرى من هذا التصنيف نفسه .

علي كره (الهند) . ف . كرنكو .

عضو المجمع العلمي

« بشار بن برد »

قرأت ما كتبه الاستاذ المغربي عن بشار بن برد وقد كنت درست هذا الشاعر العربي درساً واسعاً وكان في عزمي ان اكتب عنه جملة من المقالات المتواصلة كما فعلت

في نشري المقالات العديدة عن المتنبي في جريدة (بيام صباح) وعن ابي العلاء المعري في مجلة (اجتهاد) ولكن الفرصة لم تسمح لي بذلك فبقي ما علمته عن بشار في صدري لم استطع رفع لواء دهائه عند الاتراك . ولا اجد من يفعل ذلك غيري ولا سيما بعد تحويل الاحرف العربية الى اللاتينية . والآن احببت بعد قراءة ما كتبه الاستاذ المومأ اليه ان اضيف الى ما ذكره او اكرر بعضه فاقول :

(١) ان اشعار بشار بن برد عشرون بالمائة منها هي من الشعر الجيد الذي لا يلحق غباره ولكن الباقي هو من الشعر الساقط الذي لا يليق ان ينسب الى شاعر كبير مثل بشار وهذا مخالف لأشعار المتنبي فان ثمانين في المائة من شعر هذا الشاعر العراقي السوري الكبير الذي ليس له ثانٍ وهو بكر زمانه والازمنة التي بعده — لا قياس بينه وبين بشار .

(٢) لم يجر الادب العربي على سنة النشوء والارتقاء ولكنه مات بموت المتنبي وابي العلاء وكل شعر جاء بعدهما كان تقليداً ليس فيه شيء من روح البلاغة العربية والاسلوب الابداعي العربي بل كان من النظم لا من الشعر .

(٣) لا ريب ان بشار كان هجاءً سباباً شتاماً فاحش القول ساقط المبدأ ولكن لا ينبغي ان ينسب ذلك الى طينة رديئة جبل منها اودم فاسد سرى في عروقه منذ الولادة بل يلزم ان يسند الى المحيط الذي نشأ فيه والمحيط الذي ولد منه فالرجل ولد من والدين فقيرين وكان في منتهى قبح المنظر (قرد اعمى كما وصفه هاجيه) فكان الناس يستهترون ويستهزؤن به ويشتمونه وهو صغير وكان في نفسه النبوغ والاباء فكان يقابلهم بالمثل ونشأ على ذلك وشب وكل له مستهزئ شاتم فكان يشتم شاتميه حتى ان بعض الشعراء اختلس الشهرة لنفسه من هجاء بشار ولولا ذلك لما كان ذلك الشاعر شيئاً مذكوراً . وقد قال بشار عن نفسه « ان الناس يشتمونني فلا احتمل حقارتهم فاشتمهم مكرهاً » وهي حقيقة يلزم ان تكون عذراً لبشار في كثرة هجائه الناس .

(٤) ان النوابغ لا يخلون من الهفوات والذلات بل هم اقرب الى غير التعقل من بالتعقل في اعمالهم وهب ان بشاراً هجا يعقوب بن داود الوزير بقوله :

بني أمية هبوا طال نومكمو ان الخليفة داود بن يعقوب

وهجا المهدي بقوله :

خليفة يرمي .... يلعب بالدبوق والصولجان

فهذا لا يستحق الموت بلا سؤال ولا جواب ولا محاكمة فقاتله ظالم والذي وشى به يستحق لعنة الله ولعنة العالمين على مدى الدهور ما دام في الدنيا اديب ينطق بالضاد . وقد كنت جمعت بعض الشذرات عن ضحايا التعصب من اعلام الاسلام وعزمت على كتابتها بشكل رسالة . وقد تعهد طبعها صديقي القديم الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولكن لم يسمح لي الوقت ولو كنت كتبت هذه الرسالة لكنت امطرت ناراً على قاتل بشار وعلى الوزير الذي وشى به وهذا هو الواجب على كل كاتب نشأ في العصر الحاضر .

(٥) ان اجتناب الناس تشييع جنازة بشار ليس بدليل على ان الناس كانوا جميعاً يكرهونه ويتمنون موته فما اجتنبوا التشييع الا خوفاً من حكومة الخليفة والوزير القاتلين . وهذا السلطان عبد الحميد — وهو اكبر السلاطين وكان الناس يعبدونه — لما مات لم يشيعه احد خوفاً من حكومة الاتحاديين التي اسقطته وجعلت التقرب اليه جناية لا تغتفر . وهذا هو سبب ضياع اشعار بشار .

(الاستانة) زكي مغامز

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

الاصول العربية لتاريخ سورية

« في عهد محمد علي باشا »

تولى جمعها الدكتور اسدرستم المجلد الاول الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٧ هجرية
طبعت في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ١٣٩

عنيت الجامعة الاميركية منذ عهد غير بعيد بهمة الاستاذ اسدرستم — احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية — بجمع ما تشتت من الوثائق السياسية وغيرها لعهد محمد علي الكبير . وانصرف جامع هذه الوثائق الى الاخصاء في هذا الفرع من تاريخ مصر والشام لمكانة محمد علي من النهضة العربية الحديثة . وهذا الجزء هو النموذج الاول من النماذج الكثيرة التي تتبعه سقط عليها الباحثون في الاماكن الرسمية والخاصة ونشرها ناشرها كما كتبت حتى لا يتطرق التضليل الى نصوصها وتكون للمؤرخ مادة كالاصل لاتختلف عنها بحال . وقد تحرى ما امكن في وضعها وتمثيلها على هذه الصورة الجميلة فاستحق ثناء الآداب العربية . وقد قدم الناشر لهذا الجزء مقدمة ذكر فيها طريقته في النقل وأثنى على جميع من آزروه في عمله من رجال البلاد وغيرهم من القناصل والمحاكم الشرعية وغيرها . م . ك

معجم الادباء

« الجزء الخامس طبع في مطبعة هندية بمصر ١٩٢٩ »

نشر الاستاذ مرجليوث في جامعة اكسفورد الجزء الخامس من كتاب ارشاد الاريب او معجم الادباء لياقوت الرومي في سنة ١٩١١ في مطبعة هندية بمصر واعاد الآن طبعه على الوضع الاول مشفوعاً بفهارس اسماء الرجال واسماء الكتب فاستحق بعمله ثناء العلماء والادباء . لا جرم ان توفر الاستاذ مرجليوث الانكليزي على نشر معجم الادباء

توفر الاستاذ وستنفيلد الالماني من قبل على نشر معجم البلدان لياقوت ايضاً من الاعمال العظيمة في خدمة التاريخ والادب العربي · وفي المجمين من الحقائق عن العرب والاسلام مالا يكاد يعثر عليه الا في بطون الاسفار الكثيرة التي فقد بعضها · وقد قلنا غير مرة في هذه المجلة ان الفضل الذي يحرزه ناشر كتاب من هذا الطراز لا يقل عن فضل مؤلفه وابي عذره · ولطالما رجونا ان يتقيل بنو قومنا علماء المشرقيات من الغربيين في تحقيقهم وطول نفسهم لنشر آثار سلفنا · م · ك ·

اعمال غولدصهير العلمية

Bernard Heller: Bibliographie des œuvres de Ignace Goldziher - Paris

نشرت مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز هذا الكتاب في مئة صفحة ذكر فيه واضعه الاستاذ هللير من اعضاء مجمعنا في المجر ما خطته يراعة العلامة المجري المرحوم السيد اغناطيوس غولدصهير من الابحاث الاسلامية واليهودية ونشر باللغات المجرية والالمانية والافرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية · وهي أبحاث كثيرة منها ماصدر في كتب ضخمة ومنها مقالات ممتعة كتبها في المعلمات الغربية ومنها مقالات متفرقة في المجلات العلمية على اختلاف لغاتها وكلها تدور على ماصرف الاستاذ غولدصهير حياته في تمهده من الابحاث المشرقية · وقد قدم العلامة السيد ماسنيون أستاذ كوليج دي فرانس بباريز لهذا السفر مقدمة رائقة في وصف اعمال العالم المجري مما لا ينهض بمثله بضعة من الاعلام · وعسى ان يكون في الاطلاع على مثل هذه الجرائد من اعمال العلماء في الغرب عظة بالغة للمشتغلين بالعلم في بلاد العرب ، يحتذون مثالهم ويطرسون على اساليبهم البديعة في البحث والدرس · م · ك

جغرافية العراق الثانوية

« تأليف الزعيم طه بك الهاشمي . يقع في ٢٧٩ صفحة من القطع المتوسط »

الزعيم طه بك الهاشمي اخ ياسين باشا الهاشمي الشهير هو من رجال العراق العاملين فان له عدة مؤلفات بعضها كبير الفائدة كهذا الكتاب الذي يبحث عن جيولوجية بلاد العراق وهوائها وسكانها وانهارها وبحيراتها وجبالها وطرقها في البر والانهار ، وسككها الحديدية ووسائل الري فيها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها ومرافقها الاقتصادية وصناعاتها وقبائلها وتقسيماتها الادارية الخ . وتجلى قيمة هذا الكتاب في فائدته وفي صعوبة تصنيفه . فاما من حيث الفائدة فانه من خير ما يرجع اليه المهتمون لشؤون العراق الجغرافية . واما من حيث صعوبة تصنيفه فان من يقدم على الكتابة في هذه الموضوعات يحتاج الى السياحة في انحاء البلاد ومراجعة كثير مما كتبه العرب والاجانب في رحلاتهم ومطالعة الرسالات التي تضعها الغرف التجارية والزراعية ومصالح الزراعة والاقتصاد والقبائل والنفوس وبيت المال وغيرها . ولا يخفى ما في تمحيص ذلك من التعب .

ومما ورد في الكتاب ان مساحة العراق نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع وان سكانه يقدرون بزهاء ثلاثة ملايين نسمة فيصيب الكيلو متر المربع ثمانية اشخاص وهذا قليل ، وان ٧٩ في المئة من السكان هم عرب و١٦ اكراد و٧٥ ، ٢ فرس و٢٥ ، ٢ ترك ، وان من سكانه النصارى الكلدان واليعاقبة والنساطرة ، وان اليزيدية يبلغون نحو عشرين الف نسمة وان معظم اليهود يقطنون المدن وهم يبلغون ٨٠٠٠٠ نسمة .

وجاء فيه ان ثمن الصادرات من العراق سنة ١٩٢٧ بلغ ٦١ مليون ربية وثمن الواردات اليه ١٠٥ ملايين ربية فاذا صحت هذه الارقام ونسبة الصادر الى الوارد تكون حالة العراق الاقتصادية ارجح من حالة الشام قليلاً . و يظهر ان اهم ما يبتاعه العراق من البلاد الاجنبية هي المنسوجات القطنية والسكر ومواد المعادن والآلات والمنسوجات الحريرية والزيتون والشاي والاخشاب وغيرها . واهم ما يبيعها اياه التمر والحبوب والصوف والجلود والماشية والمنسوجات القطنية والمصارين . و يظهر ايضاً ان حظ بريطانية من صادرات العراق ووارداته يكاد يبلغ الثلث وان العراق هو واسطة مهمة لنقل المتاجر بين الاقطار المجاورة

فان ثمن مايعربه على شكل « ترانسيت » يعادل ثمن صادراته تقريباً ·

وجاء ان من المعامل الحديثة معملاً للغزل والنسج في جوار الكاظمية بالقرب من بغداد ومعملاً للنسج وآخر للحدادة في الموصل ومعملاً للحلج في بغداد وآخر للحدادة وصنع السروج استه وزارة الدفاع وثالثاً للنسج والتجارة استه مصلحة السجون ورابعاً لتوليد القوة الكهربائية في بغداد وهو اجنبي ·

ولقد طلب المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب ان ينبه القراء الى مايعثرون عليه من الاغلاط لكي يتلافاها في الطبعات الآتية شأن المؤلفين الافذاذ الذين يسرون من اظهار هفواتهم (جل من لا عيب فيه) ولذلك رأيت من الواجب لفت نظره الى الامور الآتية وهي :

(اولاً) وردت في تضاعيف الكتاب الفاظ البالغ وعنة والفندق والاحراش والحبوبات والصنار والمكائن وصحيحها البليغ وعانة والبندق والاحراج او الحراج والحبوب والدلب والآلات ·

(ثانياً) جاء في الصفحة ١٤٧ ان مالا يحتاج الى اسقائه في القسم الشمالي من العراق هي الكرمة وحدها مع انه يمكن زرع اللوز والتين وغيرهما عذياً في الارض الجبلية الكردية حيث الامطار تكفي لهذا الغرض ·

(ثالثاً) ذكر في الصفحة ١٥٢ ان البق ينقل جرثومة الملاريا على حين ان ماينقلها هو البعوض ·

(رابعاً) ذكر في الصفحة ١٣٦ انه اذا اتبعت خطة محكمة للري في العراق يكون بالامكان زرع مليارين او اكثر من المكتارات · وهذا مستحيل لان مساحة العراق كله لا تزيد على ٣٧٥٠٠٠٠٠ هكتار ·

(خامساً) ورد في الصفحة ١٠٠ ان حلب هي على ضفة الفرات اليمنى مع انها تبعد عنه اكثر من ٨٠ كيلو متراً من اقرب طريق ·

(سادساً) خص لفظة الغنم بالضأن على حين انها تطلق على الضأن والمعز ·

هذا مارأيت ان انبه المؤلف اليه ولابد من لفت نظره الى ضرورة تجويد لغة الكتاب وتجويد طبع المخططات واستعمال المقاييس والمكاييل العشرية بدلاً من الانكليزية وكذا

درجات الحرارة المئوية بدلاً من درجات فارنهيت (وان كان الانتداب في العراق انكليزياً) فشتان بين الاولى والثانية ٠

وبعد اننا نشكر للسيد الزعيم هديته ونتمنى ان يكثر في القطر الشقيق امثاله من الرجال الذين يخدمون بجدهم امتهم ولغتهم ٠ مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي



الادب العربي

« في المغرب الاقصى »

[تصنيف السيد محمد بن العباس القباج]

— جزآن صغيران —

ذكر فيها المؤلف تراجم شعراء المغرب الاقصى في هذا العصر ، وأثبت فيها صورهم ، ومنتخبات من شعرهم ٠

لمح السيد محمد بن العباس القباج الى تنبه الفكر في الشرق العربي ، والى امتداد صدى هذا التنبه الى المغرب الاقصى ، والى ما نشأ عن هذا الصدى من انقلاب في الأفكار والاساليب ، حتى عمل الادباء قرائحهم في نفع الامة وصلاحها ٠

جعل أدباء المغرب الاقصى ثلاث طبقات :

طبقة الادباء الكبار الذين يمثلون الادب الماضي في مذاهبه ٠

وطبقة المخضرمين الذين اخذوا من الادب الماضي بنصيب واف ، واقتبسوا معاني أدب هذا العصر ٠

والطبقة الثالثة انما هي طبقة هذا العصر ، عصر الطيارات ، والسيارات والكهرباء٠ هكذا رتّب المؤلف كتابه ٠

اما الشعر الذي وقع نظري عليه في هذين الكتابين فهو مختلف المذاهب ، فمن التغني بايام الصبوة ، الى الحنين الى الوطن ، الى المراثي الى النسيب ، الى الامادح ، الى وصف الطبيعة ، الى شعر وطني ، الى استفزاز الشباب ٠

ان كان في هذا الشعر شيء يسر القلوب ، فما هذا الشيء الذي يسر الا تنبه الشعور في المغرب الاقصى ، فان بعض الشعراء اخذوا يشعرون ولو قليلاً بان لهم وطناً يتغنون به ، اما بقية مذاهب الشعر في المغرب الاقصى فليس فيها شيء من رونق الجدة والحداثة ، فالادب العربي في عصرنا هذا قد انتقل من طور الى طور ، وقد شعر بذلك بعض ادباء المغرب الاقصى ، فلا بد لهم من الانتقال في ادبهم الى هذا الطور الجديد حتى تظهر على شعرهم آثار خيال طريف ، وصور حديثة ، وليس معنى هذا انه يجوز لهم ان يقطعوا الصلة بينهم وبين شعراء العرب المتقدمين في الجاهلية والاسلام ، وفي زمن بني أمية وبني العباس ، فما يكسبهم المتانة في ادبهم الا الحرص على الآثار القديمة ، فشعرهم ينقصه شيء من هذه المتانة العربية ، وينقصه شيء من مطابقته لروح هذا العصر .

فاذا سرنا الادب العربي في المغرب الاقصى من حيث تنبه رجاله في هذا العصر فاننا نأمل ان يسرنا من النواحي كلها ، من ناحية حرصه على المتانة العربية ، ومن ناحية موافقته لروح العصر حتى يكون تنبه الشعور والفكر في تلك الربوع الكريمة متكاملاً من جميع الوجوه ، وحتى لا يبقى الفرق عظيماً بين الادب العربي في المغرب الاقصى وبين الادب في مصر والشام وسائر الاقطار العربية .

شفيق جبري

الجزء ٤ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٣٠ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ

تصنيف الاحياء

« والفاظه العربية »

قرأت في جزء شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ من المقتطف للدكتور محمد شرف صاحب المعجم الطبي العلمي فصلاً في تصنيف الاحياء من نبات وحيوان وفي الألفاظ العربية التي رأى استعمالها للدلالة على اقسام تلك الاحياء مع مقابلها بالانكليزية . وبعد ان امعنت النظر في تلك الألفاظ وجدت ان الدكتور المحترم شذّ في بعضها عما وضعه او استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل الدكتور العلامة بوست في كتاب « مبادئ علم النبات » وكتاب « نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات » والعلامة الفقيد يعقوب صروف في المقتطف وعلي رياض صاحب كتاب التاريخ الطبيعي وكبار مؤلفي الترك في كتبهم ، دع غيرهم وهم كثير ممن لم نقرأ تصانيفهم او ممن لا يعول كثيراً على رأيهم في الألفاظ الواردة في كتبهم . وبالنظر الى ما لهذا الموضوع من الشأن فقد رأيت من الواجب ان اكتب فيه على عجل هذه الأسطر الموجزة .

يوجد بين الاحياء افراد تتشابه في خلقها وتحليتها كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان وكأفراد الحنطة في النبات . فمجموع افراد الضأن تكوّن نوع الضأن كما ان مجموع نبتات الحنطة تكوّن نوع الحنطة . وقد ميز الانسان الأنواع منذ ازمان متوغلة في القدم فأطلق على افرادها اسم نوعها . فالانسان الذي عاش في حقبة الحجر المصقول كان اذا رأى افراداً من البقر سمي كل رأس منها ثوراً او بقرة ولم يسمه كبشاً او نعجة

واذا رأى سنابل من الحنطة سمى كل نبتة منهـا حنطة ولم يسمها شعيراً • فالضأن نوع والبقر نوع وكذا كلٌّ من الحنطة والشعير وهكذا • ويطلق الفرنسيون لفظة (Espèce) على ما اسميناه نوعاً • وكل رأس من الضأن او كل نبتة من الحنطة تسمى فرداً و بالفرنسية (Individu)

قلت ان الحنطة نوع • ولكن جميع افراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها فقد يكون لعدد من افرادها صفات خاصة ربما انتقلت بالوراثة الى الانسال لكنها كثيراً ما تتبدل اوتزول مع الزمن • فهذه الافراد هي من صنف اوضرب واحد كالصنف الحوراني من نوع الحنطة وكالصنف الحموي من المشمش الخ • والصنف بالفرنسية (Variété) وقد اطلق عليه العلامة صروف هذا اللفظ فوجدته صواباً فذكرته في كتاب البقول وكتاب الدواجن • لكن غيرنا قد وضع له الفاظاً أخرى كما سيجي‌ء • وقد أوجد الانسان آلافاً من الاصناف النباتية • وهو يحفظ صفاتهـا بالرجوع في تكثيرها الى التطعيم وغرس القضبان والدُكُس (جمع عكيس وهي الترقيدة) •

ورب اصناف في الحيوانات خاصة تأصلت فيهـا الصفات ورسخت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل مادام افراد هذه الاصناف يسفد بعضها بعضاً دون ان تنزو عليها افراد من صنف آخر فتهجنهـا • فالصنف الذي اصبح راسخاً على هذا الشكل بالانتخاب الطبيعي او الصنعي يسمي عرقاً (او سليلة) و بالفرنسية (Race) كعرق العراب من نوع الخيل وكالعرق البلدي من نوع البقر الخ • وهنا ايضاً يوجد اختلاف في الألفاظ العربية التي وضعت لهذا المعنى كما سترى •

يتضح مما ذكرت ان النوع في التصنيف يقسم عروقاً واصنافاً وافراداً اي انه اذا كان لديك عشرون بقرة بلدية في مربض وخمسون شجرة من المشمش الحموي في بستان فان الاولى تسمى علمياً عشرين فرداً من العرق البلدي من نوع البقر والثانيـة خمسين فرداً من الصنف الحموي من نوع المشمش • فالعروق والاصناف والافراد هي في سلسلة التصنيف حلقات دون الانواع ، فلننظر ماذا يوجد فوق الانواع من الحلقات •

اذا القيت نظرة الى عدد من البقر والجاموس رأيتها متشابهة في كثير من صفاتها فنوعا البقر والجاموس هما من جنس حيواني واحد • وكذا نوع الابل ذوات السنام

الواحد ونوع الإبل ذوات السنامين . والجنس هو بالفرنسية (Genre) . وقد وضع العالم الطبيعي لينيوس الشهير قاعدة مهمة في تسمية المصنفات من الاحياء ذلك انها لما كانت تسمى جميعاً باسماء لاتينية (واللاتينية هي اللسان العلمي) فقد جعل اسم كل نوع من الانواع الحيوانية والنباتية مركباً من لفظتين الاولى منهما تدل على الجنس والثانية على النوع . فنوع البقر مثلاً هو (Bos taurus) ونوع الجاموس (Bos bibelus) فترى ان لفظة بوس التي تدل على الجنس قد وردت في اسم النوعين فهما إذن من جنس واحد .

ثم يجب ان يجمع الاجناس شيء فهذا الشيء هو الفصيلة و بالفرنسية (Famille) فالبقر والجاموس والضأن مثلاً من فصيلة واحدة وهي الفصيلة البقرية (والبقرية هنا من قبيل اطلاق اسم البعض على الجميع) والحنطة والشعير والذرة والأرز وعرق النجيل هي من فصيلة واحدة تدعى الفصيلة النجيلية نسبة الى عرق النجيل .

وربما كثرت اجناس الفصيلة الواحدة وانواعها حتى صار من الضروري جمع المتشابهات من اجناسها في حلقة واحدة تسمى قبيلة و بالفرنسية (Tribu) . فما يأتي فوق الجنس هو اذن القبيلة ومجموع القبائل هي الفصيلة . وقد تكون الفصيلة صغيرة ليس فيها قبائل .

ثم هنالك المتشابهات من الفصائل فانه يجب جمعها في حلقة واحدة كالفصيلة البقرية وفصيلة الإبل مثلاً فان انواع كليهما تجتر ولذا تجمعان في حلقة واحدة تسمى رتبة المجترات والرتبة بالفرنسية (Ordre) .

وبعد الرتبة يأتي الصف (Classe) وهو مجموع الرتب التي لها بعض صفات مشتركة مثاله في الحيوان صف ذوات الثدي فانه يجمع رتب المجترات وأكالة الحشرات وأكالة اللحوم وذوات اليدين (الانسان) وغيرها من الرتب ومثاله في النبات صف ذوات الفلقة الواحدة فهو يجمع رتبة النجيليات وغيرها .

والحلقة التي تجمع الصفوف هي الشعبة (Embranchement) مثالها في الحيوان شعبة ذوات الفقرات فان فيها صف ذوات الثدي المار ذكرها وصف الطيور وصف

الزاحفات الخ · وفي النبات شعبة ذوات الازهار فان فيها صف ذوات الفلقة وصف ذوات الفلقتين ·

وليس فوق الشعبة شيءٌ سوى دوحة النبات ودوحة الحيوان ·

يستنتج مما ذكر انه اذا كان لديك جاموسة بلدية مثلاً قلت انها فرد من العرق البلدي ونوع الجاموس وجنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة المجترات وصف ذوات الثدي وشعبة ذوات الفقرات · ولا يجوز ان تستعمل في التصنيف غير لفظة واحدة لكل حلقة من الحلقات المذكورة والا التبس الامر على القارئ وضاعت الفائدة من التصنيف فلم يعد ذلك القارئ يعرف في اي حلقة علمية يجب ان يضع النبات او الحيوان المبحوث عنها ·

فالاوربيون وضعوا في لغاتهم لكل حلقة لفظة ثابتة لا يمكن ان تتبدل ومجموع تلك الالفاظ بالفرنسية من فوق الى تحت هي :

Espéce , Genre, Tribu , Famille , Ordre, Classe, Embranchement
Individu , Varieté , Race .

اما نحن فقد ركب كل منا هواه وراح يترجم هذه الالفاظ بما يراه وسببه كون التصنيف العلمي الدقيق على هذا الشكل ما كان موجوداً عند العرب الاقدمين او عند من تقدمهم من الامم ، فلفظة نوع مثلاً تراها في الكتب العربية القديمة تدل على معان شتى من رأس سلسلة التصنيف الى ذنبها · وهكذا لفظة جنس وغيرها ·

وهاك ما وضعه بعض المؤلفين والعلماء مقابل الالفاظ الفرنسية المذكورة على التتابع :

(اولاً) الدكتور بوست في كتاب مبادئ علم النبات : الرتبة ، الصف ، (لم اجد شيئاً مقابل Ordre) ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم اجد شيئاً مقابل Race) ، التباين ، الفرد ·

(ثانياً) الدكتور بوست في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات : القسم ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم انتبه لما وضعه مقابل لفظة Race) ، التباين ، الفرد ·

(ثالثاً) الدكتور صروف في المقتطف : كان يستعمل الفاظ الدكتور بوست

ويخطئ الذين يشذون عنها حرصاً على سلامة اللغة وخوفاً من الالتباس . وقد كان يرى ان اصلح لفظة تترجم بها (Variété) هي لفظة صنف .

(رابعاً) اكبر مؤلفي الترك وهم متفقون على هذه الالفاظ وهي : الشعبة ، الصف ، الفرقة (اوالرتبة) ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، التنوع ، الشخص (او الفرد) .

(خامساً) علي رياض في كتاب علم النبات . القسم ، (لم اجد ما اورده مقابل لفظة Classe) ، الرتبة ، الفصيلة، القسم، الجنس، النوع ، (لم اجد مايقابل لفظة Race) الصنف ، المفرد .

(سادساً) الدكتور محمد شرف في المقتطف : القبيل ، القسم ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، السليلة (اوالشعب) ، الضرب ، الفرد .

(سابعاً) ما اوردته في كتابي البقول والدواجن[1] : الشعبة ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، الصنف ، الفرد .

هذه هي الالفاظ التي وردت مقابل الالفاظ الفرنسية على التتابع . ومن البديهي انه يوجد هناك اقسام اخرى في التصنيف كتحت الشعبة او ردف الشعبة للمجموعات التي تجمعها الشعبة وكتحت الصف او ردف الصف الخ . ومن البديهي ايضاً ان علماء الحيوان والنبات غير متفقين على كيفية وضع اقسام الاحياء ضمن حلقات السلسلة المذكورة وهذه الامور لاتهمنا كثيراً اما الذي يهمنا فهو ان نتفق نحن على الفاظ عربية ثابتة نترجم بها الاسماء الاجنبية التي وضعوها لتلك الحلقات . ويستبين مما ذكرت اننا جميعاً متفقون على الفاظ الفرد والنوع والجنس والفصيلة والرتبة مقابل الالفاظ الفرنسية (Individu و Espéce و Genre، Famille و Ordre) اما البواقي ففيها اختلاف ولهذا وجب ايضاحها بايجاز ولنبدأ بالاساس اي بلفظة (Embranchement) فقد خالف فيهما الدكتور محمد شرف المحترم من تقدموه فسماها القبيل وسميناها الشعبة وقال ان القبيل هو اول قسم من

---

(١) ذكرت خلافها في كتاب « الزراعة العملية الحديثة » وكتاب «الاشجار والانجم المثمرة » للفوضى المنتشرة في هذا الصدد .

التفصيل وانه بمنزلة الجذع من الشجرة . فنحن لانوافقه على رأيه هذا لان الشجرة ساقاً واحدة على حين ان الشُعَب هي اكثر من واحدة سواء في الحيوان ام في النبات . فاول قسم من التصنيف هو الشعب او الفروع في دوحة النبات ودوحة الحيوان اي فيما ترجموه حرفياً بالمملكة النباتية والمملكة الحيوانية . والشعبة هي اصلح لفظة نترجم بها اللفظة الفرنسية المذكورة وهي نطلق في اللغة على اغصان الشجر الغلاظ وعلى الطائفة من الشيء ونستعمل في المجاز فيقال (انا شعبة من دوحتك) . وقد استعملت قديماً لهذا المعنى في مدارس الشام واصبحت شائعة فلماذا نطرحها ونستعمل لفظة القبيل التي لا تفيد معنى التشعب ولم يسمع انها اطلقت على جماعة النبات . ولم يستعملها احد من العلماء والمصنفين .

ولنهبط الى الحلقة المسماة (Classe) فنرى ان جميع الذين صنفوا بالعربية ترجموها بلفظة « صف » فاذا بحضرة الدكتور يخالفهم كلهم و يترجمها بلفظة « قسم » مع ان لفظة صف ارجح من كل الوجوه لاسيما وهي الشائعة في الكتب المهمة كافة . وهو يسمي ال (Sous-classe) صفاً مع ان قاعدة الاتساق تقضي بتسمية اللفظة المذكورة « تحت الصف » .

ثم لنهبط الى الحلقة المسماة (Tribu) فقد وضع لها العلامة بوست لفظة سبط وترجمها الباقون بلفظة قبيلة واللفظتان موافقتان وربما كانت الثانية اصلح .

اما لفظة (Race) فانها تدل على الصنف او الضرب الذي تأصلت صفاته ورسخت وثبتت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل ولهذا وجدت ان لفظة العرق التي اقرها مؤلفو الترك توافق هذا المعنى بعض الموافقة اي من حيث التأصل والرسوخ . اما لفظة سليلة التي وضعها الدكتور محمد شرف فمعناها في اللغة البنت ولست اراها موافقة وكذا لفظة الشَعْب التي خص بها الانسان اليوم فصارت الآذان لا تألف مثل قولنا « شعب البقر البلدي او شعب الكلب السلوقي ... » . ولدي كتاب مؤرخ في ١٩ آذار ٩٢٥ كان وجهه الي العلامة الفقيد الدكتور صروف و به يقول انه يرجح رفع لفظة عرق من احدى مقالاتي في الخيل العراب ووضع لفظة صنف مكانها . فلما بينت له ان العرق (Race) هو الصنف (Variété) الذي تأصل وانه من الضروري التفريق بين المعنيين اقر لفظة عرق ولم يبدلها . هذا وقد عثرت في احد اعداد المقتطف على لفظة (رس) استعملها

العلامة اللغوي الأب انستاس الكرملي لهذا المعنى ولا اظن هذه اللفظة تساوي لفظة عرق ٠

وقد اجاد الدكتور محمد شرف بانتقاء لفظة ضرب مقابل لفظة (Variété) ٠ وقد كنت استعملت هذه اللفظة لهذه المعنى في غير مكان من كتبي لكن لفظة صنف هي اليوم اكثر استعمالاً وعلى كل لا اظن انه يحصل التباس من استعمال اللفظتين ٠ وهما ترجحان بنظري على لفظتي التباين والتنوع ٠

وهنالك لفظة (Hybride) التي لم نبحث عنها الى الآن فان معناها الاصلي الولد الذي ينتج من تسافد حيوانين ينتسبان لنوعين فسيولوجيين مختلفين كولد الحمار والفرس وولد الذئب والكلبة الخ ٠

وقد ترجم الدكتور شرف هذه اللفظة بالكلمات الآتية وهي النغل والخليس والهجين والبيسر ٠ فانا اسأل حضرة الدكتور ماذا ترك من الالفاظ للدلالة على الولد الذي ينتج من ابوين منتسبين لعرقين مختلفين لكنهما من نوع فسيولوجي واحد كالولد الذي ابواه من نوع الخيل مثلاً لكن الاب من عرق الخيل العراب والام من عرق البراذين او الأكاديش ٠ وهو ما يسميه الفرنسيون (Métis) ويسمون شكل الضراب الذي يحصل منه هذا الولد (Croisement) ٠ فانا أرى ان الولد المذكور هو الهجين بعينه وهو ايضاً الخلاسيّ وطريقة الضراب هي التهجين ٠ اما المبريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما نطلق مصدر التبغيل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل (١) ٠ ويمكن مع التوسع ايضاً تسميته كودناً او نغلاً مع العلم بان النغل في اللغة ليس سوى ابن الزنية ٠

وبعد لقد كثرت الآراء في الألفاظ العربية التي يجب استعمالها لحلقات تصنيف الاحياء حتى انني اوردت في كتاب الدواجن الذي سأباشر طبعه عن قريب ، العبارة الآتية وهي : اذا قال احد النحاة (اموت وفي نفسي شيء من حتى) فانا أقول (أموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات ٠٠٠)

(١) راجع ما نشرته في هذا الباب في الصفحة ٢١٥ من المجلد ٧٢ من المقتطف والصفحة ٤٣٠ من المجلد ٨ من مجلة المجمع العلمي بدمشق ٠

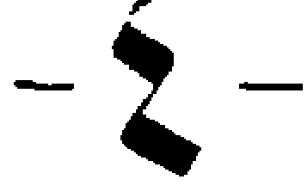
ولا يجوز ان يأتي كل مؤلف جديد بالفاظ جديدة فقد كفانا الى اليوم تعدد الالفاظ للمعنى الواحد . ولا أخالنا ناجين من هذه الفوضى ومن فوضى ترجمة المصطلحات العلمية عامةً حتى تصح عزيمة الحكومة المصرية على انشاء مجمع لغوي يعقد في كل سنة مؤتمراً فيدعو اليه وفود مجامع الدول العربية السائرة ، وهناك في حضرة ارهاط العلوم والفنون واللغة تثبت الالفاظ للمعاني بعد المناقشة في كل لفظة . وعلى الحكومات العربية بعدئذ ان تضمن بما لديها من الوسائل استعمال الالفاظ التي ثبتت دون غيرها . فهل تظنون اننا نعيش حتى نسمع بهذا المؤتمر .

دمشق : مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة



حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن قال كنت اخط بين يدي ابي العباس بن الفرات في اول وزارة عبيدالله بن سليمان واتحقق به لان ابي اصطنع اباه (١) وكنت اشرب معه . فكنا ليلة على شراب وقد جرت الاحاديث فحدثنا باخبار عدة من الكتاب والوزراء كانت فيهم حدة . وقال كان أحمد بن الخصيب يركل المتظلمين . وكان ابو عباد ثابت بن يحيي يضربهم بالمقرعة اذا كان راكباً . وكان احمد بن ابي خالد يشتمهم .وعد جماعة . قال وكان في ابي العباس حدة وسفه لسان. فسمعنا ذلك منه ولم نقدم على موافقته . فلما كان من غد ركب وانا معه في السحر . فلقيه في الطريق اهل سمطيا (٢) يتظلمون من عاملهم في شيء ذكروه . فصاح عليهم وشتمهم . فتقدم اليه احدهم فألح عليه في الكلام . فرفسه برجله من الركاب وقنعه بالمقرعة وبصق عليه . فذكرت الحديث الذي حدثنا به من ليلته فضحكت . فسمع قهقهتي فالتفت مبتسماً وقال من اي شيء ضحكت يا عيار ؟ ، فقلت زدتنا نذقة (٣) ياسيدي في ذلك الحديث الذي

«١» م . ع لعله اباه. «٢» لعله سمسطيا . م . ع الذي في ياقوت سبسطية مدينة قرب سميساط من اعمالها على اعلى الفرات.والمشهور انهـا بلدة من نواحي فلسطين.ولم نجد بالميم الا سمسطا قرية بصعيد مصر. «٣» كذا في الاصل ولعله نزقة .-

جرى البارحة . فقال اوقد حفظته ؟ قلت نعم . قال : فقال لي سليمان بن الحسن سمعت دفعات لا احصيها ابا العباس ابن الفرات وقد احتد طبعه على قوم غضب عليهم وكان يقول للواحد منهم يا ابن مائة الف كر خردل مضروبة في مائة الف مثلها زواني .تشاغل بحساب هذا فهو انفع لك .

قال ابو الحسين وما رأينا ولا سمعنا برئيس أسفه لساناً من حامد بن العباس فانه كان لا يرد لسانه عن أحد البتة . وكان اذا غضب شتم . فمن ذلك ان ابي حدثني انه كان بحضرته في مجلس حافل . فجاءت ام موسى القهرمانة فقالت له ان امير المؤمنين امرني ان اقول لك في مجلس حفلك ان ابن الفرات كان يحمل اليّ خريطة في كل يوم فيها الف دينار والى السيدة عشرة آلاف دينار في الشهر والى الامراء والقهارمة خمسة آلاف دينار في الشهر وانك قد اخللت (١) منذ اربعين يوماً . فقال لها في جواب ذلك الساعة قد جئت حادة محتدة تطالبيني بهذا اضرطي والتقطي. واحذري لا تغلطي. قال فقامت خجلة وكان ذلك احد اسباب سقوطه عندهم وغلبة علي بن عيسى على الامور ، ومن ذلك انه استحضر ابن عبد السلام العدل يطالبه بوديعة سُمِيَ بانها عنده لابن الفرات وان يحيى بن عبدالله الدقيقي ابا زكريا قرابة ام كلثوم قهرمانة ابن الفرات اودعته (٢) ذلك فجرى الخطاب بينهم في ذلك وعلي بن عيسى حاضر والخلق من القضاة والاشراف والاوليا وكنت فيهم وانا حدث مع ابي. فقال له هذا الدقيقي ابن البظراء قرابة ا

«١» م.ع الظاهر انه من اخل بالشيء اذا قصر فيه . «٢» الصواب اودعه.

كلثوم الفضلاء تعرفه؟ فقال: العدل الوزير اعزه الله اعرف به مني. ومن ذلك انه قال لابن الحواري في دار الخليفة وام موسى حاضرة ليلة قدم من واسط ليتقلد الوزارة في حديث جرى بينهما: قد نلت امه مرتين. فقالت ام موسى ويلي اي شيء هذا واستحيا. وقال لابن الحواري: نحن في السواد اذا غلبنا خصومنا قلنا قد نلنا امهاتهم. ومنها انه استحضر الوليد بن احمد بن اخت الراسبي ليطالبه بمصادرة قد وقف عليها عشية (ليلة)(١) عيد اتى عليه في وزارته ولم يشغله حضور الناس عنده للتهنئة بالعيد فأتى بالرجل بجبة صوف فلما رآه علي بن عيسى وكان حاضراً قال ان رأي الوزير ان يخليني واياه لاخاطبه واقوده الى امتثال امره. فقال افعل، واستدعاه اليه وجعل يساره وكان علي ابن عيسى قريباً في(٢) المجلس من حامد، فسمع عليه ما يخاطبه به. فسمع الوليد يحلف قليلا قليلا ما بقيت لي حيلة. فقال لعلي بن عيسى يا ابا الحسن يلذني الساعة أن أنيل أم هذا. فقال علي بن عيسى اللهم غفراً إي والله أيّ لوم. قال وكان ابن عبدوس الجهشياري الذي الف كتاب الوزراء قائماً على رأس علي بن عيسى لانه كان يحجب ابا الحسن وكان ابوه من قبله مضموماً اليه رياسة الرجال برسم علي بن عيسى الوزير وكان يحجبه ايضاً. قال فتنحى ابن عبدوس من مكانه وقال لعن الله زماناً صرت انت فيه وزيراً. ومنها انني سمعته وقد اجتاز على باب دار كنا ننزلها بشارع الكوفة اذ ذاك وانا قائم على الباب وقد اتفق انه كله في الموضع قوم من اهل بادوريا في خراج

«١» مشطوب بالاصل. «٢» بالاصل من.

النخل الشهريز وا كثروا انهم يبيعون المائة رطل منه وهي حمل نخلة بدرهمين وخراجها ثلاثة دراهم وانهم يمنعون من قلعه . فاما اذن لهم في ذلك واما خفف عنهم من الخراج . قال فصاح عليهم وقال ليس لي في هــذا نظر قد صار النظر في هذا وشبهه الى علي بن عيسى فامضوا اليه . قال فانصرف القوم وسار خمس خطى او نحوها ثم وقف وقال ردهم فردهم الرجالة فقال لهم كأني بكم وانتم تمضون الى علي بن عيسى وتقولون قد احالنا الوزير عليك واجابنا . وأمي ان كنت اجبتكم الى هذا زانية وامكم ان قلتم هذا زانية وام علي بن عيسى إن اجابكم الى هذا زانية . ثم سار متوجهاً الى بستانه المعروف بالناعورة ليتنزه . ومن ذلك انه كان يجتمع مع علي بن عيسى في دار الخليفة لما ضمن حامد في وزارته السواد وصار علي بن عيسى مستوفياً عليه ومطالباً له فيتناظران في امر المال فيحتفيه علي بن عيسى بالحجة فيعدل هو به الى السب والسفه . فيقول له علي بن عيسى سلاماً سلاماً . يريد بذلك قوله الله تعالى: « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » فلما كثر ذلك على حامد قال له يوماً عقيب سفه(١) جرى عليه معه كم تذكر سلامة الذي ينيل اختك انياه . فقام علي بن عيسى وقال ما بعد هذا شيء . وتجنب مخاطبته بعد ذلك . وقال لعلي بن عيسى مرة بحضرة المقتدر انا والله نلت هذا مرتين وهو امرد .

حدثني ابو الحسين قال : رأيت ببغداد في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وابي وانا مستتران في الكرخ طوافاً يصيح ويقول انظروا الى قدرة الله

«١» م . ع كذا في الاصل وفي المصباح . قولهم عقيب بالياء لا وجه له فليراجع .

في رأس بقرة برأسين واربع اعين فرأيت ذلك كما وصف.

وحدثني ابو الحسين قال: سمعت ابي يقول لما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة الاولى لم يبدأ بتقليد احد قبل ابي العباس احمد بن محمد بن ابسطام. وكان مقيما في مصر على عطلة فكاتبه باجلّ مكاتبة وقلده أعمال مصر وزاده في الدعاء. وقال: هذا رجل قد جرت له عليّ رياسة والرياسة دين لا يقضى. قال ابو الحسين وسمعت انا في الوزارة الثالثة ابا الحسن بن الفرات يقول وقد دفع اليه صاحب الخبر خبراً فقرأه وخرقه ثم قال يتمضني (١) الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الاعمال على آل بسطام وآل نوبخت والله لولا انه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدتهم لما استعملت في الدنيا الا آل نوبخت دون غيرهم. قال ابو الحسين: وانما كان يتعصب لآل بسطام رياسة (٢) ابي العباس عليه وللمذهب ويتعصب لآل نوبخت المذهب.

حدثني ابو الحسين قال سمعت جماعة من مشايخ الكتاب يقولون كان المعتضد اذا نكب رجلا من جلة العمال ورؤسائهم وكل به من يحفظه من قبله ولم يمكن عبيد الله من نفسه وربما امر بصيانته وشدد الوصية في امره من غير توكيل به من جهته ولا اطماع في المال وكان اذا وكل به يظهر ان التوكيل للمطالبة وزيادتها والتشدد فيها لا لحفظه نفسه فيطمع العامل. قال وكان يقول هؤلاء اكابر من العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية وعرفوا اقطار البلاد هم اركان الدولة واعضاد الوزارة والمرشحون لها. فان

«١» م.ع لعله يمضغني اي يتناول عرضي ويعيبني. «٢» لعله لرياسة.

لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الامر واثر فيه .

حدثني ابو الحسين علي ابن هشام قال حدثني ابو منصور عبد الله بن جبير النصراني كاتب ابن الفرات . قال لما تنكبت (١) بنكبة ابي الحسن ابن الفرات بعد الوزارة الاولى سلمت الى ابي الحسن علي بن احمد بن يحيى بن ابي البغل يحبسني عنده . وكان يطالبني بالمال فادفع عن نفسي الى اذ احضرني يوماً فخاطبني في المال فلم اذعن بشيء فدعا بمزين وامره ان ينتف بالمنقاش ربع شعر رأسي فلما نتف منه طاقات يسيرة كدت اتلف وقام هو وقال اذا نتفتم ربع رأسه فعرفوني فلما قام رشوت الموكلين فحلقوا باقي الربع من رأسي ولم ينتفوا واعلموه انه قد نتف فامر ان يقير الموضع النظيف من رأسي بقير حار فجاؤوا بالقير فوضعوه على رأسي ولم يكن مفرط الحرارة لانه (لو) كان مفرطا لاتلفني لا محالة . فحين احسست بحمي القير قامت قيامتي وكدت ان اتلف فاذعنت بالاداء واقررت بسبعين الف دينار وودائع لي وكنت التزم تسليمها اليهم . فاخذت في اليوم الثالث فلما كتب خطي بتسليمها امر بالزيت فطلي به رأسي وقلع به القير من رأسي ففرغ «١» شعري الى الآن .

حدثني ابو الحسين (١) قال انصرفت من عند ابي عبد الله نفطويه وقد كتبت عنه اشياء فجئت الى ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج فقال لي ما هذا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله نكبت «٢» م . ع لعله فقرع شعري اي حلق وبقيت فيه شعرات. «٣» معجم الادباء ١ : ٣١٤.

الدفتر فأريته اياه وكان على ظهره مقطوعتان فانشدنيهما نفطويه لنفسه. فلما قرأهما الزجاج استحسنهما جداً وكتبهما بخطه على ظهر كتاب غريب وكان بحضرته . والمقطوعتان :

تواصلنا على الايام باق ولكن هجرنا مطر الربيع
يروعك صوته لكن تراه على روعاته داني النزوع
كذا العشاق هجرهم دلال ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله ان نلقى (١) غضابا سوى دل المطاع على المطيع

والاخرى :

وقالوا شانه الجدري فانظر الى وجه به أثر الكلوم
فقلت ملاحة نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم

حدثني ابو الحسين قال حدثنا جماعة من شيوخ الكتاب منهم علي بن عيسى والباقطاني وغيرهما قالوا حدثنا عبيدالله بن سليمان .قال : لما اصاف(٢) المعتمد بسرمن رأى وأمره اذ ذاك نافذ ومعه قطعة من الجيش وكان سليمان ابن وهب وزيره والموفق بواسط وعبيدالله بن سليمان كاتبه ـ طلب المعتمد من سليمان مالا يحتاله لداره وحرمه وخاص نفقته لا يعلم به الجند فدافعه بذلك . فقبض عليه وقال له : قد تقلدت منذ ايام المعتز والى الآن اعمالاً متوالية منها الوزارة للمهتدي ومرة (٣) الجبل وغير ذلك وما نكبت ولا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله نبقى . او نلقي «٢» م . ع : لعله صاف وفي اللسان والتاج صاف بالمكان اقام به صيفاً واصاف دخل في الصيف. «٣» لعله : وإمرة الجبل.

صودرت واريد منك خمسمائة الف دينار . قال وورد علي الخبر فلشدة محبتي لخلاص ابي ما جنيت عليه جناية عظيمة بان صرت الى الموفق فقلت له لم يقدم المعتمد على ابي الا لبغضه لك وليس يحقد (١) علينا الا تمشية امرك واجتذاب الجيش اليك . فوعدني بتخليص ابي على مهل . فقلت ان اخرت الامر اسرع الى مكروهه وازالة نعمه . فقال ما تريد : فقلت تخرج من معك فتنتزعه من يده قسراً . فقال هذا يحتاج الى مال ورجال وهو خليفة على كل حال ولا احسب الرجال يطاوعوني (٢) على حربه . فقلت له علي المال والرجال . فقال دعني حتى افكر . قال ودافعني واعتقد في اقبح اعتقاد ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال في قتال خليفته وتمكنه (٣) من المال من عنده ومن حيلته ما يرضي به الجيش . فلما عاودته قال يجب ان نقدم المراسلة بيننا وبينه فان انجحت وإلا كانت الحرب . فاخترنا للرسل (٤) صاعد بن مخلد وهو اذ ذاك من جلة أصحاب الدواوين . فاستدعاه الموفق من (٥) حضرته من سر من رأى فصار اليه وحمله رسالة الى المعتمد. فمضى واداها واصلح الامر مع المعتمد لنفسه . اشار على المعتمد باطلاق ابي عاجلا وضمن له إفساد رأي الموفق فيه وفيّ حتى يقبض علينا . فأقام ابي عند الموفق والوزارة اليه فدبر امر الموفق . ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق

«١» م.ع كذا في الاصل ولعل اصله يحقده او ضمنه معنى نقم ونحوه. «٢» م.ع حذف النون من هذا الفعل وامثاله للتخفيف وقد تكرر في مواضع كثيرة. «٣» م.ع كذا في الاصل. «٤» لعله : للترسل .م.ع :الاولى للتراسل او الرسالة. «٥» لعله . الى.

في الامر وأنفذ المعتمد ثقاته سراً الى الموفق ءالقنه به صاعد ولم يزل ينسج (١) الامر حتى تمت النكبة علينا .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عيسى اخو ابي عيسى واسمه احمد ابن محمد بن خالد . قال : سمعت أسماعيل بن بلبل يقول ما في الارض اشد جناية على الوزراء والرؤساء من اصاغر اسبابهم . ولقد قال لي راشد صاحب جيش الموفق كنت قد بليت بالنظر في امر إنزال الرجالة ومن يجري مجراهم وكنا نحتاج في كل يوم لذلك الى ستة آلاف دينار فما زالت تنقص بالاضافة الى ان قتصر على ما لا بد منه وكان ثلاثة آلاف دينار . واعتمد الموفق عليّ في ذلك لشدة اهتمامه به لاقوم به اذا لم يطلق المـال عالي وجاهي وحيلتي فافقرني ذاك . وكان عبيدالله بن سليمان وأبوه وهما مقيمان بحضرة الموفق يقصداني ويريثان (٢) المال عليّ . فاحفظني ذلك عليهما . واقتصر (الى) على الفي دينار في كل يوم عاجلة والف بحوالات لا تروج . فكنت احتاج الى ان ارهن سيوفي وسروجي وادخل كل مدخل حتى اقيم الانزال (٣) ووقعا لي في بعض الايام الى جهيذ هما ليث بمال من مال الانزال جملاه من مال ضياعهما فتوارى ليث فبثت الرسل في طلبه . فوجده بعض رجالتي فأوصل اليه التوقيع . فقال ماعندي للوزير ولا لابنه مال فقال له فاحتل ولو من مالك . فهذا امر مهم للامير ابي احمد . فقال وأيش لابي احمق عندي

«١» م.ع : يقال نسج الزور لفقه وزوره . «٢» م . ع : لعله يرتبان . «٣» م.ع الانزال الارزاق والاقوات .

فجاءني الراجل بالخبر فحملني الغيظ عليهما الى ان شكوت الى الموفق هذه الحال وقلت قد قال كلاماً لا يجوز اعادة مثله قبحاً (١) عليك . فطالبني باحضار الرسول فاحضرته • فأمره ان يحكي الكلام فخاف الرسول فأرهبه فأعاده عليه بعينه من غير كناية • فقال (صدق ليث لو لم اكن ابو (٢) احمق لما تركت عليه وعلى اصحابه الاموال حتى انظر فكان ذلك سبب تعجيل النكبة لهما . فقال لي الموفق اريد ان تلزم اصحابك طلب ليث وتظهر انه بسبب هذا التوقيع وتبث الرجالة حتى اذا حصل قبضنا عن اصحابه ؛ فأنفذت عدة ولم ازل اجتهد حتى حصل . وجاء سليمان وعبيد الله من غد للخدمة على الرسم فشوغلا «٣» في الدار الى ان حصل ليث فلما حصل قبض عليهما وانفذ الى صاعد من احضره فتقلد الامر وسلم اليه ليث. قال راشد صرت الى صاعد مهنئاً له بالوزارة . فقال قم بنا لاريك العجب . فقمنا وخلونا ودعا بليث ورفق به . فلم ينفع الرفق . فقال عليّ بحبش غلامه فجيء به فضربه بمقارع يسيرة . فقال انا ادلك على بئر المال . فقال لليث هذه البئر مالك او مال اصحابك؟ فقال بل مالي انا رجل تاجر . فأخرجوا من البئر ثمانين الف دينار . واستخرج بعدها من ليث جملة أخرى كثيرة . فكانت تلك احد «٤» ما قوي طمع الموفق في آل وهب واستئصالهم

حدثني ابو الحسين قال كنا في مجلس حامد بن العباس وهو وزير

«١» م . ع لعل الاصل قال كلاماً قبيحاً لا يجوز اعادة مثله عليك . «٢» م . ع ابو مرفوع على الحكاية . «٣» م . ع : كذا في الاصل ولعله شغلا . «٤» م . ع : الاظهر احدى لتطابق تلك .

وكان يحدث في مجلس العمل كثيراً . فسمعته يحكي. قال قال لي صاعد بن مخلد : لما قلدني الموفق وزارته شرطت عليه ان لا ادخل في مكاره سليمان بن وهب وعبيد الله ابنه ولا اطالبهما ولا انظر اليهما في مال ولا وديعة . وقلت للموفق: سليمان اصطنعني ورفع حالي وصرفني وما دخل قط لي في مكروه ولا دخلت لهما في مثله. ولم اجب الى التقلد حتى صافحني ان لا يلزمني ذلك . فلما تقلدت وخلع عليّ خاطبني في امرهم «١» بعد ايام وذكر ضيق المال الا من جهتهم. فقلت الشرط املك وانت قادر ان تنصب لهذا كاتباً وتدبره بنفسك وبمن ترى من حاشيتك . فعاودني دفعات وانا ممتنع حتى مضى شهر من تقلدي . فلما رآني على هذه الحال راسل سليمان وقال له ان صاعداً غرني من نفسه وضمن لي القيام بالامور وقد بلح «٢» وليس يذهب ولا يجيء وهو عدو له وعدو ابنك وهو يسعى بكما فاضمنه مني واذكر لي ما عليه من الاموال وما في جهته ومعايبه والحجج والتطرق «٣» عليه وعلى املاكه . وكان سليمان محنكاً مجرباً فاعاد الجواب عن الرسالة باني إن كنت موثوقاً بي فلا تحتاج الى ضماني لاني انصح واستقصي على كل من يجب عليه حق للامير ان اعادني الى خدمته ودافع عن كتب الرقعة ، وعلم انها حيلة عليه لامتناعي من مكروهه حتى يجعل الرقعة (حجة) عليه عندي ، فانفذ الموفق الى عبيد الله

«١» م . ع كذا في الاصل والاولى في امرهما . «٢» م . ع بلح الرجل أعيا وبلح الغريم أفلس او لعل صواب العبارة « ضمن لي القيام بالاموال وقد بلح » اي لم يكن عنده مال يفي منه تلك الاموال . «٣» م . ع قال في اللسان ، تطرق الى الامر ابتغى اليه طريقاً

مثل هذه الرسالة واستكتمه ذلك عن ابيه فكتب عبيد الله رقعة طويلة يسعى عليّ (١) فيها اقبح سعاية ويضمنني بمال جليل ويثلبني ويتكلم بي. فلما وصلت الى الموفق احتفظ بها وغدوت عليه فخاطبني في تسلمهم ومطالبتهم فاستعفيت ووقفت على الامتناع. فقال اقرأ هذه الرقعة فلما قرأتها ولم يكن عندي اذ ذاك علم كيف جرت الصورة وانما انكشفت لي بعد ذلك المجلس قامت قيامتي وخفت على نفسي من معاجلة الموفق متى لم اعاجلهم ولم اشك ان ذلك القول صحيح من عبيد الله . وان الموفق قد انعم علي باطلاعي عليه فاستجبت (٢) الى تسلمهم وناظرتهم والزمتهم الاموال العظيمة واستمرت النكبة عليهم .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن عيسى يقول: سمعت عبيد الله بن سليمان يقول: لما دخل صاعد ابن مخلد علي وعلى ابي ليناظرنا ونحن في حبس الموفق قمنا وتلقيناه فخاطب ابي بجميل وأكرمه . وكلمني بقبيح وجعل لا يخاطبني الا باسمي . ويقول يا عبيد الله فلما اكثر عليّ آلمني ذلك فقلت له نعم انا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد نتصرف في خدمة السلطان منذ خمسين ومائة سنة ونتقلب في جلائل الاعمال . انت صاعد بن مخلد: مخلد من ابوه ؟ فكان هذا من اكبر ما احفظه علي حتى تناهى في مكارهي . وكان ابي يلومني على ذلك ويقول سبيل الانسان في المحن ان يتطأطأ لها .

«١» م . ع : المعروف سعى به الى الوالي وشى به . او ضمنه معنى نمّ فعداه بعلى

«٢» م . ع : كذا في الاصل . ولعله استجبت

ويذل لوقوعها . ولا يغالبها . ولم تكن نفسي تطاوعني على ذلك وكان من اضر الامور عليّ وكان الحزم مع ابي دوني .

قال ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي صاحب حامد بن العباس وخليفته قال لي حامد . كان صاعد بن مخلد اول من قلدني العمالة رياسة . فقال لي في بعض الايام احضر معي دار الامير الموفق . فحضرتها معه فجلس في مجلسه منها . واستدعى على خلوة سليمان ابن وهب وابنه عبيدالله وهما منكوبان . فرأيت سليمان وقد خرج بطيلسان وخف ومبطّنة وابنه حاف مكشوف الرأس على أذل صورة . فاكرم الاب واسمع الابن المكروه الى ان دعا له بالمقارع فاخذ سليمان يستعطفه كل الاستعطاف وهو لا ينثني ويقول له اذا صنتك يا ابا ايوب عن مثل هذه الحال فلا اقل من ان تدعني نتقم(١) من هذا الجاهل الفاعل الصانع. قال واقبلت المقارع تأخذ عبيد الله بن سليمان وهو يستعطفه . فلما زاد الامر قال له سليمان يا كافر يافاجر ما تستحي انا اصطنعناك واقعدناك هذا المقعد تضربه بين يدي سبة عليك.قال فاستحيا وامر بقطع الضرب فاضرب بعدها عبيد الله بحضرته. وواضع الموفق بعد ذلك على ان يكون الضرب بحضرته بايدي غلمانه في داره فحرض الموفق عليهما حتى نهكهما عقوبة وضرباً .

فحدثني ابو علي بن مقلة في نكبته بعد الوزارة الثالثة وهو في دار ابي بكر بن قرابة لمال يؤديه ضمنه عنه ابن قرابة وشكا ما عامله به الحصيني من

(١) م . ع : لعله انتقم !

المكروه ثم قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول سمعت ابا القاسم عبيد الله بن سليمان يقول: أخرجت واخرج ابي في نكبتنا في بعض الايام بواسط الى حضرة الموفق وقد نصبت له سبنية (١) فجلس وراءها ونحن نعلم بذلك. ودعا براغب فأمره بضربنا. فضرب ابي نيفاً وعشرين مقرعة. ثم دعى بي فنوظرت. ثم امر بضربي. فالى ان يستدعي لي من يضربني قال ابي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت وما اقول ما اقوله دفعاً عن نفسي ولا عن ولدي وانما اقوله شفقة على الامير. فأعلمه ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ذبح سخلة بحضرة امها فخُبط (٢) من ساعته. قال فوالله مامضى راغب ليؤدي الكلام حتى جاءت الرسل من عند الموفق بان يرفع الضرب عنا. وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبنية فما عاد بعدها علينا مكروه.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو زكريا يحي بن سعيد السوسي المعروف بخلف. ومحله في اليسار والجلالة والمكنة من السلطان والاشتهار بالدين والثقة والصدق والامانة وصحة الرأي (والمحل) — مشهور. وكان نصرانياً في حداثته فأسلم وحسن اسلامه. قال رأيت في منامي يعني بعد اسلامه علياً عليه السلام وكانه جالس ومعه جماعة من اصحابه وبالقرب منه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما جماعة. قال فسألته: فقلت يا امير

«١» م.ع: السبنية ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان اغلظ ما يكون وثياب من حرير فيها أمثال الاترج منسوبة الى سبن موضع بناحية المغرب. «٢» م.ع: يقال خبطه الشيطان وتخبطه مسه باذى وافسده وخبله، وخبط العرق اضطرب.

المؤمنين ما عندك في ابي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً كثيراً . قلت فلم لم تجلس معهما فقال حياء منهما لما يعمل بهما الرافضة.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنفطويه في مسجد الرصافة املاء في سنة ٣٠٨ . قال حدثنا ابن بنت يزيد بن هارون ولم يسمه وكذا املى علينا . قال رأيت جدي يزيد في النوم . فقلت له ما فعل الله بك ؟ ومنكر ونكير ما قالا لك ؟ قال قالا لي من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فقلت ألي يقال هذا ؟ وانا اعلمه الناس منذ ثمانين سنة . فقالا لي نم نومة العروس فلا بوس (١) عليك . وعاتبني ربي على كتابي (٢) عن عثمان بن جرير . فقلت يارب عبدك وما اعلم الا خيراً . قال انه كان يبغض علياً عليه السلام .

حدثني (٣) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن بن الفرات قال دخل عليّ المقتدر يوماً وانا في حسبه (٤) في وزارة حامد . فقال لي يا ابا الحسن أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب ؟ فقلت نعم . قال اي شيء هو من الناس ؟ قلت عامل له محل ويفهم من الحساب شيئاً وهو من صنائعي ووجوه عمالي . وقد كان قبل تقلد عمالات لعبيد الله بن سليمان وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي وهو من اهل بيت . قال فقال لي انه قد كتب

«١» م ، ع : المعروف لا بأس عليك اي لا خوف «٢» م ، ع اي كتابتي «٣» كتاب الوزراء لهلال ص ٨١ . «٤» م ، ع هكذا في الاصل ولعلها الحسبة وهي اسم من الاحتساب ومنه محتسب البلد .

الي يخطب الوزارة ويتضمن (١) بحامد وبعلي بن عيسى . قال فقلت له: ولا كل هذا يا امير المؤمنين من هذا انما طمع في الامر لما رأى حامداً قد تقلد الوزارة ولعمري انها قد اتضعت بتقلده وطمع فيها كل احد . ولعمري انه فوق حامد اولاً في العفاقة (٢) وحفظ اللسان والحساب والخط ولكن ليس لانه فوق حامد يجب ان يقلد الوزارة . ولا لان الغلط جرى في امر حامد يجب ان يقلد هذا وعلى (٣) انه قد غلط في ظنه انه يصلح لصرف حامد لان حامداً رجل قديم الرياسة في العمال وله مروءة عظيمة وضياع كثيرة وغلمان كثيرو العدد وله هيبة وسطوة وسن . ونشأ بعيداً من الحضرة فلم (٤) يستشف اخلاقه وافعاله فاستتر امره عن اهلها وله كرم يغطي كثيراً من معايبه وترك الامر في يده ويد علي بن عيسى (اولى) ولا يلحق بعض كتابه فضلاً عنه واني لاقول الحق فيهما على عداوتهما لي . قال فأضرب المقتدر عن تقليده . قال هشام ثم تم التدبير لابي الحسن في الوزارة وصرف حامد . فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي ابو احمد ذكر تلك الحال التي حدثه بها المقتدر . فهاب الحسن ابن محمد على الامر ورآه بمين رجل بعيد الهمة وعرف تقلب (الامور) راى(٥) المقتدر فرأى ان يحسن الى الحسن بن محمد ويبعده عن الاعمال . فقلده الموصل واخرجه اليها صارفاً لابن حماد . فانتفع الكرخي بذلك المشروع .

«١» م.ع : يقال ضمنته الشيء فتضمنه غرمه اياه فالتزمه ولعله يريد انه يلتزم استخراج المال منهما «٢» بالاصل الوزارة «٣» لعله : وعندي . «٤» م . ع : الاظهر تستشف «٥» م . ع : هكذا في الاصل ولعل الاصل ورأى المقتدر .

المحاضرة السابعة

الاسلوب (١)

مر بكم وانا الخص لكم مذهب « سانتبوف » في النقد ان الناقد ينبغي له ان يتجرد من نفسه في نقده فمن شرائط عبقرية النقد ان لايكون للناقد فن وان لايكون له اسلوب فاذا كان له شيء من ذلك صرف باله الى العناية باسلوبه فظهرت آثار فنه على الكلام الذي ينقده . هذا الطراز من النقد اسمه : النقد الموضوعي وصاحب هذا المذهب يقتصر على الافاضة في الموضوع نفسه دون التعرض لاشياء لا تتعلق بالموضوع فكأنه يحاول ان ينسلخ من عاطفته في نقده وقد اعترض على هذا المذهب اناتول فرانس فقال :

« النقد انما هو نمط من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تزاوله العقول الفطنة الطامة وكل رواية اذا نحن فهمناها كل الفهم ان هي الا ترجمة المؤلف بقلمه فالناقد الحاذق هو الذي يفصح عن خوالج نفسه في تضاعيف روائع المؤلفات ، لايوجد نقد موضوعي كما انه لا يوجد فن موضوعي وكل الذين يتبجحون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير روحهم فهم واهمون فالحقيقة ان المرء لا يخرج من باطنه ابداً وهذا من اكبر شقاء البشرية اننا قيد انفسنا فكأننا في محبس دائم فالذي يليق بنا عمله انما هو الاعتراف بهذه الحالة الفظيعة والاقرار باننا نتكلم بكلام على انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول : سادتي . اني اريد ان اتكلم بكلام على نفسي في اثناء كلامي على « شكسبير » او « راسين » او « باسكال » او « غيت » فان في ذلك فرصة حسنة .

وهذا النوع من النقد اسمه . النقد الذاتي وصاحب هذا المذهب لا يستطيع ان يتملص من الاعراب عن لواعج صدره في خلال كلامه على مؤلف من المؤلفين .

مالنا ولهذا كله انما بغيتي الكلام على الاسلوب من حيث هو اسلوب دون الاندفاع

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

في التنقيب عن طبقات الاساليب والتلميح الى محاسنها ومقابحها الى غير ذلك مما يرجع الى صناعة الترسل والانشاء .

من شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد أسلوب فما هو الاسلوب ؟ .

قرأت من يومين كتاباً دوّنت فيه أحاديث اناتول فرانس في مجالسه ، قال جامع هذه الاحاديث وهو من الذين كانوا يحضرون مجالس اناتول .

طلبوا الى اناتول ان يقص عليهم قصة رنان مع راهبة الدير في لبنان فقال اناتول :

اسمعوا الحديث من فم رنان نفسه ولست أعني بهذا انه حسن القصص ولكنه كان صاحب طريقة خاصة ، فكان يملأ أحاديثه شواهد ويتأوه تأوهات البريتونيين ويتبسم ويدير اباهمه على بطنه ويورم خديه الضخمين في اثناء الحديث ، والخلاصة كان يطبع احاديثه بطابع خاص .

أحب ان استنبط تعريف الاسلوب من هذا الكلام فالأسلوب هو الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته ، والشاعر شعره ، والقاصّ قصته ، الاسلوب هو القالب الذي يصب فيه كل واحد منا فكره وعاطفته .

يقول بوفون : الأسلوب انما هو الرجل نفسه ، ومعنى هذا ان الاسلوب انما هو فهم المؤلف وطابع عقله فالاسلوب على هذا الوجه انما هو الشيء الذي يملكه المؤلف ويختص به في اي كتاب من الكتب ، لا يراد بهذا الكلام ان الاسلوب صورة طبع المؤلف او صورة اخلاقه ، وانما المراد به المنهاج الذي ينهجه هذا المؤلف في الافصاح عن فكر يختلج في ذهنه او عاطفة تضطرب في قلبه ، فهو جملة ما يتذرع به المؤلف من الذرائع الى تصوير فكره او تصوير عاطفته .

لنضرب مثلاً للاسلوب ، فلنرجع الى أديب من أدباء العرب ، فلنرجع الى شيخ أدبائنا في القديم وأعني به الجاحظ ، من اساليب الجاحظ انه يلجأ الى أحقر موضوع وهي موضوع أحقر من الكلام على الحاح الذباب ، فيفرغ هذا الفكر في قالب ويطبعه بطابعه الخاص ، واذا هو موضوع يستهوي النفس ويستميل القلب قد استخلص منه حكمة من أروع الحكم ، ولي حكمة اروع من عجز الانسان عن اضعف المخلوقات اي عن الذباب ، فالجاحظ يعظم المعاني الحقيرة فتعظم ، ويحقر المعاني العظيمة فتحقر ، من هذا

النوع كلامه في كتاب الحيوان على الحاح الذباب على احد قضاة البصرة في ايامه عبدالله ابن سوار ، وصف الجاحظ وقار هذا القاضي فصوره في سطر فقال : لم ير الناس حاكماً قط ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، ثم وصف جلوس هذا القاضي فصوّره في صورة بناء مبني او صخرة منصوبة فقال : فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لايتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كأنه بناء مبني او صخرة منصوبة ، ثم أفاض في غير ذلك من دقائق الصفات حتى اذا فرغ من وقار القاضي وجلوسه ومن الحاح الذباب عليه وحركة القاضي في اطباق جفن على جفن والموالاة بين الإطباق والفتح وقع في نفس كل واحد منا انه يستطيع ان يقص هذه القصة باسهل من هذا الكلام ولكنه اذا جمع ذهنه وقلب نظره في الموضوع وعرض على باله مفردات اللغة وتراكيبها واخذقلمه ليكتب اتى عليه يومه كله ولم يقل شيئاً .

هذا هو الأسلوب وهذا هو معنى كلامي : الاسلوب ملك المؤلف لاينازعه فيه منازع ، فالفكر الذي بينه الجاحظ انما هو فكر عام يخطر على بال كل واحد منا ولكن المعرض الذي عرض فيه هذا الفكر انما هو معرض جاحظي لا يقلده فيه مقلد ولا يزاحمه عليه مزاحم قال صاحب كتاب ثقافة الافكار الاستاذ ريمي دي غورمون .

« الكتابة صناعة من الصناعات ولكن الاسلوب ليس من العلم في شيء فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه او اذا قلنا الاسلوب هو شيء مقدس فقولنا واحد ، فالاسلوب خاص بصاحبه وكما ان لكل واحد منا صوتاً خاصاً به او لوناً خاصاً بعينيه فلكل واحد منا أسلوب خاص به ، انك تستطيع ان تتعلم صناعة الكتابة ولكنك لا تستطيع ان تتعلم كيف يكون لك أسلوب فمن الممكن ان تلوّن أسلوبك على نحو خضبك لشعرك ولكنك لزمك ان تستأنف هذا التلوين في كل صباح دون شيء من اللهو ، قد يتعلم المرء قليلاً أن يكون له أسلوب الا انه ينسى في خلال الحياة ما تعلمه ، فالرياضة التي تحسّن سائر المواهب تفسد في بعض الاحايين موهبة الاسلوب .

الكتابة على نحو ما يفهمها فلوبر او غونكور انما هي ان تكون شيئاً وان لا تشبه غيرك فالحصول على أسلوب انما هو ان يكون لك في لغة عامة مشتركة لهجة خاصة نسيجة وحدها على ان تكون هذه اللهجة لغة كل الناس ولغة واحد من الناس في وقت معاً .

لكل واحد منا أسلوب على قدر عاطفته وطبعه وحاله وتربيته وثقافته وبيئته ومزاجه وحسه وتصوره ، فالرجل صاحب النظر الثاقب له أسلوب موجز ، والرجل صاحب الخيال له تعابير مشحونة بالاستعارات والتشبيهات ، والرجل الذي لانظر له لا تجدون في كلامه وفي تأليفه صلة ما ، ولكل شعب من الشعوب أساليب خاصة فأهل الشرق اصحاب خيال ولذلك ملأوا أساليبهم بالاستعارات وفنون المجاز واهل اثينة شعب مصقول الحواشي رقيق الأطراف فكانت أساليبهم صافية واضحة .

قال جو بر : لكل مؤلف من المؤلفين معجم لغوي وأسلوب فهو يميل الى طائفة من الألفاظ تفصح عن رنات خاصة ولون خاص وشكل خاص و ينزع الى تراكيب تلمس فيهما اثر بنانه فله نحوه الخاص وله نوعه الخاص وله مـاخره ووساوسه .

رجع بنا القول الى بقية الكلام على الاسلوب من حيث اختصاصه بالرجل فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه فمعنى هذا ان الافكار هي ملك البشر بحذافيرهم وميراثهم يقتبسها من شاء ولكن الاسلوب الذي يصور به الكاتب هذه المعاني هو ملك له لا ينازعه فيه منازع ، وهنا تظهر براعة البـارعين وعبقرية العبقر يين ، وهنا يظهر خلود الخالدين فالاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لان للنـاس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب هذا ما قاله فولتير .

ومن اصحاب هذا الرأي فاكه فن كلامه : لا يكون الكاتب كبيراً الا اذا اخترع أسلوباً ، يسألون مصوراً عما يريد ان يصوره فيقول : اريد ان أصور فينوز ، لا شك في ان تصوير فينوز ليس فيـه شيء من الابداع لان المصور الذي يستعد لذلك ليس باول مصور جال في فكره هذا الموضوع ولكن هذا الامر غير ذي بال اي ليس من الضرورة ان يكون اول مصور خطر بباله تصوير فينوز وانما المهم ان يصور فينوز تصويراً خاصاً به لا يشاركه فيه احد وكذلك فن الكتابة فانه يحتاج الى افكار حديثـة وانما الحاجة تمس الى صورة حديثة لهذه الافكار .

ومن كلامه ايضاً في بحث ضافي الحواشي عن هوغو .

هوغو من الخالدين لان الذي يخلد الكاتب انما هو جمال الاسلوب .

ومن اصحاب هذا الرأي اناتول فرانس فقد قال :

اي الرجال يستطيع ان يفخر بانه فكر في امر لم يفكر فيه غيره ، فالاديب يعلم علم اليقين ان الافكار ملك الناس باجمعهم فلا يقدر احد ان يقول: هذا الفكر لي ، الاديب يعلم ان قيمة الفكر بالقالب الذي يفرغ فيه هذا الفكر .

فافراغ فكرة قديمة في قالب حديث هذا هو الفن كله وهذا مايستطيع البشر ابداعه وانشاءه ، ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبته في اذهان الرجال .

وقال في موضع آخر :

الفن لا يكون موضوعه الحقيقة فالحقيقة تلتمس في العلوم لانها غرض هذه العلوم فلا تلتمس في الادب لان الادب لا موضوع له الا الجمال ولا يمكن ان يكون له الا هذا الموضوع .

هذه آراء كتاب الافرنجة في الاسلوب فلننتقل الى ناحية اقرب منا فلننظر الى ادبائنا انفسهم والى آرائهم في هذا المذهب ، قال ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين وكتابه هذا من ابلغ الكتب التي تضمنت قواعد الفن والذوق .

« ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم و يبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الاولى و يزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته ان يقول ، وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين . وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه : لولا ان الكلام يعاد لنفد وقال بعضهم : كل شيء ثنيته قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال .

على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها وقد يقع للمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر .

وقال ابن رشيق في العمدة نقلاً عن بعض العلماء .

ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على

جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الاقدام بالاسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر — وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل الصور الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها ·

من هذا كله يتبين لكم ان اكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الاسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الام فاليونانيون كانوا على هذا المذهب والرومانيون اولعوا الولع كله بجمال الاسلوب حتى افرطوا في هذا الامر فأدى بهم افراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة ، ان للاسلوب سلطاناً لا يقاوم ومافيه الكاتب الا اسلوبه ، يقول بعض الادباء اكثر فواجع «شكسبير» لم تكن الاسلسلة استعارات طرست على آثار القصة الاولى التي جاءته ، انه لم يخترع الا شعره وعباراته فالصور التي صورها حديثة وحداثتها هذه هي التي بعثت روحاً في فواجعه ، انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحتري ثم انظروا الى الذين طواهم قلم يعتد لهم ظل ولم يتسع لهم فيء افيعيش البحتري ويموت شعراء وقته لولا الاسلوب ، ان اختراع المعاني محدود ولو لم يكن للمرء اسلوب يختلف به عن غيره لنفد الكلام في العصر الاول من عصور الآداب ولو كان مدار البلاغة على المعاني وحدها لكان الالكن على رأي ابي هلال العسكري بليغاً لانه يفهمنا حاجته بل يلزم ان يكون كل الناس بلغاء حتى الاطفال لان كل واحد منهم لا يعدم ان يدل على غرضه بجمجمته اولكنته او ايمائه او اشارته بل لزم ان يكون السنور بليغاً لانا نستدل بضغائه على كثير من ارادته ·

هذا هو الرأي الذي اطبقوا عليه وماشذ عنه بعض الناس ولا طعنوا فيه الا بجزم عن ان يكون لهم اسلوب حسن ولا يظنن في خلد احدكم ان المراد بالاسلوب مجرد الالفاظ فهذا ظاهر الاحالة لان الالفاظ تدل بطبيعتها على معان فلا نرون الفاظاً من دون معان والذين يجدون لهم اساليب ضخمة ولا يجدون لهم معاني ضخمة هم اصحاب اسلوب اجوف فارغ لانهم لم يحوكوا الكلام على حسب المعاني ولا خاطوا الالفاظ على قدود المعاني ·

دمشق — في ٢١ كانون الاول ١٩٢٩

المحاضرة الثامنة

سحر العبقرية

اجملت الكلام حتى اليوم على امور كانت على غير قصد مني شبه تمهيد لدراسة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عبادة وابي تمام، وافق التمهيد مديد . فأنا اخشى اذا مضيت في هذه المقدمات ان تنقضي سنتنا ولم نجالس احداً من شعرائنا الثلاثة ولا احطنا بشيء من وشي طباعهم وصوب قرائحهم فأرى ان اجتزيء بهذا المقدار من التمهيد وان ادرس واياكم بعد اليوم اول الشعراء الذين ذكرتهم واريد به اباالطيب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس وقبل الكلام على المتنبي لا اجد لي مندوحة عن الكلام على الشعر والشعراء على وجه عام دون التعمق في دقائق الشعر وما يتعلق به فنه فما هو الشعر ومن هم الشعراء .

الشعر ومعناه في اليونانية . الابداع انما هو في متعارف الاصطلاح الفن الذي يستخدم الالفاظ المتناسقة في تصوير الجمال ، اي في تصوير افكار وعواطف لاصقة بما يناسبها من الصور . الغرض من الفنون بمجامعها تصوير الجمال وقد علمتم ان تصوير الجمال انما هو الافصاح عن فكر من الافكار اوعن عاطفة من العواطف على ان تكون هذه الافكار والعواطف قد كسيت ماليشا كلها من ضروب اللباس ، والتأليف بين الافكار والعواطف وبين قوالبها انما هو من عمل الخيال اي خيال اصحاب الفنون ، فاذا خطر على بال واحد منهم موضوع من الموضوعات وقع في حالة اشبه شيء بالوحي يرتفع فيها الى جو اعلى من جو العامة ويحلق في سماء ابعد من سمائهم فيخترق الموضوع ذهنه وفي هذه الاثناء تنكشف الافكار له في شكلها الحسي فينزل الوحي عليه .

وعلى هذه الصورة ، الفنون كلها متماثلة وانما تختلف باختلاف الوسائل التي يتوسل بها اصحابها الى بيان اغراضهم ، فالمصور يلجأ الى الخطوط والالوان ، وصاحب الموسيقى يرجع الى الالحان والاصوات ، والشاعر يعمد الى الالفاظ . قال اناتول فرانس في سحر الالفاظ : فلق الشعراء لذيذ ، فلا ترثوا لهم ، ان الذين يغنون يعلمون كيف يخلعون حلة

بيضاء على سواد قنوطهم ، فلا سحر الا سحر الالفاظ فالشعراء يتمزون كما يتمزى الاطفال وما عزاؤهم الا الصور » . . .

فالشعر لا يتم بالأوزان والتقفية وانما يتطلب صوراً لانه بالصور وحدها يستطيع ان يخلع على الافكار والعواطف لباساً محسوساً .

[متى يكون الشعر]

لا يكون الشعر الا اذا جمعت الفاظ متناسقة وكانت هذه الالفاظ تتضمن صوراً تناسب المعاني التي تصورها ، فلا تزداد الافكار والصور تناسباً ولا تزداد الالفاظ من جهة ثانية تناسقاً ، سواء أكان هذا التناسق في الالفاظ نفسها ام كان في الافكار وفي الالفاظ التي تمثلها الا ازداد الشعر كمالا .

قد يكون الشعر في مندوحة عن الاوزان طالما ان الشاعر يستطيع ان ينسق كلامه من دون وزن ، الا ان الاوزان نافعة لان الالفاظ الموزونة اشد تناسقاً دع عنك ان هذه الاوزان تجعل لكل نوع من أنواع الفكر والعاطفة لغة خاصة فلكل جنس من اجناس العروض مقام واذا امكن ان يكون شعر دون ابيات موزونة ولا اقول دون تناسق اواذا امكن انتكون ابيات موزونة دون شعر فلابدلنا في كل حال من اعتبار الاوزان قال شينيه في كتابه (علم الجمال) البيت من الشعر ما هو الا لباس ولكنه لباس طبيعي لطيف نلبسه الفكرة الشعرية ، البيت من الشعر جناح يعين هذه الفكرة على الارتفاع من الارض ويحول دون تلطخ بردها القشيب بالوحل ، البيت من الشعر انما هو المثل الاعلى للكلام .

وقال ابن رشيق في العمدة :

« فاذا اخذه — اي اذا اخذ الشعر — سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته وازدوجت فرائده وبناته واتخذه اللابس جمالاً والمدخر مالاً فصار قرطه الاذان وقلائد الاعناق واماني النفوس واكاليل الرؤوس يقلب بالالسن ويخبأ في القلوب مصوناً باللب ممنوعاً من السرقة والغصب .

[ما هو ارتباط الشعر بالموسيقى]

الغناء الذي يزيد في تناسق الكلام يزيد ايضاً في كمال الشعر وقد كانت الشعراء

والموسيقي في بدء الجماعات متحدين فكان كل شاعر صاحب موسيقي على ان اتحاد الموسيقي والشعر لا ينفع الشعر الا اذا كانت الحان الموسيقي تصاحب في الشعر الالفاظ وحدها اما اذا حالت الموسيقي دون فهم الشعر امتنع الشعر ولم يزول الناس الموسيقي في الاصل للموسيقي ذاتها ولكنها كانت خادمة الشعر ولهذا لم تتكامل اغاني الامم في بدئها تكامل الموسيقي في عصرنا هذا .

وهنا لا بد لي من تلخيص هذا الامر : الموسيقي فن يختلف عن فن الشعر وان كانا يستخدمان الالحان في تصوير الجمال ، الا ان الموسيقي تستخدم الالحان للألحان ذاتها فغايتها العاطفة موصولة بالالحان ، فكلما غرقت الموسيقي في تناسق الالحان وتجردت من الفكرة التي تصورها الفاظ هذه الالحان كانت الموسيقي متكاملة اما الشعر فانه على خلاف هذا الامر فهو يعتبر اللحن بمنزلة علامة لنقل الفكرة والصورة فاللحن ليس بغرض الشعر الحقيقي وانما حقيقة غرض الشعر الفكرة المحسوسة التي يمثلها اللحن للذهن .

للافصاح عن الفكرة والعاطفة مذهب آخر من الكلام وهو النثر ، فالشعر يختلف عن النثر من وجهين من حيث المعنى ومن حيث المبنى .

اما من حيث المعنى فالمنظوم من الكلام غرضه تصوير الجمال اي جعل الافكار محسوسة فهو يصور الجمال للجمال نفسه فلا تكون غايته الا اللذة ولكن النثر قد يكون من دون ان تجدوا فيه صيغة محسوسة للافكار ، واذا عني الكتاب في بعض الاحايين بالجمال فما هو الا ليحصلوا على منفعة ما ، فهم يستفيدون من سحر الجمال ما يمكنهم من التهذيب والاقناع وما شابه ذلك .

الشعر لا يعرض علينا الافكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الافكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فاذا قلنا الربيع فانا نفهم الذي يراد بكلمة الربيع ولكننا لا نتصور شيئاً في اذهاننا واما اذا سمعنا البحتري يقول :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد ان يتكلما

ادركنا الفكرة نفسها اي فكرة الربيع ولكن سحر العبقرية قد بعث في هذه الفكرة حياة حتى كأننا بمحضر شخص باسم الثغر ضاحك الوجه قد هم بالكلام .

م : ٢

فالشعر غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ، قال اناتول فرانس :

« يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا ويتنبه فكرنا ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن ان يلذك و يسرك ليس له غير هذا الشأن ، ولكنهم في هذا العصر قد خلطوا وخبصوا فأحبوا ان يطبقوا في نتائج الأدب ما طبق من الطرائق في العلم على انه بين انشودة من الاناشيد و بين الهندسة الوصفية بون عظيم فالشعر غير الهندسة وما ينبغي للا. الفن ان تكون متعبة للذهن .

ولست ادري الى اي غرض رمى ابن رشيق في كلامه لما قال :

« والشعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو ولغة وفقه وحساب وفريضة » .

اما ان يكون الشاعر مثقفاً فهذا لا بد منه ، واما ان يحمل الشعر ما تحمله اياه من فقه وفريضة وحساب فهذا مالا قدرة له عليه ، فالشعر شيء والجمع والطرح شيء آخر .

قلت: الشعر يختلف عن النثر من حيث المعنى وهو يختلف عنه من حيث المبنى فلكل فكر من الافكار صورة تناسبه من الكلام والفكرة الشعرية تختلف عن الفكرة النثرية فوجب ان يكون لكل من الشعر والنثر لغة خاصة قال ابن رشيق :

«وللشعراء الفاظ معروفة وامثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولا ان يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على الفاظ باعيانها سموها : الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها .

فالشعراء هم اساتذة اللغة ، ان لم الفاظاً اشرف من الفاظ الكتاب فهم يستعملون كلاماً اندر واقدم و يولدون الفاظاً وتراكيب كتوليد امرىء القيس لهذا التركيب بعيدة مهوى القرط او كتوليد غيره من الشعراء .

هذا موجز القول في الشعر وما اظنني بلغت الغاية في الكلام عليه فان في الشعر شيئاً غير تناسق الالفاظ وغير تناسق المعاني والصور ، ان في الشعر سراً روحانياً يدركه الذي يزاوله وقد لا يدركه غير الذي يزاوله وهذا السر الروحاني هو الذي يجعل الشعر شعراً يهز النفوس ويحرك الطباع ، ما اجمل قول صحار العبدي لمعاوية وقد قال له معاوية :

ما هذا الكلام الذي يظهر منك فقار سحار : « شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا . نعم الشعر شيء والشعر كل شيء ولكن ما هو هـذا الشيء ان هو الا وحي يوحى ، فما الاوزان وما القوافي وما التنسيق ، ان في الشعر شيئاً لاتهبه صناعة وانما تهبه الطبيعة وحدها ، تلهمه الهاماً فيطفح على خاطر صاحبه ، فيقذفه على لسانه فمن كان الشعر غير مناسب لطبيعته وغير ملائم لقريحته فليسمع ما قاله له ابن عبد ربه :

« فلا تمض مطيتك في التماسه ولا تتعب نفسك الى انبعاثه باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم ، فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك ، واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبقه ، وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الجزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة في عير ولا نفير » .

من هذا كله تستخلصون ان الشعر قد ركب في الطبع وامتزج بالنفس فالطبع هو العامل الاكبر في الشعر ولعمري كيف يكون الشاعر رقيقاً اذا قدت طبائعه من الصخر ونحت قلبه من الحجر ، ام كيف يكون ظريفاً اذا نشأ على الغلظة والفظاظة وطبع على فتور الذهن وجمود النفس ، فالناس كلهم يستطيعون ان يتكلفوا الشعر وما كل شعر يقولونه خالد على وجه الدهر فاذا لم يكن الشعر ابن الوحي والالهام ذهب جفاء ولم يمكث في الارض .

هذا هو الشعر، هذا هو سحر العبقرية فمن هم الشعراء من هم هؤلاء السحرة فاذا اردتم ان تعرفوا من هم الشعراء فاسمعوا ما قاله فكتور هوغو :

من الخطإ لا بل من الجناية ان يخطر ببال الاديب انه يحق له ان يكون بمعزل عن مصالح قومه ورغائبهم ، وان يعدل بقريحته عن التأثير في اهل عصره وابناء زمانه وان ينفرد بحياته فلا يكون له عمل في البنيان الاجتماعي ، فمن الذي يخلص النية في هذه الاعمال الجليلة غير الشاعر ، اي صوت يعلو في العواصف غير صونه ، ام اي وتر يستطيع ان يخفف من شدة العواصف غير وتر قيثارته ، فمن الذي يقتحم الفوضى فيذهب بمقابحها ويهجم على الاستبداد فيدرج بمكارهه ، وقديماً كان الشاعر صاحب الامر النافذ في الجمع بين الشعوب والملوك وحديثاً له الامر في التفريق بينهم .

فاذا علمتم مكانة الشعراء في المجتمع البشري ادركتم معنى احتفال قبائل العرب في القديم بشعرائهم قال ابن رشيق :

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس، ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج . فممن حمى قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق همّ بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه : لا تعجل وانا مهدٍ اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده :

فما ترك الهاجون لي ان هجوته	مصحاً اراه في اديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه	لكاسره ابقوه للمتعرق
سأكسر ما ابقوا له من عظامه	وانكت مخ الساق منه وانتقي
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا	لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغته الابيات كف عما اراد وقال :

لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .

وكيف لاتحتفل العرب بشعرائها وهم الذين يصورون الحق في صورة الباطل و يصبون الباطل في قالب الحق فاذا قالوا نجحت مقالتهم في القلوب ، قال اناتول فرانس :

الشاعر ملك ، الشاعر اكثر من ذلك ، انه فوق أفق البشر يتنزّل عليه آله الشعر هدوء الفكر ومسرات العقل انه يكتشف عوالم حديثه على نحو « كولومب » دون ان يزايل مركزه ويفتتح البلاد على نحو شارلمان من غير ان يتحرك من مكانه .

انه يجمع هوائج النفوس فيبعث حياة كل واحد من البشر ، يشعر بفرح كل من يفرح و يحس بألم كل من يألم في هذا العالم .

اي سلطان في يديه ! انه يجمع الالفاظ تلك الالفاظ الباطلة التي تقلب العالم . الشاعر يحكم على الاحياء وعلى الاموات .

انظروا الى الملك « مكبث » دل استقصاء المؤرخين على انه لم يقتل احداً وعلى ان زوجته كانت امرأة صالحة فلم يكن على يدي مكبث لطخة دم ولكن من الذي يؤمن بعد

اليوم بصلاح الزوجين الفاجعين . أراد شكسبير ان يصور الملك « مكبث » في صورة مجرم فظيع فلطخ يد زوجته بلطخة حمراء فنظر الناس بعد تصوير « شكسبير » الى الملك « مكبث » والى زوجته فلم يروا في «مكبث» الا رجلاً قاتلاً غاضباً ولم يروا في زوجته الا انامل غميسة في النجيع . فلا يستطيع احد ان ينصفهما بعد كلام شكسبير وان ينظر في مظلمتهما مرة ثانية فقد نطق الشاعر واذا الشاعر نطق فلا تسمع العصور غير صوته[1] .

ما اعظم سلطان الشاعر ! ما انفذ كلامه ! من كلام الازدي على سيف الدولة انه كان جائراً على رعيته ، ومن كلام قاضي سيف الدولة ابي الحصين . كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك ، ولما قتل هذا القاضي في احدى المعارك داسه سيف الدولة بحصانه وقال لا رضي الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم ، وذكر بعض المؤرخين ان بني حمدان اكبوا على أبناء عمهم بني حبيب بصنوف الجور حتى مرق بنو حبيب من دينهم والتحقوا بالروم ، كل هذا نسي منسي ذهب جور سيف الدولة ان كان جائراً وذهب ظلمه ان كان ظالماً ولم يبق في اذهان بعض الناس من سيف الدولة الا الصورة التي صورها ابو الطيب المتنبي في شعره ستكر الايام وتمر العصور وسيف الدولة .

تشرف عدنان به لا ربيعة　　　وتفتخر الدنيا به لا العواصم

هؤلاء هم الشعراء :

دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من انت قال : ابن هرم بن سنان قال : صاحب زهير ، قال : نعم قال : اما انه كان يقول فيكم فيحسن قال : كذلك نعطيه فنجزل قال : ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم .

وما أريد بعد هذه الخاتمة ان اقول شيئاً فالشعراء هم الذين اذا اعطوا بقيت عطاياهم على شباب الايام وعلى هرمها .

دمشق : في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٢٩



(١) لا يراد بهذا الكلام ان حكم التاريخ على « مكبث » او على سيف الدولة قد بطل دفعة واحدة وانما يراد به تصوير تأثير الشعراء ومبلغ هذا التأثير .

أسامة بن منقذ(١)

هنا في عاصمة الأمويين في سفح قاسيون ذلك الجبل المطل على دمشق المشرف على الغوطتين بالقرب من نهر يزيد الشمالي ثوى عالم من العلماء الاعلام، وقائد من القواد العظام، وبطل من الابطال وشاعر من فحول الشعراء، كانت تخطب وده الامراء والملوك الا وهو ابو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين صاحب التصانيف العديدة في فنون الادب، سكن دمشق واستوطنها ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به في ولده حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله دمشق وكان مشغوفاً بذكره مستهتراً باشاعة نظمه ونثره فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين فرحل اليه وكان يستشيره في حملاته وغزواته. رحل الى مصر في ايام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فبث بها روح الثورة وعمل على قتل بن السلار حتى قتل.

ولد في شيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمسمائة واربعة وثمانين.

(شيزر في القديم والحديث) — وشيزر قلعة غربي حماة الى الجهة الشمالية على مسافة ساعة في سير السيارة، قال ياقوت الحموي: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الاردن عليه قنطرة في وسط المدينة.

وذكرها امرؤ القيس في قوله:

تقطّع أسباب اللبانة والهوى ... عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وايقن انا لاحقان بقيصرا

---

(١) هي المحاضرة التي القاها في ردهة المجمع العلمي الاستاذ طاهر النعساني في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م.

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

فتحها ابو عبيدة صلحاً : تلقاه اهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل وذلك سنة ١٧ هجرية ·

واشهر من ينسب الى شيزر الامراء من بني منقذ وكانوا ملوكها وحكامها · وكانت على عهد ابي الفداء مملكة من الممالك أضيفت الى مملكة حماة فكان اسماعيل ملكاً عليها ايضاً ·

وهناك بالقرب من شيزر في مرتفع من الارض بحيث تشرف على قلعة شيزر قبة تشتمل على ضريح ومسجد يقال انه ضريح ابي عبيدة والصواب انه ليس بقبر ابي عبيدة ولكنه حينما قدم ابو عبيدة الى شيزر عاملاً عمر فتحها خيم بجنوده ورجاله في ذلك المكان الحربي المشرف على شيزر فاتخذه الناس بعد مقراً لابي عبيدة وبنوا به هذا الضريح وذلك المسجد ·

لا تزال بعض جدران شيزر ماثلة تهزأ بالعواصف القواصف وتدل على عظمة الاقدمين وتفننهم في تشييد البنيان ورفعه · ولا يزال فيها السرداب المتصل بالنهر يستقي منه الاهلون وقد تهدم منه القسم الكبير ·

وكانت شيزر على عهد آل منقذ عامرة بقطانها ومحصولاتها الزراعية وفواكهها الطيبة · يخرج منها خمسة آلاف مقاتل ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون مزارعاً موبوءة مستوبلة امراضها فتاكة يضرب بها المثل بهوائها الفاسد فيقال «اوخم من شيزر · ونفعل كذا وننال كذا ونقول شيزر وخمة » فسبحان محول الاحوال ومقلب الليل والنهار ·

(آل منقذ) — اول من ملك شيزر منهم ابوالحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه باخذها فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة ولم تزل في يده و يد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الردم فشغرت وجاء نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة فأخذها وجدد من بنيانها ما تهدم

وسآتي على تفصيل هذه الزلزلة . وكان سديد الملك هذا مقصوداً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي المشهور وغيرهما . وكان له شعر جيد فمنه قوله وقد غضب على مملوك له فضربه وكان يحبه و يميل اليه ولا يؤثر عليه :

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من كفيّ غلّها غيظاً الى عنقي
واستعير اذا عاقبته حنقاً وابن ذل الهوى من عزة الحنق

وسديد الملك هذا هو الذي رد الروم والافرنج والاتراك والاعراب عن شيزر ومنعها .

(كيف نجا علي بن منقذ من القتل) — وكان سديد الملك قوي الفطنة تنقل عنه حكاية عجيبة رأيت ان اوردها هنا لما فيها من النكتة والفائدة . وذلك انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه و يستعطفه و يستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له الشر وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكتاب كالامر الى ان بلغ — ان شاء الله تعالى — فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على بن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك اني ارى في الكتاب مالا ترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال و كتب في جملة الكتاب « انا الخادم المقر بالانعام » و كسر الهمزة من (انا) وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على الملك وقد اجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فاجاب سديد الملك بقوله تعالى (إنا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها) ووقع نظير هذه الحكاية للخفاجي الشاعر المشهور مع محمود بن صالح صاحب حلب ، ولعمري ان هذه الحكاية لتدل على فرط ذكاء الكاتب ووفائه لصديقه و يقظة سديد الملك وشدة حذقه وفهمه وما بلغ ما بلغه من المجد والشرف الجم الا بما أوتيه من علم وما انطوى عليه برده من قلب واع وفكرة وقادة . وأسامة ياسادة موضوع محاضرتي

هو حفيد سديد الملك ومرشد ابو أسامة شاعر من فحول الشعراء ، فأسامة شاعر ابن شاعر ابن شاعر وابو شاعر ، وما ظنكم بمن تناسل من شعراء بواسل فهو شاعر باسل .

(آل منقذ محسدون) — حين تملك سديد الملك شيزر حسده شرف الدولة على ذلك فسار عسكر حلب مع مؤيد الدولة علي بن قريش الى شيزر ونزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجة سنة اربع وسبعين واربعمائة بعد مراسلات جرت فلم يجب بن منقذ الى ما التمس منه وكان علي بن قريش قد اخذ في طريقه حصناً لابن منقذ يقال له (اسفونا) غربي كفرطاب وكان ابن منقذ قد تأهب للحصار وحمل من الجسر الى شيزر ما يكفي لمن فيه مدة طويلة من سائر الاشياء . وحصره علي بن قريش مدة الى ان وصل شرف الدولة بنفسه فنزل على شيزر يوم الاربعاء سلخ المحرم من سنة خمس وسبعين واربعمائة ثم رحل عنها الى حمص يوم السبت ثالث صفر واقام عسكره على شيزر . فتطارح ابن منقذ عليه وسير ابنه ابا العساكر وامرأته منصورة بنت المطوع واخته رفيعة الى حمص فدخلوا عليه وحملوا اليه مالاً فأنفذ الى عسكره ورحله عن شيزر في الثامن والعشرين من صفر من السنة المذكورة .

(آل منقذ المشهورون) — ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الامير سديد الدولة ابي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره . كان رجلاً نبيل القدر ، سائر الذكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته . وكان في جماعة كثيرة من اهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب اليهم . وكانوا يترددون الى حماة وحلب وتلك النواحي . وكانت لهم بها الدور النفيسة والاملاك المثمنة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر . وكان ملوك الشام يكرمونهم و يجلون اقدارهم . وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم . ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب . وقد رثاه بن سنان الخفاجي الشاعر بقصيدة رائية . ورثاه القاضي ابو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن ابي حصين بقصيدة من فائق الشعر وغرره وأنشدها لولده ابي الحسن علي المذكور مطلعها :

الا كل حي مقصدات مقاتله وآجل مايخشى من الدهر عاجله

وتوفي اخوه ابو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة ٤٣٩ ورثاه بن سنان الخفاجي الحلبي ايضاً بقصيدة مطلعها :

حيتك السماء بامطارها وكيف تضن على جارها

(سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني) ولد بطرابلس سنة اربع وستين واربعمائة وسمع من الفقيه ابي السمح ابراهيم الحنفي صحيح البخاري بشيزر وولي إمرتها بعد اخيه نصر بن علي وهو شاعر مشهور وله من قصيدة في الامير مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ مطلعها :

اين مضاء الصارم الباتر من لحظات الفاتن الفاتر

توفي يوم السبت للنصف من شوال سنة ٥١٣ هجرية .

(اسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الفضل بن ابي العساكر ابن ابي الحسن بن ابي المتوج الملقب شرف الدولة الكناني الشيزري) امير ، شاعر ، فاضل من اهل شيزر ولد ونشأ بها . ثم بعد ان خربتها الزلزلة انتقل الى دمشق واستوطنها الى ان مات بها . روى عنه شيئاً من شعره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر ولم يفرد له ترجمة في تاريخ دمشق . وروى عنه مرهف بن المحدث الشيزري وابو الفتح عثمان بن عيسى ابن منصور البلطي النحوي وتوفي سنة ٥٦١ بدمشق .

(اسماعيل بن المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الطاهر بن ابي الميمون الكناني الشيزري الاصل المصري المولد والمنشأ) احد امراء الدولتين العادلية والكاملية سمع بالاسكندرية ابا طاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي الاصبهاني وبمصر من والده . وكان اميراً كاملاً ، وكبيراً فاضلاً ، ندبه السلطان الملك الكامل رحمه الله رسولاً الى المغرب فأبان عن نهضة وكفاية وحسن سفارة لما كان جامعاً له من حسن صورة وسيرة وعذوبة لفظ وسداد عبارة . وولاه ولاية مدينة حران . وجمع له بين الولاية والامارة . وكان له شعر وادب كثير . ولد في العشرين من رجب سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة . وتوفي في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة بحران ودفن بظاهرها .

(المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الامير سيف الدولة ابو الميمون

الكناني الشيزري) ولد بشيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وسمع بمكة قليلاً من ابي حفص الميانشي . وقد ولي امر الدواوين بمصر مدة وله شعر يسير . وكان مع شمس الدولة نورانشاه اخي السلطان لما ملك اليمن . فناب في مدينة زبيد عنه ثم رجع معه واستناب أخاه حطان . فلما مات شمس الدولة حبسه السلطان لانه بلغه انه قتل باليمن جماعة واخذ أموالهم فصادره وضيق عليه واخذ منه مائة الف دينار سنة ٥٧٧ . ولما توجه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن تحصن الامير حطان في قلعة وعصي فخدعه سيف الاسلام حتى نزل اليه فاستصفى امواله وسجنه ثم اعدمه . توفي سيف الدولة في رمضان بالقاهرة .

(عبدالرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن منقذ) الأمير الكبير شمس الدولة ابو الحرث ابن الامير نجم الدولة الكناني الشيزري ولد بشيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وهو الذي وجهه صلاح الدين برسالة الى صاحب المغرب وكان اديباً شاعراً محسناً مترسلا من بيت الشجاعة والامرة .

(مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) الأمير العالم مقدم الامراء جمال الرؤساء عضد الدولة ابو الفوارس بن الامير الكبير مؤيد الدولة ابي المظفر الكناني الكلبي الشيزري احد الامراء المصريين ولد بشيزر في سنة ٥٢٠ وسمع من ابيه روى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي وكان مسناً معمّراً شاعراً كوالده مليح المحاضرة جمع من الكتب شيئاً كثيراً . وكان جليس صلاح الدين الايوبي ونديمه يروي له شعر ابيه أسامة فيطرب لسماعه ، توفي رحمه الله في ثاني صفر .

(عود الى ذكر أسامة) — جعلت موضوع محاضرتي أسامة لانه أعرق اهل بيته في الحسب واعرفهم بالأدب كما قال ابن العماد .

وكان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية كما روى ذلك عنه ابن السمعاني . يقول ابن العماد : أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ، يلوح في كلامه أمارة الامارة ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة . تلقى العلوم عن والده مرشد في شيزر وسمع من علي بن سالم السنبسي وسكن حماة مدة يدرس على اساتيذها واعلامها . فهو شيزري حموي وكانت لهم مساكن وعقارات بحماة تغل اموالاً كثيرة . وكان يحب آل البيت ويكرمهم . حتى لقد اتهمه بعضهم في الشيعة .

(شجاعته ووقائعه وتمنيه القتل كما تمناه قطري بن الفجاءة) — باشر الحروب وهو ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغ مدى التسعين ، قال رحمه الله : حضرت من المصافّات والوقعات مهول اخطارها ، واصطليت من سعير نارها ، و باشرت الحرب وانا ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين ، وصرت من الخوالف · خدين المنزل وعن الحروب بمعزل ، لا اعدّ لمهمّ ولا ادعى لدفاع ملمّ ، بعدما كنت اول من تثنى عليه الخناصر ، واكبر العُدد لدفع الكبائر ، اول من يتقدم السنجقية عند حملة الاصحاب ، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب ·

وهو كسائر الابطال في الاسلام كان يتمنى ان يقتل في سبيل الله ، ويأسف جد الأسف على بقائه حياً الى ان بلغ ما بلغه من العمر ، وقد استقرأت ذلك من شعره حيث يقول :

كم قد شهدت من الحروب فليتني ... في بعضها من قبل نكسي أقتل
فالقتل احسن بالفتى من قبل ان ... يفنى ويبليه الزمان وأجمل
وابيك ما احجمت عن خوض الردى ... في الحرب يشهد لي بذلك المُنصل
لكن قضاء الله أخرني الى ... أجلي الموقت لي فما ذا أفعل

(وقائعه الكبار) — منها وقعة كانت بينه وبين الاسماعيلية في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسين وخمسمائة ·

ومنها وقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة ·

ومنها مصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن أقسنقر وبين قراجا صاحب فرس في سنة ست وعشرين ·

ومصاف بين المسترشد بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين ·

ومصاف بين اتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين ·

ومصاف على رفنية بين اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين ·

ومصاف على قنسرين بين اتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنين وثلاثين ·

ومنها وقعة بين المصريين وبين رضوان الولخشي سنة اثنين واربعين ·

ووقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة اربع واربعين ·

ووقعة كانت بين الملك العادل بن السلار وبين اصحاب بن مصال في تلك السنة ·
ووقعة ايضاً بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة المذكورة بدلاص ·
وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين ·
وفتنة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع واربعين ·
وفتنة المصر بين وعباس بن ابي الفتوح في السنة نفسها ·
وفتنة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند
ووقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج في السنة المذكورة ·
سيره نور الدين محمود بن زنكي المشهور بمحاربة الصليبيين الى قتال الفرنج على عسقلان فسار في ثمانمائة وستين فارساً في وسط بلاد الفرنج وأقام بمدينة عسقلان اربعة أشهر ينازل الفرنج · وهاجم مدينة يبنى · وحاصر مع نورالدين قلعة حارم ·

« البقية في الآتي »

العلامة محمد ابو شنب (١)

العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد ابي شنب وُلد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة ١٢٨٦ هـ — ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٦٩ م بقرية يقال لها لمدية (والآن المدية) في جنوب الجزائر وتبعد عنها تسعين كيلو متراً قرأ شيئاً قليلاً جداً من القرآن ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة لمدية الثانوية (الثانوية) ثم انتقل الى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام خرج منها مجازاً باجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعاطي اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافية وأدب ، وشيء من التوحيد والفقه أُجيز باجازة مدرسة الآداب العليا — تقلد خطة مدرس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدرسة قسنطينة اول محرم سنة ١٣١٦ هـ — ٢٢ مايو سنة ١٨٩٨ م ثم انتقل الى مدرسة الجزائر اول محرم سنة ١٣١٩ هـ — ٢٠ ابريل سنة ١٩٠١ . وبعد اربع عشرة سنة ارتقى الى القسم الاعلى من هذه المدرسة وأقرأ النحو والادب والمعاني والبيان والمنطق وفي آخر السنة (١٩٢٢م) أُجيز باجازة دكتور في القسم الادبي من كلية الآداب بالجزائر بعد ان قدم اليها تأليفاً في حياة ابي دلامة شاعر بني العباس وتأليفاً آخر في الألفاظ التركية والفارسية الباقية في لغة الوطن الجزائري وقد نوقش فيها أمام الجمهور. وفي اول يناير ١٩٢٤ انتقل مدرساً الى كلية الآداب بالجزائر وما زال بها الى الآن .

وللعبد الحقير إلمام باللغة الطليانية والالمانية والاسبانية والفارسية ومعرفة ضعيفة غاية الضعف بالتركية واللاتينية ، وألّف باللغة العربية تحفة الأدب في ميزان اشعار العرب طبعت اولاً بالجزائر سنة ١٩٠٦ وثانياً سنة ١٩٢٨ ورسالة في المنطق غير مطبوعة . وشرح نظم مثلثات قطرب طبع بالجزائر سنة ١٩٠٧ .

ومن التآليف باللغة الفرنسية : مجموع أمثال العوام بارض الجزائر والمغرب في ثلاثة

(١) كان المرحوم الاستاذ محمد ابو شنب احد اعضاء مجمعنا العلمي في الجزائر ارسل الينا ترجمته هذه بقلمه لنشرها في المجلة فلم يتح لنا نشرها الا بعد وفاته رحمه الله .

أجزاء مطبوع بباريس (١٩٠٥—١٩٠٧) . واصل كلمة شاشية طبع بالجزائر (١٩٠٧). إجازة سيدي عبد القادر الفاسي طبع بباريس (١٩٠٧) .

اما الكتب التي نشرها فهي :

البستان في علماء تلمسان لابن مريم طبع بالجزائر (١٩٠٨) . رحلة الوثيلاني طبع بالجزائر (١٩٠٨) . الممتع في شرح المقنع لابي سعيد السومي طبع بالجزائر (١٩٠٨) . تحبير الموشين للفيروزابادي طبع بالجزائر (١٩٠٩) . فهرسة كتب الجامع الاعظم بالجزائر (١٩٠٩) . عنوان الدراية في علماء بجاية طبع بالجزائر (١٩١٠) . تدميث التذكير في التأنيث والتذكير للجعبري طبع في استراسبورغ (١٩١١) . اصل كلمة تلميس (بالفرنسية) طبع بالجزائر (١٩١٢) . طبقات علماء افريقية لابي العرب والخشني مع ترجمة افرنسية جزآن طبع بباريس (١٩١٥—١٩٢٠) . تكملة ابن الابار (بالاشتراك مع بل) طبع بالجزائر (١٩٢١) . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (١٩٢١) . فهرسة مطبوعات فاس (بالاشتراك مع ليفي) طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ابودلامة حياته وشعره بالفرنسية طبع بالجزائر (١٩٢٣) . الالفاظ التركية والفارسية في اللغة الجزائرية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ديوان علقمة الفحل مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٥) . ديوان عروة بن الورد مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٦) . كتاب الجمل للزجاجي مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٧) .

***

(المجمع) : وبعد وفاة المترجم ارسل الينا زميله الاستاذ (ماسيه) احد اعضاء مجمعنا بالجزائر ترجمة له أخرى وقد ذكر في فاتحتها ما ذكره المرحوم في ترجمة نفسه ثم عقب عليها بما يلي مترجماً عن الافرنسية قال :

قال الاستاذ جورج مارسه احد اساتيذ جامعة الجزائر في حق ابن ابي شنب :

ومن الواجب ان نشير اجمالا الى جميع اعماله حتى يتجلى لنا نشاطه العلمي فقد كنا نرجع اليه ونستضيء بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فانه كان يجمع الى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب .

مشى في جنازة ابن ابي شنب النصارى والمسلمون يؤلف بينهم الامي والحزن على

النقيد . وقد ابّنه على ضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمن على محضر من جمهور عظيم الاستاذ مارتينو مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر وصديق النقيد وقال في جملة ماقال : ان المنهج الذي نهجه ابن ابي شنب يدل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع ان يعمله العقل والارادة والعمل في الارتفاع من اصغر المناصب الى اعظمها واني اود ان يوقر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها ... ان السيد ابن ابي شنب كان صورة الاديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الاساليب الاوربية في العمل من دون ان يفقد شيئاً من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل استاذه (باسه) فقد تعلم اللاتينية والانكليزية والاسبانيولية والالمانية والفارسية والتركية ، وعرف لوازم النقد العلمي وقد توجهت عليه الاعترافات بقدره . ففي سنة ١٩٢٠ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً في جملة اعضائه وفي سنة ١٩٢٢ قلدته حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف . . وكان ذا صفات تغرس له المحبة في الصدور وهي كرم النفس وميزة العقل والعفة في الافصاح عن العواطف والاستقامة التامة ... فاذا دنا منه الانسان فانه لا يكاد ينساه ، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة ، وكان له ميل الى المساعدة لا ينضب معينه ... اني اظن انه من اليوم الى سنين قليلة سينهض عالم من فرنسة او من الجزائر ويكتب تاريخ تآلف الفرنسيين والمسلمين في افريقية ، فابن ابي شنب سيكون رمز هذا التآلف وحينئذ يمكننا أن نقول احسن مما قلته انا اليوم، اذ من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل معاً تباعدت أقطارهم ان يتآلفوا ويتعارفوا ويتحابوا اهـ .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٧ -

الهَدالة . — كثيراً ما يشاهد ارباب الزراعة على شجر اللوز والتفاح والجوز والصفصاف وغيرها نباتاً طفيلياً له ورق غير ورق الاشجار المذكورة . ويكون للاغصان التي يعيش عليها هذا النبات الطفيلي منظر غريب ذلك انك اذا قطعت غصناً من اللوز مثلاً ترى له ورقاً هو ورق اللوز نفسه و بجانبه ورق لايشبه الاول البتة . ويكون كلا النوعين من الورق ريانا ومتصلاً بالغصن اتصالاً طبيعياً حتى ان الذي ليس له خبرة بالنبات المذكور يعد وجود نوعين من الورق على غصن واحد من خوارق الطبيعة . فهذا النبات الذي يعيش على أغصان كثير من الاشجار يسمى بالفرنسية (Gui) و باللاتينية (Viscum album) وهو شائع في اوربة ويستعمله الاوربيون في أعيادهم وله اوراق لحمية دائمة متقابلة خضراء الى صفرة ، وأزهار على نوعين ذكرية وأنثوية وكلتا الزهرتين على نبات واحد ، وثمار لبية بعض ثخان فيها مادة لزجة وضمنها بزور خضر . وليس لهذا النبات جذور فاذا حملت الطيور او الرياح ثمرة من ثماره والقتها على غصن من الأشجار نبتت بزرتها و يخرج منها سويق يذهب صعداً وعضو يقوم مقام الجذير فيلتصق بالغصن ويمتد ويصير زوائد تدخل فيه وتمتص عناصره الغذائية . وبعد ذلك تنمو الساق وتتكون الأوراق فالأزهار وجميع غذائها من سغ الشجرة المصابة بهذا النبات الطفيلي .

يسمي بعض الفلاحين النبات المذكور (الدبق) وهو الاصطلاح العامي الذي اطلقته عليه في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » لعدم وقوفي اثناء تأليف ذاك الكتاب على لفظة فصيحة تصلح لأن تكون اسماً له . ويسميه فلاحو إقليم الزبداني (الحطام) لانه يكثر على شجر اللوز ولاسيما في قرى بلودان وبقين والجرجانية . وهذا الاسم هو عامي ايضاً . وأطلق عليه الاب بلو في معجمه الفرنسي العربي لفظ (شجرة الدبق والعنم) وكلا الاسمين غير صحيح . وسماه محمد النجاري بك في معجمه الفرنسي والعربي (الدبق) ووضع بجانب هذه اللفظة (ابن البيطار) بين هلالين . فراجعت مفردات ابن البيطار فلم اجد فيها ما يدل على ان الدبق هو ال (Gui) .

م : ٨

واخيراً عثرت على لفظة الهَدالة في الامهات فاذا بها تعرّف بما يلي :

شجرة تنبت في السمر وليست منه وتنبت في اللوز والرمان وفي كل شجرة وثمرتها بيضاء·

فهذا الوصف هو وصف الـ (Gui) بعينه مع شيء من المبالغة شأن الاقدمين في تحليلاتهم لانه لا يمكن ان تنبت الهدالة او الـ(Gui) في كل شجرة بل يكون لكل طفيلي مثلها أشجار معلومة تصاب به ·

وانا لم أسمع احداً يطلق لفظـة الهدالة على النبات المذكور او على غيره · وعلى كل اذا كان لا يوجد احد عليم بهذه اللفظة وبمدلولها على وجه الصحة فهي أصلح لفظة يجب استعمالها للدلالة على النبات الذي نبحث عنه ·

* * *

ومن الثمار الجافة في علم النبات ثمرة تسمى بالفرنسية (Capsule) ترجمها بعض المؤلفين بلفظة (علبة) واقتبستها منهم في كتبي · وقد وجدت بعدئذ في المخصص الجملة الآتية (··· وكأن سنابله جراء الخشخاش ···) · فقلت : ان ثمرة الخشخاش نباتياً هي كبسول فلماذا لا نستعمل لها الجرو والجراء بدلاً من العلبة والعلب كما نستعمل السنفة للثمرة المسماة (Gousse) او (Légume) وهي ثمرة نباتات الفصيلة القرنية او الفصيلة القطانية على رأي العالم الشهير الطبيب امين المعلوف · والسنفة ترجع على لفظة القرن التي لها عشرات من المعاني ·

وذكر الطبيب المشار اليه في بحثه القيم عن اصطلاحات النبات (مجلة المجمع ج٨ص ٣٣١) ان اوراق الشجر التي لا تسقط في الشتاء تسمى دائمة (Feuilles persistantes) · قلت ولهذا النوع من الاوراق في الامهات لفظة هي الهَدَب فان من جملة معانيها « مادام من ورق الشجر كالسرو » ·

واذا نظرت الى سنابل الشعير وجدتها انواعاً : فمنها التي يكون لها ستة صفوف من الحب اي تكون فيها جميع ازهار السنيبلات ملقحة (كالشعير الرومي) · ومنها التي يكون لها اربعة صفوف اي تبدو السنبلة ذات اربع زوايا لان صفين من الحب يكونان قريبين من محور السنبلة فلا يظهر عليها الا اربعة خطوط · ثم هنالك الشعير ذو الصفين (كالشعير العربي) وهو الذي ليس في سنبله سوى صفين من الحب ·

فلفظة صف هنا يقابلها بالفرنسية لفظة (Rang) والفرنساويون يقولون (Orge à six rangs) و (Orge à deux rangs) للشعير ذي الصفوف الستة والشعير ذي الصفين . وهما باللاتينية (Hordeum hexasticum) و (Hordeum distichum) . وقد وجدت المخصص يستعمل لفظة حرف بدلاً من صف و يستدل على ذلك من الجملة الآتية في وصف احد أصناف الشعير : (... ولسنبله حروف عدة ...) ولفظة حرف ترجح على لفظة صف في هذا المقام ولذلك اذا نعتنا سنبلة الشعير الرومي فلنقل انها ذات ستة حروف كما نقول ان سنبلة الشعير العربي هي ذات حرفين .

وللمعزة في الغوطة ولا سيما اذا كانت من العرق البلدي قطعتان تنبتان في اسفل العنق يبلغ طول كل منهما خمسة سنتيمترات الى عشرة والمسافة بينهما ثلاثة سنتيمترات الى اربعة . فكل من هاتين الهنتين تسمى بالعربية زَلَمة وهي بالفرنسية (Pendeloque) .

والأدوات التي يحصد الزرع بها كثيرة منها المنجل المعروف وهو بالفرنسية (Faucille) ومنها أداة تسمى بالفرنسية (Faux) لها نصل ذو عقب وعصا طويلة ذات قبضة او قبضتين . والأكار يستعملها دون ان يحني ظهره او يقعد القرفصاء كما هي الحال في استعمال المنجل . وقد كنت سميتها الحصادة في الباكورة من كتبي وهو كتاب الزراعة العملية الحديثة . وأرى الآن ان يطلق عليها لفظة المقضب او المقضاب وان كان استعملها بعض اصحاب المعاجم الافرنجية العربية للأداة التي تقطع بها أغصان الشجر والتي تدعى بالفرنسية (Serpette) . فهذه الأداة الأخيرة يجب تسميتها مِشذباً من شذب الشجر اي قطع ماعليها من الأغصان .

وجاء في الجزء الاول من كتاب الزراعة المصرية لفظة السيف للأداة المسماة (Faux) ولا اظن هذه اللفظة تساوي المقضب او المقضاب .

اما آلة الحصاد التي تجرها الخيل فهي على أنواع فالمحصد العادي اوالمحش الذي يستعمل في قطع الكلاء هو بالفرنسية (Faucheuse) والمحصد الجامع الذي يحصد الحنطة و يجمع الغبوط و يلقيها على الأرض هو (Moissonneuse javeleuse) . فاذا ربطها قبل القائها فهو المحصد الرابط و بالفرنسية (Moissonneuse lieuse) .

وهنالك آلة تجمع الأقاط بعد الحصاد تسمى (Rateau) وقد كنت أسميتها المِلَمّ .

« للبحث صلة » مصطفى الشهابي

آراء وافكار

رسالة الكرم

— ٢ —

كنا نشرنا في (العدد ٥ من المجلد ٩) من مجلة المجمع العلمي العربي مقدمة لرسالة الكرم ووعدنا القراء الكرام بكلمة نقدمها على الرسالة · في النجم والشجر والجنبة اتماماً للفائدة ، وقد عرض لنا من عوائق الدهر ما أخرنا عن نشرها الى الآن فرأينا ان نقدم تلك الكلمة الموجزة ثم نتبعها بالرسالة وفاء بما وعدنا ·

« الكلمة »

قال ائمة اللغة : النجم من النبات مالا يقوم على ساق · وفي اللسان والنجم من النبات كل ما نبت على وجه الارض ونجم على غير ساق وتسطح فلم ينهض · ونجم النبات وغيره طلع ·

والشَجَر كل ماله ساق كالشَجَر · وارض شَجِرة وشَجِيرة وشَجْراء كثيرة الشجر ، والمَشجر منبت الشجر وموضعها والمشجَرة ارض تنبت الشجر الكثير · وواد مُشجر واشجر وشجير كثير الشجر وهذه الارض اشجر من هذه · أكثر شجراً · وشَجَر الشجرة والنبات شَجْراً رفع ما تدلى من اغصانها ·

وقال الخطيب : جميع ما ينبت نجم وشجر وجنبة [1] فالنجم ما باد الشتاء اصله وفرعه كالبقول وانواع من النبت كثيرة · والشجر ما ثبت على ساقه ولم يبد الشتاء اصله ولا فرعه كالجوز واللوز والمشمش ونحوها · والجنبة ما جانب هذين فلم يبد الشتاء اصله كما يبيد اصل البقل ولا يبقى فروعه كما يبقى فروع الشجر ولكن باد فرعه وبقي اصله ، والاصل الباقي يسمى الجِذْن وفيه يعشش الحمر والقنبر وذلك كالحرشف والتنوم والمكر والصليان ·

---

(١) ضبطت في مبادئ اللغة مرة بضم الجيم وأخرى بفتحها · وهو الموافق لما في اللسان وهو الصحيح ·

وفي اللسان الجنبة عامة الشجر الذي يتربل في الصيف · وقال ابو حنيفة الجنبة ما كان في نبتته بين البقل والشجر وهما [١] مما يبقى اصله في الشتاء و يبيد فرعه · وقال الازهري : الجنبة اسم لنبوت كثيرة كلها عروة [٢] سميت جنبة لانها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا ارومة لها في الارض فمن الجنبة النَّصِيّ والصلِّيان والحماط والمكر والدهماء صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول ، قال وهذا كله مسموع عن العرب · وقيل هو كل نبت يورق في الصيف من غير مطر ·

البقل ما نبت في بزره لا في ارومة ثابتة · وقال الراغب : البقل ما لا ينبت اصله وفرعه في الشتاء · وقال ابن سيده : البقل من النبات ماليس بشجر دِقّ ولا جِلّ وحقيقة رسمه انه ما لم تبق له اروِمة على الشتاء بعد ما يرعى ·

والفرق ما بين البقل ودق الشجر ان البقل اذا رعي لم يبق له ساق والشجر تبقى له سوق وان دقت ·

ويقال : ابقل الشجر اذا دنت ايام الربيع وجرى الماء فيها فرأيت في اعراضها مثل اظفار الطير واعين الجراد قبل ان يستبين ورقه فيقال حينئذ صار بقلة واحدة · واسم ذلك الشيء الباقل ويقال كل ما اخضرت له الارض فهو بقل وارض بَقِلة و بَقِيلة ومَبْقَلة ومبقُلة وبقّالة · ذات بقل · وتبقلت الماشية وابتقلت رعت البقل · وتبقل الرجل خرج يطلب البقل ·

والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات بدّال والعامة تقول بقّال وقال السمعاني هو من يبيع اليابس من الفاكهة · والسُطّاح من النبت ما افترش فانبسط على وجه الارض ولم يسم كالقثاء واليقطين · والعروة من النبات ما بقي له خضرة في الشتاء ·

والعروة من دق الشجر ماله اصل باق في الارض مثل العرفج واجناس الخلة والحمض

---

(١) هكذا جاءت في لسان العرب ونقلها في التاج وهي مخالفة لما سيأتي في معنى البقل · ولعلها وهي اي الجنبة مما يبقى اصله في الشتاء الخ · وهو الموافق لما تقدم في تفسيرها ·

(٢) في التاج كلها عروق وما هنا اصح ·

فاذا امحل الناس عصمت العروة الماشية فتبلغت بها · والعروة من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء مثل الاراك والسدر الذي يعول عليه الناس اذا انقطع الكلأ · وقيل العروة الشيء من الشجر الذي لا يزال باقياً في الارض ولا يذهب ·

الاصل اسفل كل شيء · واصُل وتأصّل صارَ ذا اصل واستأصلت الشجرة ثبت اصلها واستأصلها قلعها من اصلها ·

الجِمْثِنة ارومة كل شجرة تبقى على الشتاء والجمع جِمْثن · وفي اللسان الجمثن ارومة الشجر بما عليها من الاغصان اذا قطعت · وقال الازهري : كل شجرة تبقى ارومتها في الشتاء من عظام الشجر وصغارها فلها جمثن في الارض وبعد ما ينزع فهو جمثن حتى يقال لاصول الشوك جمثن ·

ويقال لما في جوف الارض من اصل الشجرة أُرومة الأَرومة بالفتح ويضم والجمع أُروم ·

الجَذاة اصول الشجر العظام العادية التي بلي اعلاها وبقي اسفلها جمعها جِذاء قال تميم بن مقبل :

باتت حواطب ليلى يقتبسن لها   جزل الجذا غير خوار ولا دَعِر

الجِنث اصل الشجرة وهو العرق المستقيم ارومته في الارض ويقال بل هو من ساق الشجرة ما كان فوق العروق ·

العِرْقاة بالكسر ويفتح والعرقة بالكسر الاصل الذي يذهب في الارض سفلاً وتشعب منه العروق ، وفي القاموس وقولهم استأصل الله عرقاتهم ان فتحت اوله فتحت آخره وهو الاكثر ان كسرته كسرته على انه جمع عرقة بالكسر ·

وعروق الشجرة وغيرها اطناب تتشعب منها واحدها عِرق يقال اعرق الشجر والنبات وعرّق اذا امتدت عروقه في الارض ·

الجِذْل اصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفروع جمعه اجذال وجِذال وجُذول وجذولة القَصَرة والعجز من الشجرة · اصلها الذي يلي الارض ·

ساق الشجرة جذعها وقيل هو ما بين اصلها الى مشعب افنانها جمعه سوق وأسؤق وسووق وسؤوق · وشجرة سَهْوَق طويلة الساق ، والسهوق الريان من كل شيء قبل النماء وكل شيء تر وارتوى من سوق الشجر والطويل من الرجال ويستعمل في غيرهم ·

الغصن ما تشعب من ساق الشجرة والغُصنة الشعبة الصغيرة منه جمعها غُصَن .

الشُنْذُب والشنغوب اعلى اغصان الشجر كالشُنْذُب والشُنغوب و يقال للغصن الناعم الرطب شنغوب .

الخُصل اطراف الشجر المتدلية ، وكل غصن من اغصان الشجرة خُصلة والخَصلة والخُصْلة والخَصَلة عود فيه شوك وقيل هو طرف القضيب الرطب اللين . وخَصَله خَصْلاً قطعه . وخصّل الشجر قطع اغصانه وشذبه .

الاختلاء جذب الغصن حتى ينزع من اصله و يقال امتسخ العود من الشجرة اذا سله منها فقطعه .

و يقال لما بقي من اصول الاغصان في الشجر بعد ما يقطع . القُطُمات الواحدة قُطْمة وهي الأُبن وفي اللسان و قَطمات الشجر أُبَنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قَطمة . وفي القاموس وقطمات الشجر كهُمُزة و بالتحريك وبضمتين اطراف ابنها التي تخرج منها اذا قطعت .

فاذا اخذت اغصان الشجرة كلها وورقها فهي السليبَ وقد سلبت الشجرة اذا فعل بها ذلك وشجر سُلُب لا ورق عليه ونخل سُلب لا حمل عليه وهو جمع سليب .

الشماليل ما تفرق من شعب الاغصان في رؤوسها كشماريخ العذق قال العجاج :

وقد تردى من اراط ملحفا منهـا شماليل وما تلقفا

الهَدَب اغصان الأرطى ونحوه مما لا ورق له واحدته هدبة والهدب ما دام من ورق الشجر ولم يكن له عير .

والهدب من النبات ما ليس له ورق الا انه يقوم مقام الورق او كل ورق ليس له عرض كورق الاثل والسرو والارطى والطرفاء . كالهُدّاب واحدته هُدّابة وهدب الشجر كفرح واهدب طالت اغصانه وتدلت من حواليه فهي هدباء .

العَبَل الهدب وهو كل ورق مفتول غيرمنبسط كورق الارطى والطرفاء واشباه ذلك . وقيل هو مثل الورق وليس بورق . وأعبل الارطى ونحوه اذا طلع ورقه واعبل ايضاً اذا سقط ورقه .

والقَذَل ما ليس بورق الا انه يقوم مقام الورق . وقيل ما لم ينبسط من النبـات

ولكن نفتل فكان كالهدب وذلك كهدب الاثل والطرفاء · و يقال اربش الشجر ارباشاً وارمش ارماشاً اذا اورق وقيل اذا اخرج ثمره كأنه حمص ·

النَجَب لحاء الشجر اوقشر عروقها اوقشر ماصلب منها ولا يقال لما لان من قشور الاغصان نجب ولا يقال قشر العروق ولكن يقال نجب العروق والواحدة نجبة · والنَجْب مصدر نجب الشجرة ينجُبُها اذا اخذ قشرة ساقها ونجبها تنجيباً اخذ قشرها ·

والقِرْف لحاء الشجر واحدته قِرْفة وجمعه قروف والقُرافة كالقرف · وكل قشر قرف ومنه قرف الرمانة · وقرف الخبز الذي يقشر و يبقى في التنور والقرفة الطائفة منه · وقرف الشجرة يقرفها قرفاً نحت قرفها وقرف القرحة فتقرفت اي قشرها وذلك اذا يبست ·

والقِلْف والقلافة القشر وقلف الشجرة نزع عنها لحاءها ·

الشَكير لحاء الشجر والجمع شُكُر قال هوذة بن عوف العامري :

على كل خوار العنان كأنها عصا ارزن قد طار عنها شكيرها

القِشْر قشر كل شيءٍ خلقة او عرضاً وقَشَر قشراً وقشَّره تقشيراً سحا عنه لحاءه او جلده والقُشارة ما تقشره عن شجرة من شيءٍ رقيق · ولباس الرجل قشره وكل ملبوس قِشْر · وثمر قَشِر وقشير كثير القشر · وقشرة الحبة وقُشرتها جلدها اذا مص ماؤها وبقيت هي · وسحاة كل شيءٍ قشره والجمع سحاء ·

ويقال انسغت الشجرة اذا نبتت بعد القطع · والنُسُغ ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت ·

و يقال للندي الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها طَلّ والأُنبوش والانبوشة ما قلعته مع اصله من صغار الشجر · وفي اللسان الشجرة تقتلعها بعروقها واصولها وكذلك هو من النبات · وانابيش العنصل اصوله تحت الارض واحدها انبوشة ·

الرَبْل ضروب من الشجر اذا برد الزمان عليها وادبر الصيف تفطرت بورق اخضر من غير مطر يقال منه تربلت الارض والربل ورق يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر والجمع ربول · وقد تربل الشجر وخرجوا يتربلون يرعون الربل

وتربلت الارض اخضرت بعد اليبس عند اقبال الخريف والربل ما تربل من النبات في القيظ وخرج من تحت اليبيس منه نبات اخضر ·

ويقال صَمَلَ الشجر اذا عطش تخشن و يبس فهو صميل وصامل · قالت زينب الطثرية :

ترى جازر به يرعدان وناره   عليها عداميل الهشيم وصامله

والعداميل جمع عدمول وهو الشجر القديم ·

المستباهة الشجرة يقعرها السيل فيحيها عن منبتها كأنه مأخوذ من السنباء وهو الذي يخرج من ارض الى اخرى ·

القادح أكال يقع في الشجر والاسنان · والقادحة الدودة التي تأكل الشجر والسن · وقد قدح في السن والشجرة وقدح الدود في الاسنان والشجر قَدْحاً وهو تأكل يقع فيه ·

البَعْل كل شجر او زرع لا يسقى وقيل البعل والعِذْي واحد وهو ما سقته السماء · والسقي الذي لا يعيش بالاعذاء انما يسقي يقال زرع سقيٌ ونخل سقيٌ اي يسقى بالماء و يقال زرع مَسْقَوي اذا كان يسقى ومظمئي اذ كان عِذْياً ·

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

النبتة الطروب

قرأت المقال المعنون (كتاب نزهة العيون) لزميلنا العلامة الاستاذ الشيخ كامل الغزي فرأيته يعد مما تستبعد العقول وقوعه ما حكاه له القاضي فخر الدين ابراهيم بن علي دبوقا من انه رأى في بعض قرى بعلبك نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه وان بعض الظرفاء غنى النبات ببيتين من الشعر فاهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى تناثرت اوراقه وذبلت طاقاته ، وان استبعاده الرواية على وجهها المذكور بدون حملها على المبالغة هو في محله ، ولكن حكاية هذا النبات معروفة في هذه الديار واليك البيان :

هذا النبات يعرف بالعاشق وتسميه العامة عَوَرنين يشبه زهره زهر المنثور الاصفر

وهو بري وتذكر له العامة هذه الخاصة وهي انه اذا أنشد بصوت حزين شيئاً من النغم تساقط زهره ، وقد تذاكرنا يوماً ونحن أمام نبتة منه ايام الربيع فذكر لنا احد اصحابنا صفة هذا النبات وتقدم اليهـا ليرينـا صحة زعمه فمسكها بيده وقال أهزُّها اولاً لتروا ان زهرها ثابت عليها قبل الغناء ، وبعد ان هزّها بيده فلم يسقط منها شيء اخذ في الغناء واخذ الزهر يتساقط ، فقلت حسبك هذه نبتة ثانية غنها ما شئت وباي نغم شئت ولا تمسها قبل الغناء كما فعلت بالاولى ، فغنى واجتهد وحزن كثيراً ولم يستفد شيئاً اذ بقي زهرها ثابتاً عليها ، فقلت له تأخر الآن عنها وتقدمت اليها فهززتها بيدي ورجعت عنها ونحن ساكتون ننظر اليها فاذا زهرها يتناثر بعد نصف دقيقة او دقيقة من هزها وظهر لصاحبنا ان الخاصة للهز لا للغناء .

احمد رضا

عضو المجمع العلمي

استدراك على مقالة

« كتاب نزهة العيون »

هي المقالة التي نشرت في العدد الاخير من مجلة المجمع ج ١١ و ١٢ ص ٦٨١ من المجلد التاسع لسنة ١٩٢٩

كنت قبل ان اضع تلك المقالة — تقدمت الى العلامة احمد تيمور باشا برسالة استمحت فيهـا من معين علمه بيان ما عنده من ترجمة ذلك الكتاب المطلوب .

فكتب الي يقول : ان الكتاب الذي وصفتموه في مجلة المجمع ج ٩ ص ٦٨١ وورد اسمه بخط غير خطه (نزهة العيون في اربعة فنون) الصواب ان اسمه (مباهج الفكر ومناهج العبر) لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصـاري الكتبي المعروف بالوطواط المترجم في الدرر الكامنة لابن حجر والمتوفى سنة ٧١٨ وان اسم الكتاب وارد في اثناء الخطبة فالظاهر ان النسخة التي اطلعتم عليها وقع بها سقط في الخطبة وارجو أن تراجعوا المشرق ج ١٠ ص ٧٢١ و٧٧٤ ومجلة المقتبس ج ٥ ص ٥٤٠ ففيهما وصف لهذا الكتاب وراجعوا ايضاً كشف الظنون في (مباهج الفكر) وفي (مناهج الفكر) .

جمال الدين الوطواط هذا غير رشيد الدين الوطواط صاحب الرسائل المتوفى سنة ٥٧٣ .

عضو المجمع العلمي
كامل الغزي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : تأليف نور الدين ابي الحسن علي بن ابي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ جمع فيه مؤلفه زوائد الكتب الستة من مسند الامام احمد بن حنبل والبزار وابي يعلى والموصلي والمعاجم الثلاثة للطبراني فأصبح بذلك كتاباً حافلاً في موضوع الحديث النبوي (رقم ٦١١ حديث) .

المجمل في اللغة : تأليف ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٠ اقتصر فيه مؤلفه على الالفاظ المستعملة عاتهم معرفته وأخذا كثرها عن السماع وعمن تقدمه واختصر الشواهد . ورتبه مؤلفه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه حتى طابق اسمه مسماه . والموجود منه الجزء الثاني فقط يبتدئ من حرف العين الى آخر الكتاب في ٣٧٥ صفحة متوسطة . بخط ابي بكر محمد بن محمد بن خلف في سنة ٥٨٩ (رقم ١٢٣ لغة) . وقد طبع الجزء الاول منه في مصر سنة ١٣٣٢ ص ٣١٩ على نفقة الحاج محمد سامي المغربي .

جنى الداني في حروف المعاني : تأليف بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المتوفى سنة ٧٤٩هـ : وهو مرتب على مقدمة مشتملة على خمسة فصول . ثم اورد خمسة ابواب من الأحادي الى الخماسي قال صاحب كشف الظنون : هو مأخذ المغني لابن هشام . كتب سنة ١٠١٩ في ٢٥٠ صفحة صغيرة (رقم ٢٦١ نحو) .

شرح الايضاح : (الايضاح) تأليف ابي علي حسن بن احمد الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ والشرح لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ شرحه اولاً شرحاً مبسوطاً في

نحو ثلاثين مجلداً وسماه المغني ثم لخصه في مجلد واحد وسماه المقتصد وهو في مجلد ضخم في ٩٠٤ صفحات كبيرات بخط حسن ترجع كتابته الى القرن الحادي عشر (رقم ٣٥٤ نحو) ٠

مجمع الآداب في معجم الاسماء والالقاب : تأليف كمال الدين عبد الرزاق الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ ٠ قال صاحب كشف الظنون انه في خمسين مجلداً وهو مرتب ترتيباً غريباً في أسلوب عجيب : الموجود منه الجزء الرابع يبتدئ من حرف العين الى حرف القاف بخط مؤلفه وجامعه سنة ٧١٧ في زهاء ٦٠٠ صفحة متوسطة (رقم ٢٦٧ : تاريخ) ٠

إنباء الغُمر بأبناء العمر : تأليف شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو تاريخ مصر والشام متضمناً حوادثها وتراجم رجالها منذ ولادة مؤلفه الى سنة ٨٥٠هـ مما أدركه اوسمعه وقد رتبه على السنين: فيذكر حوادث كل سنة ثم تراجم الوفيات فيها ٠ وهو مجلد ضخم زهاء ١٢٠٠ صفحة بخط مؤلفه (رقم ٢٤١ : تاريخ) ٠

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الحركة القومية
[وتطور الحكم في مصر]

« صدر منه جزآن يحتويان على نحو ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط »

« تأليف عبد الرحمن بك الرافعي »

آل الرافعي أسرة لا اعرف منها الا كل خادم لبلاده صادق الخدمة ، وغيور على لغة آبائه واجداده لا ينفك عن العمل لاجلها ما استطاع الى العمل سبيلا . ولعمري ان أمة تنبت الحراص على استقلالها يتلو بعضهم اثر بعض لا بد ان تدرك غايتها مهما تكن طريقها مشوكة ، واللغة التي لها من ابنائها اناس يؤمنون بها ايماناً لا بد ان تظل حية ما دام ذلك الايمان راسخاً في القلوب .

وكتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي هو دروس في الوطنية يجدر بكل ناطق بالضاد ان يتلوها فيرى فيها بدء الحركة القومية المصرية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر اي منذ احتلال حملة نابليون لمصر الى ايام محمد علي الكبير . ولقد سرد الاستاذ الابحاث بعبارات طلية وسلسلها على شكل يستحسن ودعمها بوثائق عديدة نقلها عن مذكرات رجال حملة نابليون والمؤرخ الجبرتي وغيرهم فجاء الكتاب تاريخاً سياسياً وقومياً لتلك السنين يشاهد فيه ابناء مصر اليوم ما لاقاه اجدادهم من ظلم المستعمرين وفظائعهم (سواء أكانوا اتراكاً ام مماليك ام اوربيين) وماأتوه من الاعمال للخلاص من سيطرة المتغلبين المشؤومة . فما جاء في الصفحة ٤٣ من الجزء الاول عن ابن اياس ان السلطان سليم خرج من مصر ومعه الف جمل محملة من الذهب والفضة فضلاً عن التحف والسلاح واعمدة الرخام والصيني والنحاس واخذ من مصر من كل شيء احسنه وذلك عدا ماغنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من النهب مالاً يحصى وبطل من مصر نحو خمسين صنعة . ولا شك ان اكبر طعنة للغة العربية جاءت من يد الاتراك العثمانيين بجعلهم التركية لسان الدولة الرسمي في مصر مع ان العربية هي

التي كانت اللسان الرسمي الى زوال دولة السلاطين البرجية (الشراكسة) .

وقد اعجبنا قوله أن سلطة محمد علي الكبير قامت على ارادة الشعب ولذلك تمكن بها من القضاء على سلطة الاتراك والماليك معاً .

وبعد اننا نشكر للاستاذ الفاضل هديته ونتمني ان يوفق الى اتحاف البلاد بباقي حلقات هذه السلسلة الذهبية .

مصطفى الشهابي

لبنان وسوريا

[قبل الانتداب وبعده]

« تأليف بولس مسعد وهو يقع في ١٢٩ صفحة »

هل قرأت مصنفات بعض الكتاب الاوربيين الذين سدل التعصب غشاوة على ابصارهم وبصائرهم والذين يهبطون بلاد الشام فيقيمون فيها عشرة ايام او عشرين يوماً يظنون بانتهائها انهم صاروا علميين بتاريخ هذه البلاد وجغرافيتها وزراعتها وتجارتها وعادات سكانها وميولهم السياسية وكل ما يهم القراء الاطلاع عليه من شؤونهم ؟ اذا كنت قرأت بامعان كتباً كهذه وهالك ما وجدته فيها من الاقوال الغريبة والافكار المضرة والنيات السيئة فاعلم ان كتيّب السيد بولس مسعد هو من هذا القبيل .

مصطفى الشهابي

خمسة اعوام في شرقي الاردن

« بقلم الارشمندريت بولس سلمان امين سر غبطة بطريرك الروم الكاثوليك »

كتاب بقطع الربع ينساهز ثلاث مئة صفحة جلي الطبع حسن الورق مطبوع في مطبعة القديس بولس بحريصا (لبنان) يتخلل متنه عدد من الرسوم التي توافق الابحاث ، وهو مصدر ببيان شيّق بقلم الشاعر المشهور خليل بك مطران . وقد قدّمه مؤلفه « الى الامة العربية النبيلة والى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن الحسين » .

اختار سيادة المؤلف هذا الاسم لكتابه للدلالة على الزمان الذي قضاه في شرق الأردن وكان يومئذ في ذلك القطر العربي رئيساً دينياً .وكانت مهمته فيه مرتبطة بطائفته فقط . الا انه لم يقف اوقاته على تلك المهمة بحسب شأن بقية الرؤساء الدينيين بل صرف همه ايضاً الى التجوّل في انحاء هذه الامارة البدوية وخالط اقوامها وتعرّف احوالهم وعوائدهم وسرائرهم وسهر الليالي في تدوين مشاهداته ومحادثاته ، وكان يحبرها في ساعات الفراغ بلسان عربي فصيح سهل ، ويبعث في فصولها الى مجلة المشرق البيروتية التي نشرتها تباعاً . واذ رأى اقبال الادباء على تلك الابحاث وارتياحهم اليها ، وخصوصاً المستشرقين منهم ، نقحها وجمعها وزاد عليها ماتيسر بحيث جاءت سفراً ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده ، يعرّف قارءه من احوال العرب الرحل مالاتستطاع معرفته الا لمن قضى بينهم السنين الطوال .

والكتاب حسن التبويب يبحث في تاريخ اهل البادية وشعرهم وقضائهم واديانهم ، وفي آخره جدول مسهب عن عشائر شرق الاردن . فنشكر لسيادة الارشمندريت جهوده الطيبة في خدمة العرب والعربية ونتمنى ان يتسنى له تحقيق امله باتباع هذا الجزء بجزء آخر يضم الفوائد في الاسرة البدوية والزعامة والقبيلة والعشيرة والغزو الى آخر ماوعد به في مقدمته من الشروح .

ولعل خير ماقيل عن هذا الكتاب لمؤلفه عبارة ختم فيها خليل بك مطران بيانه الشيق قال :

« . . . . كان الناس قديماً يسترشدون بما يرشدهم اليه رجال الدين لمعرفة دنياهم والاخذ بالصالح النافع من شؤونها ، أما الآن فقد اصبحوا يستعيدون كرامة الدين عند أنفسهم بما يجدونه في أعمل أئمته من صالح ونافع في أعمال الدنيا » .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي العربي

نصوص عربية من تاكرونة

« السيد وليام مرسي والسيد عبد الرحمن غيجا طبع باريز عدد صفحاته ٤٢٦ »

W. Marçais et Abd errahman Guiga . p. p. 426 - paris 1927

يحتوي هذا الكتاب على اثني عشر قطعة بعضها حكايات وبعضها وصف ومحادثات وضعها احدهما (السيد عبد الرحمن غيجا) وقد كتبها بلهجة (تاكرونة) العربية العامية ثم كتبها بالاشتراك مع زميله بأحرف لاتينية لضبط لفظها بحسب لهجة تلك القرية ثم ترجماها الى الافرنسية مع شرح وايضاح للترجمه وهي اهم مافي الكتاب . وموضوع هذه الحكايات حوادث داخلية وامور عائلية متعلقة جميعها بقرية تاكرونة مع وصف شيءٌ من عوائد اهلها ومعيشتهم الزراعية ، وتكرونة هذه هي قرية صغيرة واقعة على الخط الحديدي الذي يربط تونس بسوس بقرب (انفيدافيل) وفائدة هذا المصنف درس اللهجات العربية المغربية وتطورها فهو حلقة جديدة تضاف الى سلسلة ما قد كتب بهذا الشأن عن بلاد المغرب .

وقد انكر واضعا الكتاب في مقدمتها قول القائلين بتقسيم سكان بلاد المغرب الى عرب و بربر . ومن رأيهما ان جميع سكان هذا القطر هم من اصل بربري ولا يوجد فيه اصلاً جنس عربي وقد قسما سكانه الى قسمين : الاول المحتفظون بلغتهم البربرية الاصلية والقسم الثاني المتكلمون بالعربية وهم الذين استعربوا بعامل الفتح الاسلامي .

هذا ما ذهب اليه المؤلفان في مقدمة كتابهما مذ زعما أنه لا يوجد في المغرب احد من أصل عربي وقولهم هذا ظاهر البطلان فأن كل من كتب والف في انساب سكان القطر المغربي حقق بان كثيراً منهم يمتون بانسابهم الى الفاتحين الاولين من العرب اذ من عادة الفاتحين من كل قوم ان يتركوا في البلاد التي فتحوها جماعة من أبناء جلدتهم يستوطنونها والتاريخ القديم والحديث طافح بمثل هذه الحوادث . وما عرب المغرب الا من سلالة هؤلاء الفاتحين .

جعفر الحسني

الجزء ٥ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٣٠ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

المسكرات ومضارها (١)

للامم كما للأفراد قوام مادي وقوام روحي · فقوام الامم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف ما بين اولئك الافراد فتجعل منهم جسداً واحداً يتحرك بمحرك واحد · اما نسبة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كنسبة الاحجار الى البناء · فكما ان الاحجار المتفرقة لا تؤلف بنياناً مهما كثر عددها وتماثل شكلها الا اذا تراصّت وتلاصقت وشد بعضها بعضاً على شكل هندسي معروف · كذلك الافراد فهم لا يؤلفون أمة مهما كثر عددهم وتشابهت سحنهم وتوحدت اصولهم وتثقفت أذهانهم اذا لم تجمعهم جامعة عامة واحدة فيتأثرون بمؤثر واحد · يعيشون لاجله ويموتون في سبيله ·

وقد يضعف قوام الامم المادي و يبقى قوامها الروحي صحيحاً فتحتفظ بكيانها الاجتماعي كما يحتفظ عليل الجسم بحقوقه المدنية اذا لم تتطرق العلة الى ملكاته النفسية · اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فتفقد ثمة حياتها الاجتماعية وتصبح لا كيان لها في العالم الادبي · فيستولي عليها الصحيح من الامم · كما يحجر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجمالها · سنة الله في هذا الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً ·

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية وادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز وسلطان و كيان

---

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القيت في ردهة المجمع العلمي في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م ·

سياسي واجتماعي ، و بانت على ما هي عليه اليوم ، مما ينـدى الجبين لذكره و يهلع القلب لذكراه . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائفية ، أشبه بها باحجار هيكل عظيم ، قوّضه زلزال شديد ، فتناثرت على الارض محتفظة بصلابتها وورونقهـا . فليت شعري ما يكون امرها غداً . امرها أيهـا السـادة احد شيئين : اما ان يتطرق الفسـاد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فتفقد ثمة خصائصها ، فتتفتت ثم تضمحل . واما انـ تحتفظ بشكلها وخواصها الى ان تصادف يداً عاملة فتعيدها سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقـد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قوامها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بعامل الوراثة على كثير من خصائصهم القوميـة ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلدة المهذبة المتناثرة من ذلك البنيان المتهدم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ يتحول الى رجاء في هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعيـة الفتاكة التي تهدد الفرد بحياته المادية والنفسية ، وترمي الى افساد مبادئه وخصائصه العنصرية وهي الدعامة الوحيدة لوحدته المنشودة ، فيصبح كالغراب غريبـاً ، ينكره التالد ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعيـة تسربت الى هذه البلاد الضعيفة تحت ستار الحضارة والمدنيـة البراق . وشر الادواء ما كان خفياً ، وشر السموم ما كان شهياً ، فتهافت عليها الناس تهافت البعوض على النور يحسبون السعادة في نورها ، فتلتهم حياتهم نيرانها ، واشد هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والنسل (الغولية) اي داء المسكرات .

اقول الغولية وهي نسبة الى الغول ، والغول في اللغة السكر ، وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة المختمرة كخمر العنب ونبيذ الشعير والأرز والتفاح وغيرها . وقد كان يُظن قبل الاسلام ان الخمور مسكرة بذاتهـا فلما جاء الاسلام ووصف خمر الجنة . قال في تعريفها : (لافيهاغول ولاهم عنها ينزفون) اي مافيها مادة مسكرة ينشأ عنها الصداع والسكر يقال لها غول . فأفاد بان الخمر ليست مسكرة ومصدعة بذاتها بل هي مسكرة بمادة خاصة موجودة فيهـا تدعى الغول ، تُحرم لاجلها لانها هي التي تفسد العقل وتسكر .

و بالنظر لجهل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينتبهوا الى معنى كلمة الغول العلمي ففسروها بمعناها اللغوي وهو السكر مما أوقعهم في الاختلاف في تحريم النبيذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة الغول وتجريده عن المواد المتخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والتقطير في القرن الثاني للهجرة فصعدوا الخمر وقطروها واستخرجوا منها الغول ويسمونه روح الخمر والعرقي والزئبق الحار . قال داود : العرقي هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والتقطير وقد يؤخذ من الأنبذة . ومن هذا يتبين لنا ان القرآن ذكر الغول بمعناه العلمي قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه وبيان خصائصه . وقد اخذه الفرنج عن العرب ونقلوه الى لغتهم بلفظه العربي ، و بالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم استبدلوها بالآش فقالوا بدلاً من أَلْغَوْل ألكوهول . ثم لما جاء الأتراك وأرادوا نقل العلوم من اللغات الفرنجية الى لغتهم لم ينتبهوا الى ان أصل كلمة ألكهول هي ألغول فقلبوا في نقلها الآش حاء فصارت أَلْكحول . وقد شاعت لفظة الكحول على الالسنة حتى ظنها الناس فصيحة ، بينما انه لا يوجد لها اصل في اللغة يشير الى مدلولها وباتت كلمة الغول الفصحى غريبة لعدم تداولها وهي أجدر بالمودة والاستعمال .

فالغول والحالة هذه هو المادة المسكرة الموجودة في الخمور ، والمعروفة باسم الكحول او السبيرتو العامية ، والغولية هي الداء الذي يحصل من إدمان شرب المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . وتنقسم الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني الخمور والانبذة .

المشروبات الروحية — . فالمشروبات الروحيــة هي الموائع التي تحتوي على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الآنيسون ، وهو مركب من غول وماء وعطر الآنيسون . ومنها القونياق ، وهو عرق الخمر الأبيض يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصفصاف يكتسب منها رائحته ولونه . وقد سمي بالقونياق نسبة الى بلدة قونياق في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحية الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة وهي الاشربة الغوليــة

الممزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واشهرها الابسنت اي مشروب الافسنتين والبيتر والفرموت والشارتروز وغيرها.

الخمور — اما الخمور فأهمها الخمر ، وهو عصير العنب المختمر ، وهو يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الغول وعلى خمسة وسبعين جزءاً ماء وعلى مواد زلالية وعفصية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح قلوية ترابية وعلى ارواح عطرية. ومنها الانبذة وهي الخمور التي تحصل من عصير غير العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تتألف منها ، وأشهرها : المزر او البيرا (الجعة) وهو نبيذ الشعير المعطر بحشيشة الدينار ، وهي تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية اجزاء من الغول ، وفيها مواد سكرية وزلالية ودهنية واملاح قلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع . قال داود وهو نبيذ الفواكه . ومن انواعه : السيدر ، وهو نبيذ التفاح ، والبواره وهو نبيذ الأجاص ، ومنها الرائب وهو نبيذ اللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا ويسمى الكوميس . وكية الغول في هذه الاشربة اقل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي مركبة كما أوضحناه من عنصر أساسي مسكر خاص واحد هو الغول ، او روح الخمر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخرى مختلفة كالماء والمواد الزلالية والسكرية والعفصية والملونة والحوامض والاملاح والارواح العطرية . وهذه كلها معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات . وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والرمان والورد وغيرها بكميات وكيفيات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحية او المسكرة لا تختلف عن سائر الاشربة المنعشة والمرطبة الا من جهة واحدة : هي وجود الغول فيها . فالخمر اذا جردناها من الغول تعود جلاباً لذة للشاربين ، والعرقي اذا جردناه من الغول يصبح ماء معطراً كماء الزهر وماء الورد لا يصدع ولا يسكر . فالغول والحالة هذه هو العنصر الأساسي المقصود من الاشربة الروحية ، هو الجوهر الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتعز ، فهو منها بمثابة الروح من الجسد ، وكما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب

صفات نفوسها كذلك نقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص الغول الذي فيها . اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واعضائه . ولعمري انهذا المطلب وعر المسلك صعب المنال لما فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف شديد في المذاهب . فمن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشي من شرابها واعمى سقيناه ثلاثاً فابصرا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة ادرنا عليه الكأس يوماً فعمرا

او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولو رسم الراقي حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم
ولو طرحوا في ظل حائط كرمها عليلاً وقد اشفى لفارقه السقم
ولو نضحوا منها على قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

ومن مردد قول الصفدي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها وفي كأسها للمرء كسوة عار
فكم البست نفس الفتى بعد نورها مدارع قار في مدار عقار

ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والعسل . ومنهم من صيرها ترياقا فيه شفاء الروح والجسد . ومنهم من ذهب الى انها نار تحرق الاجسام ولا تبقي على الارواح . تهلك الحرث ولا تذر النسل . فليت شعري اي هذه الاقوال الصحيح . وايها اهدى للحق ? ومَن مِن هؤلاء الرجال المصيب ، ومن منهم المخطئ ? كلهم ايها السادة مصيب على حد قول الشاعر : رأت بعينها ورأت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة وهواه : (وعين الرضا عن كل عيب كليلة) . وللمعتقدات والعادات تأثير عظيم في تكييف الافعال العقلية وتوجيهها ، ولولا ذلك لما تباينت آراء الناس في المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من حقيقة علمية كان العالم باسره يعتقد بعكسها ، حتى اذا ظهرت قاومها بالشدة والعنف ، مدفوعاً بعامل الشعور البهيم الى ان خمدت سورة هذا الشعور الموروث وتغلبت قوة العقل عليه فأخذ يؤمن بصحتها هازئاً بخطأه الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ ، تاريخ نشوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشوف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك

هذه الحقيقة الناصعة ، وللدلالة على ان صوت المجموع ليس هو على الدوام صوت الحق ، وان الفرد يرى بعين العقل مالا يراه المجموع بميله وعاطفته الغريزية وان النور ينبثق من الفرد فيهتدي به الصالحون بادئ بدء ، ثم ينتشر الى ان يعم المجموع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف العلمية والانقلابات الاجتماعية ، ومن يجهل ما لاقاه دعاتها وهم على الحق والعالم على الباطل ، من ضروب الاضطهاد والهوان وانواع القتل والتعذيب ، وما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً ، وللباطل جولة ثم تضمحل . فاخذ الناس يدخلون في دين الحق افواجاً عالمهم ثم جاهلهم وصحيحهم ثم مريضهم ، مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التماثيل ، و ينعتونه بالنابغة الكبير والعالم الجليل ، هكذا كان شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان شأنهم مع سقراط وغاليله ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على المسكرات .

الف الانسان الخمرة منذ آلاف السنين ، وعاقرها بعضهم حتى خامرت عقله ولبه وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم حياته ، فهي ماؤه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارتها اروج تجارة وصناعتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم العظمى من جعلها ثمرة حرثه وزرعه وقد عم الخطب بها حتى بات شربها مظهراً من مظاهر المدنية والحضارة وجفاؤها ضرباً من ضروب التوحش والغباوة ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي واوائل العصر الحاضر حيث اخذ العلم يستقرئ خواص الغول في الجسم البشري ، وما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر للعلم بان العالم على باطل في معتقده في منافع الغول وحسناته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وسيئاته . فليت شعري هل من غرابة اذا انكر الناس — والناس من وصفت — دعوته وسفهوا كلمته ، وصاح قوم انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام باعته وصناعه يغرون الكتبة بالمال ليطفئوا نور العلم باقلامهم بتسويد وجوه الصحف وصحائف الكتب باطراء منافع المسكرات ومضار تركها ولا مشجع لهم سوى اعصاب الناس المتسممة ، ولا دليل سوى الهوى ولا مملي سوى قوة الخيال ؟

ما في ذلك لعمر الحق غرابة ، فتلك نفرة طبيعية لم يخل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . واذا اضفنا الى هذه العوامل النفسية الحسية ، العوامل

الاقتصادية والخسائر العظمى التي تنال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تقدر بالملايين من الليرات تتجلى لنا خطورة موقف العلم والعلماء اللاغوليين ، وهول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدفاع المائل ، يتجلى لنا كيف يتغلب صوت الحق الضعيف على جلبة الباطل الهائلة ، يتجلى لنا كيف تنبعث شرارة الحق الضئيلة في ظلمات غابات الباطل المتكاثفة فتضيئها رويداً رويداً الى ان تصبح شعلة متأججة من نور ، دعا العلم العالم في اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فاستشاط العالم غضباً وحنقاً ، وما هي الا سنوات معدودات حتى دخل في دين العلم اصح الناس اجساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً وايماناً ، فغلوا حريتهم هذه بايديهم وهي ما عبدوا ، وقضوا على نفوسهم بانفسهم وهي ما قدسوا ، ولا غرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالجاهل ، والصحيح فالمريض ٠

ومن العجب العجاب ان تقوم الحرب ضروساً في اوربا واميركا ، في بلاد المشروبات الروحية ومواطنها للقضاء على الغول وطرده وتطهير النفوس والاجسام من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريد الممقوت ابوابها كأنها استطابت هلاك الجسم فهي تريد ان تضيف اليه فساد النفس ، والنفس هي الاسم الباقي من ذلك الرسم العظيم الفاني ٠

فيا ايتها النفس الثملة ارجعي الى عقلك راضية نادمة ، وعلي ان هذا الضيف الجديد اشد خطراً عليك من سائر العناصر الغريبة التي تعيث في ارضك ، والجراثيم القتالة التي تفتك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم موقوف ، واذا اردت شاهداً على صدق هذا القول ، فاستنطقي العلم ، والعلم هو الحق فهو يشهد و يقول ٠

« كلمة العلوم الطبيعية والطبية الاخيرة في الغول »

صفاته — . الغول جسم مائع لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار محرق قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنشائية المختمرة كعصير العنب والتفاح والكمثري والشمندر وقصب السكر والتمر وغيرها ، وكنقوع الشعير والحنطة والذرة والارز والبطاطا وغيرها ٠ فان النشا يتحول فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمر في هذه الموائع تتحول الى محاليل غولية يختلف مقدار الغول فيها بين ستة الى عشرة في

المائة . ويستخرج هذا الغول منها بالتقطير بادوات خاصة منها الانبيق المعروف . وتختلف اسماؤه قبل تقاونه حسب مصدره . فالمستخرج من خمر العنب يسمى عرقياً والمستخرج من قصب السكر يسمى روما وهلم جرا .

وللغول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من اهم المحروقات ذات الحرارة الشديدة وهو يذيب كثيراً من الارواح والعناصر الدهنية ويستعمل لاستحضار كثير من الموائع العطرية كالقلونيا وغير ذلك .

« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من استعمله في ذلك التاريخ الطبيب روبرت تود في شرابه المسمى باسمه . فعالج به ذات الرئة ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد في جل الامراض ، ولا سيما الحميات العفنية ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى ان من الاطباء من كان يصفه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر الشديد . غير ان التجارب والمشاهدات لم تلبث ان أظهرت مضار الغول للعيان ، فخمدت هذه السورة العمياء واخذ الاطباء يقللون من وصف الغول في معالجاتهم ، و يحددون استعماله ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله بتاتاً .

تأثيره الفسيولوجي — . اما درس تأثير الغول الفسيولوجي فيرد تاريخه الى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تخلل هذا الدرس صعوبات جمة ، منها ما هو ناشئ عن المعتقدات والآراء الخارجة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل من اختلاف طرق التجارب العلية وتعدد أنواع الاشربة الروحية وتنوع تراكيبها . ومما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول الفسيولوجي . مدة استعماله ، والسن ، والجنس ، والبنية ، والوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، والكليتين ، والجهاز العصبي . وذلك لان لكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكييف فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاذ بوشه (Pouchet) ان الكمية اللازمة لقتل الانسان الكهل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول البتة ، هي ستة غرامات غولاً لكل كيلوغرام من وزنه ، فالرجل الذي يوزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا

شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الغول الصرف اي تسمائة غرام من العرقي او القونياق . وقد شاهد طفلاً عمره ستة أشهر أعطي شراباً فيه ملعقتا قهوة من القونياق فمات في تسع ساعات . و يختلف تأثير الغول حسب ما يكون صرفاً اوممزوجاً وبنسبة تمديد هذا المزج .

هل الغول غذاء — ومن أهم المسائل التي تنازعت فيها آراء علماء الفسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الغول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كاللبن والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الغول يحترق في الجسم كسائر الأغذية . ومنهم من قال بانه يجتاز الجسم اجتيازاً دون ان يتحول فيه تحولاً يستحق الذكر ومن دعاة الفريق الاول ليبيغ (Liebig) فهو يقول بان الغول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشئية . وهو يفضلها و يفضل المواد الزلالية ايضاً كاللحم والبيض لان الغرام منه ينشر سبع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الغرام من اللحم والسكر لا ينشر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرات . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الغول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية :

ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الغول في قوام غذاء الرجل الذي يشتغل يحدث نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام اتواتر وبندديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أفكار العلم الحاضرة . وخلاصتها : « ان الغول يحترق في الجسم ، عدا قسم صغير يفرز بواسطة الكليتين والجلد والرئتين » . وبما ان قيمة الاغذية كانت تقدر في ذلك العهد ، اي قبل الحرب العامة بمقدار السعرات ، اي الحرارة التي تصدرها . استفاد باعة الغول وتجاره من نتائج تجارب اتواتر وبنديك ، فاستثمروها لمصلحتهم واخذوا يطرون منافع الغول الغذائية بالنشرات والصحف اليومية ، تحت عنوان : (الغول غذاء) ولكن لم تلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها . فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يحدثها الغذاء هي عرض ، وليست هي الغاية . وان نظرية تنظيم الاغذية

بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها فاسدة ، وان قيمة الغذاء تقدر بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساغ لنا ان نستعمل بدل غول الخمر غول البطاطا مثلاً الذي يستعمل للشعل لانه يحدث حرارة اكثر منه . هذا وقد صرّح انواثر بنفسه وكتبه هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان الغول بعد غذاء فهو غذاء سيء ، غذاء مكروه ، لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أمر خاصة كان يتمتع بها الغول حتى اواخر الحرب العامة . ولننظر الآن في تأثيره في أجهزة الجسم البشري كل منها على حدة .

تأثير الغول في الجهاز الهضمي — عندما يشرب المرء جرعةً خفيفةً من الغول يشعر في ناحية معدته بحرارة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون سيئاً ، واذا تجرع الانسان الصحيح مقدار خمسة غرامات اي درهماً ونصف درهم من الغول المحدد بالماء بنسبة ثلثيه فانهذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة . اما اذا أدمن الانسان الشرب ، فان كمية الافرازات المعدية تنقص و يقل فيها فعل الهضم وتتصلب أنسجة المعدة وتنشأ عنها الالتهابات وسوء الهضم المزمن والقيء الذي يشاهد غالباً عند السكيرين .

تأثيره في الدم — عندما تمتص المعدة الغول يدخل الدم فيجفف ماءه و يخرب من كرياته الحمراء و يزيد في عدد كرياته البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليتحول الى حامض خلي وخلات الصودا فتنقص قلوية الدم وتتوقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوراني — ان الجرعات المتوسطة من الغول تحدث بادئ بدء زيادة في عدد الضربات القلبية لا تلبث ان يعقبها تناقص . و يزداد الضغط الدموي في بادئ الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة ، فان فعل الغول الفالج يظهر حينئذ جلياً وتتناقص صحة ضربات القلب و يخف الضغط الدموي و يقع عدم الانتظام في الحركة القلبية . ويحدث إدمان الغول تصلباً في الشرايين الشعرية وفي الاوردة

ولا سيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصيدة في أوعية الدماغ تنشأ عنها جميعاً امراض القلب واوجاع الساقين والفالج ·

تأثيره في الجهاز التنفسي — · ان الجرعة الخفيفة من الغول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، وكية امتصاص الاوكسيجين ، ونبذ حامض الفحم ، و يعقب هذا التزايد نقص في هذه الافعال ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطء في التنفس و يصير سطحياً وتنقص المبادلات التنفسية فتتعرض الرئة للالتهابات كذات القصبات المزمنة وذات الرئة والغرغرينا والسل الرئوي · اما تأثير الغول في الحنجرة فانه يحدث فيها التهاباً مزمناً يولد خشونة في الصوت يُعرف مدمنو السكر منها لاول وهلة ·

تأثيره في الحرارة والمبادلات — · يعتقد كثير من الناس ان الغول يزيد في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل مخالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة من الغول لا تحدث تبدلاً في حرارة الجسم · اما الجرعات الكبيرة فقد سبق لنا القول بانها تحدث بطأ في ضربات القلب ، وهبوطاً في ضغط الدم ، وتوقفاً في المبادلات الدموية · فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم · قال الاستاذ بوشه : « تهبط الحرارة المركزية عند الثملين الى درجة ٣٠ او ٢٦ وهو هبوط عظيم » · ولهذا يحظر الطب استعمال المشروبات الغولية في الاسفار الباردة لان الحرارة التي يشعر بها الشارب هي حرارة وهمية ، وضحايا القونياق في الاسفار الباردة عظيمة ومشهورة ·

تأثيره في اعضاء التناسل — · قال لانسرو (Lancereaux) ان ادمان الغول يحدث ضمور المبيض عند المرأة · وقال برتوله (Bertholet) شاهدت اثناء تشريح جثث مدمني السكر ضموراً وتصلباً في الخصى ولم أشاهد الحوينات المنوية في ست وثمانين من المئة من الحوادث التي شرحتها ، وهذا يوضح لنا اسباب العقم والعنة المشهودين عند كثير من مدمني الغول ·

تأثيره في الكبد — · ان التسمم المزمن بالغول يحدث تخريباً عظيماً في خليات الكبد والنسيج الخلالي ، و ينشأ عن هذا التخريب امراض كثيرة ، منها اليرقان الخفيف ومنها تورم الكبد وتشحمه وتضخمه وضموره وتشمعه والاستسقاء ونزيف الدم المعوي والبواسير ·

افراز الغول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) واقرها مجمع العلوم اثبتت ان الغول يفرز بواسطة البلغم واللعاب وعصارة (البنكرآس) والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند المرضع والمبيض والبروستات والمشيمة ، فأن الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حوينات منوية ثملة يأتي ولده من تأثيرها معرضاً لداء الصرع وللالتهابات الدماغية . وان المرأة التي تتجرع قبل الولادة بساعة مقداراً من القونياق يشاهد الغول في دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره وتعرضه لامراض عصبية وخيمة . وقد اهتمت الامم المتمدنة اهتماماً عظيماً لهذه النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير الغول في الجهاز العصبي — ان للغول ولوعاً خاصاً بالاعصاب فهو يؤثر فيها مباشرة فينبهها بادئ بدء ثم يحدث فيها خدراً فاسترخاء فالفالج حسب قلة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً هانماير : ان للغول تأثيراً كيماوياً في الاعصاب ، فهو يذيب شحومها ويحدث انقباضاً في زوائد العصبيات فيضعف فعلها ثم يبطله ، فالغول والحالة هذه مخدر غير منبه كما يظن ، وما النشاط الموقوت الذي يشعر به الثمل بادئ بدء الافعال منعكس عن اعضاء الحس ولاسيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية المتوسطة من الغول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد برهة قليلة على زيادة العمل ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى تتلاشى ويعقبها نقص في القوة العضلية ، وقد ايدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها هذه الحقيقة العلمية . والغول مبطل للحس خلافاً لما يدعيه شاربوه من ان احساسهم يزداد بشربه ، اما سبب ادعائهم هذا فناشئ عن نقص شعورهم بفعل الغول المخدر ، فالثمل لا يحس بالالم ، وقد استخدم الجراحون هذه الخاصة قديماً لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة .

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فاهمها : الرعشة والآلام العصبية وذات الاعصاب المجتمعة ووهن الاعصاب والفالج . واذا استطلعنا احوال عشرة اشخاص من معاقري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون وهناً في عضلاتهم وهبوطاً في

قوام الجسمية والعقلية وثقلا في رؤوسهم وتغيراً في طباعهم اهمه الحدة وسرعة الضجر ، واذا قلت لهم ان هذه الاعراض ناشئة عن شرب المسكر يجيبونك سلبًا بان هذه الاحوال تزول بتاتاً بشرب الغول ، وما ذلك الا لان الغول مبطل للحس ، وهل من شعور لمن بطل حسه ·

قال لغران (Legrain) في كتاب التسممات من مجموعة الامراض الباطنة والمداواة المطبوع سنة ١٩٢٢ « ان اصغر كمية من الغول تحدث اضطراباً في الافعال الدماغية الطبيعية ، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك حواسنا لدقته فهو يبدو لنا جليًا عندما تزداد كمية الغول ، ويؤول غواة الغول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً مخالفًا للحقائق العلمية مستندين الى الحس الذاتي المتسمم وهل للمريض من شهادة تقبل مغضين الطرف عن تجارب العلم ومشاهداته ، واهم هذه الدعايات المخالفة للعلم هي ان الغول منبه ومنشط ، على حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم · اما النشاط الذي يشعر به السكيرون فما هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات النفسية العصبية ، فهو خطأ حسي متولد من تخدير قوة المراقبة النفسية » ومن النوادر التي تروى عن ابي نواس وهي تدل دلالة واضحة على نقص ملكة الشعور الباطن وشلها اثناء السكر ما روي من انه شوهد يوماً يضحك من رجل سكران اتيه في الطريق ويسخر به ، فقيل له لم تهزأ به وانت في كل يوم مثله : فاجاب اني والله لم اشاهد في حياتي سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر وآخر من يصحا ·

تأثيره في الاخلاق — اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد الطباع والغرائز وضعف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعتري المرء الضجر والملل ويصبح شرس الخلق ، لا ثبات له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم بواجباته الزوجية ويهمل مصالح بنيه ، وينحصر همه في الحصول على ما يتطلبه من الغول بدافع الاحتياج الجسمي ، وكثيراً ما يقوده هذا الاحتياج الى بذل ماء وجهه ومعاشرة الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على العرض وارتكاب الجرائم البذيئة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية رويداً رويداً ، وتعتريه الهذيانات العارضة والاوهام ، والصرع والعنة الى غير ذلك من انواع الجنون ،

ونظارة خفيفة في احصاآت مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين واحصاآت السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين جدران هذه المصانع العامة تكفي لتأييد هذه الحقائق العلمية الراهنة . فان القسم الاوفر من الجناة والمجانين والمرضى بالآفات العصبية والقلبية والاستسقاء هم ضحايا الغول ، ضحايا المشروبات الروحية ، قال غلادستون : وحسبي بقول هذا السياسي الانكليزي الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول تربو كثيراً على مضار الطاعون والحرب معاً » . « ولا غرو فقد قال لغران (Legrain) فاننا اذا جمعنا ما تنفقه الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع الغول كالعنب والحبوب والثمار السكرية وما تتكبده من النفقات على دور المجانين وعلى حياة النفوس التي تقصفها المنون قبل ايناعها ، وعلى العاهات الوراثية ، وعلى المتشردين وعلى الجناة ، الذين كان الغول علة آثامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً يربو على المليار من الفرنكات ، تقف امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ، مما أهاب بالحكومات و بالعلماء ، والقسم المتعلم من الامم ، ودفعهم الى أن ينادوا بملء افواههم العدو الداخلي هو الغول . »

تلك كلمتي ايها السادة في تأثير الغول في جسم الفرد . اما مضاره في نفسيته وفي الاسرة وفي الامة فهي ادهى وانكى . (للبحث صلة)

المحاضرة التاسعة

المتنبي

- ١ -

اول عهدي به — دراستنا في الماضي والحاضر

كتب التراجم

أرجع بالخاطر الى الماضي ، وبيني وبين هذا الماضي سبع عشرة سنة ، وما هي هذه البرهة قياساً بالزمان الذي لا نهتدي الى اوائله ، ولا نتصل باواخره ، ماهو العمر كله سواء اطال هذا العمر أم قصر ، وسواء ابتسمت جنباته أم عبست ، ما هو عمر الانسان الى جنب أعمار العوالم في الطبيعة ، والى جنب أعمار طبقات الارض . ما لنا ولهذا التعجب فاننا اذا أمعنا في اشباه هذه المسائل غرقنا في خضم الزمان ، وتبين لنا اننا لم نك شيئاً في العالم ، أرجع بالخاطر الى الماضي ، وقد كان الشباب مئيد الغصن ، أملد العود ، وكان البال هادئاً والفكر صا كنا لم يشغله شيء من شواغل الحياة وما اكثر شواغلها اللهم الا انصرافه الى الادب وتمتعه بآثاره الخالدة ولكن هل كنا نفهم هذه الآثار ؟ هل كانوا يفهموننا اياها ؟ هل كان يحسن فهمنا ونفهيمهم ؟ كنت ورفيق لي اذا اغتنمنا خفة من زحمة مدرستنا نتردد الى مكتبة مطمئنة مستقرة ليس فيها شيء من العظمة وانما عظمتها في حقارة شأنها كنا ننتاب هذه المكتبة في حي رفيقي اي في حي النصارى فما كنا نجالس من الشعراء الا شيخنا ابا الطيب ولا كنا نحادث من الكتاب الا أستاذنا عبد الله بن المقفع .

اني لا أزال اذكر الابيات التي كنا نرددها ونستعظمها ونحن لا نعرف السر في عظمتها ، ومن هذه الابيات ، وهي كريمة علي ، لانها رفيقة الصبوة وشقيقة الروح :

وانا لنلقى الحادثات بانفس   كثير الرزايا عندهن قليل

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

يهون علينا ان تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنـا وعقول

ومنها : واحتمال الاذى ورؤية جانيه ... غذاء تضوى به الاجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش اخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت ايلام

ومنها في استعطاف سيف الدولة :

ان كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح اذا ارضاكم الم

ومنها في رثاء جدته :

اتاها كتابي بعد يأس وترحة ... فماتت سروراً بي فمت بها غما
حرام على قلبي السرور فانني ... اعد الذي ماتت به بعدها سما

نعم هذه طائفـة من الشعر الذي كنا نتحدث به انا ورفيقي من دون ان نخوض في شيء من الكلام على بواطن هذا الشعر او نتصدى لكشف الغطاء عن اسراره وانما كان يسحرنا بظاهره فيشغلنا جمال هذا الظاهر عن النظر في جمال البـاطن فكنا نجهل المتنبي ونجهل طبيعة عبقريته وانما كنا نتغنى بشعره حتى افترقنا فطرحتني النوى مطارحها واذا انا في شارع من شوارع الاسكندرية واذا انا في دكان وراق من الوراقين فأخذت عيني ديوان ابي الطيب الذي شرحه الشيخ اليازجي فاشتريت هذا الديوان وحفظت منه ما تيسر لي حفظه وقد ذهب المحفوظ الا اقله وانا لم ازدد معرفة بالمتنبي وبحقيقة حاله وشعره وانما ازددت عبادة له ٠

هذا اول عهدي بشيخنا ابي الطيب وما قدمت هـذا الكلام عبثاً ، ولا رجعت الى الماضي عرضاً ، فلم اتعود ان اقلق غيري واضجره بكلامي على نفسي وانما المرء لا يكون امينا كل الامين الا اذا جرى على لسانه ما تصوره فكره هذا ما قاله اناتول فرانس ، لم اعرض الماضي عليكم عبثاً وانما اردت ان اصف لكم طوراً من اطوارنا في فهم الادب ، اردت ان اصور لكم كيف كانت دراستنا للادب من سبع عشرة سنة ، كنا لا ندري بشيء من جملة حياة الشاعر وجملة اخلاقه وطبائعه وجملة عبقريته ، حسبنا ان نستظهر بعض اشعاره ونزوي هذا المستظهر في مجالسنا حتى يطبعنا الادب بطوابعه ويصبنا في قوالبه ، اما اليوم فلا يكفينا ان نملأ اذهاننا ببعض ابيات نجعجع بها في محافل الادب، تلك حالة

قد خلت ، ليس صاحبها في شيء من الادب ، قرأنا المتنبي فلم نعرف عنه كل شيء تهمنا معرفته ، لم نعرف اين ولد واين نشأ وكيف حصّل وقرأ ، وما هي اخباره من مبادئها الى خواتيمها ، كيف جال في الاقطار وكيف اتصل بسيف الدولة ثم انفصل عنه ، وكيف قصد كافوراً ثم تركه ، وكيف عاد الى بغداد ثم خرج منها ، وكيف رحل الى بلاد فارس ثم غادرها فقتل في طريقه الى وطنه الكوفة ، قرأنا المتنبي فلم نحط بشيء من سلسلة اخباره ، فلم يتبين لنا طراز حياة المتنبي وما قصدنا ان نعرف انه اتصل بفلان او فلان من الوزراء والامراء ، وانما اذا عرفنا جملة اخباره استخلصنا منها نمط حياته فتبين لنا ان هذه الحياة كانت جياشة بالحوادث والفتن فياضة بالقلق والاضطراب يكاد صاحبها لم يعرف الهدوء في يوم من ايامه ، ولم يذق الطمأنينة في ساعة من ساعاته ، اعصاب هائجة مائجة اذا حركوا منها طرفاً انتفضت ولا انتفاض البرق فويل للذي مسها بسوء .

هكذا قرأنا المتنبي ، اما اليوم فاني احاول ان ادرسه واياكم على صورة اتم ، ووجه اكمل ، احاول اليوم ان اقرأ كل ما اهتدي اليه مما يتعلق بحياة المتنبي ، احاول ان اقرأ شعره وان ادون في دفتري ما توحيه الي هذه القراءة ، وان احدثكم في كل اسبوع بما بقي في نفسي من آثارها على مختلف صفات هذه الآثار ، وعلى مابه لابد انا من ان ننتقل الى وطن شيخنا ابي الطيب ونراقبه في اطوار حياته بمجامعها ونصحبه في اسفاره كلها ، في جولانه في الشام وفي اتصاله بسيف الدولة ، وفي دخوله مصر وخروجه منها ، وفي رجوعه الى العراق وفي شخوصه من العراق الى فارس وفي مغادرته بلاد فارس وعودته الى وطنه وفي مقتله على طريقه الى الكوفة ، لابد لنا من ان نصحب شيخنا ابا الطيب من مبدإ منشأه الى خاتمة حياته وان نعنى بجميع ماحدث له من الحوادث في مجالسه كلها وما اكثر هذه الحوادث ، وان نستنبط منها طراز حياته وماملئت به هذه الحياة من قلق واضطراب ، وماانقلبت فيه من علو وهبوط لا بد لنا بعد الوقوف على دقائق هذه الحياة من معرفة مزاجه وخلقه مستندين في هذه المعرفة الى آثار عبقريته نفسها لابد لنا من النظر في آثار عصره في شعره وآثار شعره في عصره ، ما الذي اوحاه اليه عصره وما الذي اوحاه الى عصره لا بد لنا من النظر في عبقريته وفي خصائصها راجعين في الاحاطة بهذه الخصائص الى مصادر شعره

وجملة القول : لا بد لنا من ان نعيش مع المتنبي حتى نعرف من هو المتنبي ، وقد يجوز أن يعرض لي في اثناء هذا كله فكر عام يجره فكر خاص ، لان المرء اذا تصور موضوعاً وهيأ له عناصره ثم اخذ قلمه ليكتب هجم على ذهنه شيء ما كان يتصوره ، كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف فقيل له في ذلك فقال تزدحم الافكار في صدري فيقف القلم لتحيره ·

اول ما يهمنا علمه الاحاطة بحياة المتنبي من اولها الى آخرها ، والوقوف على اخباره وحوادثه من دون ان تكون هذه الاخبار مقتضبة مبعثرة فاذا وقع الاقتضاب في الاخبار فاتتنا صورة صاحبها المتكامله ، فاذا كنا نبحث عن حياة المتنبي وتعرضنا في خلال بحثنا للكلام على شعره من دون ان يكون لهذا الكلام ارتباط بحياة صاحبه شاهت صورة هذه الحياة وقبحت فالاجدر بنا ان ترسل اخبار الحياة دفعة واحدة ، وقد عني الافرنجة بهذا النمط من الترتيب العناية كلها ، اذكر اني قرأت كتاباً عمله « اناتول فرانس » سماه العبقرية اللاتينية ، وصف فيه طائفة من كبار شعراء فرانسة وكتابها من جملة هؤلاء الشعراء (راسين) وكاد راسين يكون اكبر شعراء فرانسة عقد له اناتول فصلاً في كتابه يشتمل على خمس وثلاثين صفحة لم يذكر فيها الا حياة راسين من صدورها الى اعجازها وقليلاً ما كان يتعرض للكلام على عبقريته في تضاعيف كلامه على حياته الا ما اقتضاه المقام ، من هذا يتبين لكم مبلغ اخبار الكاتب او الشاعر في الادب الحديث لان لهذه الاخبار تعلقاً بروح الشاعر وباخلاقه وبطبائعه وبعبقريته نفسها ·

رجعت الى المصادر التي استطيع ان اهتدي بها الى معرفة حياة المتنبي من جملة هذه المصادر : ابن خلكان ، طبقات الادباء ، يتيمة الدهر ، الصبح المنبي · تصفحت كتاب ابن خلكان فبدلاً من ان يبدأ بالكلام على مولد المتنبي ثم على اهله ثم على تحصيله ثم على اخباره ثم على شعره ، بدأ بالكلام على تحصيله ثم انتقل الى الكلام على شعره ونثره ثم ذكر نظر الناس فيه ثم رجع الى اخباره ثم بيّن مولده ثم ذكر نسبه حتى ركب البحث بعضه بعضاً دون شيء من الترتيب وكذلك صاحب الصبح المنبي فانه عوضاً عن ان يروي لنا اخبار المتنبي دفعة واحدة رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا اخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى اخباره عند ابن العميد ، بحيث قضيت ثلاث ساعات ونصف ساعة في التدقيق والتمحيص حتى اجمع اخبار ابي الطيب كلها ، واصل بعضها

ببعض من بدء حياته الى يوم مقتله ، فلو ذكر صاحب الصبح المنبي الاخبار دفعة واحدة من دون ان يتخللها شيء من نقد الشعر او غيره مما لا محل له في فصل الاخبار لكفى القارئ كثيراً من العناء . ادبنا في القديم لا يزال فوضى ينقصه كثير من الترتيب ، وهذه حقيقة واضحة حتى ان هذه الفوضى قد حملت بعض الناس على ان يعتقدوا اننا لا ادب لنا في القديم ، او ان هذا الادب لا قيمة له . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد الا لقلة الترتيب في ادبنا فلو روى المؤلفون اخبار شاعر من الشعراء على حدة حتى نستخلص من هذه الاخبار طراز حياته باجمعه . ولو نقدوا شعر هذا الشاعر على حدة حتى نستنبط من هذا النقد رأيهم في الشعر دون ان يتخلل الاخبار شيء من النقد . او ان يتخلل النقد شيء من الاخبار مما لا يتعلق بالنقد . لو فعل المؤلفون هذا كله لكان ادبنا في شكل اتم ، فاذا قلنا ادبنا في القديم فوضى فما في مقالنا شيء من المبالغة . وما اظن ان ادبنا في الحديث فحسن ترتيباً . ومن المؤلم ان يدعو استاذ رومي في المجمع العلمي في لنينغرد وهو الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي ادباء العرب الى تنظيم ادبهم في هذا العصر قبل ان يفكر احد من هؤلاء الادباء في التنظيم ، فقد كتب هذا الاستاذ مقالة بالعربية سماها : درس الاداب العربية الحديثة — مناهجه ومقاصده في الحاضر — نظر واقتراح — وارسل مقالته الى مجلة المجمع العلمي في دمشق ، وستظهر هذه المقالة قريباً في مجلة المجمع . وقد قرأتها كلها فان صاحبها دلنا على ما يجب علينا ان ننهجه من المناهج في ترتيب ادبنا الحديث واقترح ان يكون دخول نابوليون مصر فاتحة عصر هذا الادب .

دمشق : في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠



المحاضرة العاشرة

وطن المتنبي

خد العذراء

- ٣ -

« موقع الكوفة — اوليتها - وصفها »

انتقل بكم في غسق ليلتنا هذه من البلد الذي رمى ظله عليه جبار بني أمية الى البلد الذي أورفت ظلاله فيه جبار بني العباس ، انتقل بكم من دمشق الى بغداد :

محضتك يابغداد ودي على النوى وأني ان أمحض ودادي أصدق
فما بردى لولا الفرات بموزد لظمآن ان يشرب من الماء يشرق
ولا دجلة لولا مناهل جلق بمجرى برود كالرحيق مصفق

انتقل بكم من شواطيء بردى الذي نكاد نسمع نجواه وراء قاعة مدرستنا الى شواطيء الرافدين : دجلة والفرات ، تصوروا الامم التي طوتها هذه الانهر الثلاثة ، تصوروا العبقريات التي نبتت على ضفاف هذا الماء السادر في غلوائه ، الجامح في خيلائه ، الذي ماانفك يسخر في ماضيه وحاضره وآتيه من كل جبار عنيد . مالنا ولهذه الذكريات الاليمة ، استغفر الله . وهل الامم الا سلاسل ذكريات . هل كان الحاضر الا ابن الماضي هل كان الآتي الا نتيجة الحاضر ؟ . انتقل بكم من منازل العصابة الذين نادمهم حسان في الزمان الاول بجلق ، من منازل ابناء جفنة على بردى الى منازل النعمان على الفرات من منتزهات الغوطة جنة الدنيا الى منتزهات الخورنق والسدير .

اني لاجوز هذه المواضع كلها دون ان اقف بكم على موضع منها ما خلا موضعاً طلع على الدنيا والناس من عشرة قرون ونيف برجل ملأ الدنيا وشغل الناس ، وقبيح بنا ان نلقى شيخنا ابا الطيب في ضجعته ونبعثه من مرقده من غير ان نطوف بالوطن الذي انبت امثال ابي الطيب ، ولا مثيل له ، ونعرف شيئاً من خصائص هذا الوطن ، والمرء ابن ارضه وسمائه ومائه وهوائه يأخذ من تربته وبسطها وتناجيه وبناجيها يؤثر فيه كل ناحية

من نوحي هذه التربة فلا يتخلص من عوامل طبيعتها ولا ينسلخ من عوامل السياسة والاجتماع والتاريخ في آفاقها ، على ان بعضهم لم يجعل للبيئة المقام الاول في نشوء العبقريات ، قال الاستاذ برونتير :

« لا تنسوا ان المرء وان كانت بيئته تؤثر فيه فهو يستطيع ان يتخلص من آثارها وانه يستطيع ان يصرّفها في مصالحه وقد أجمع علماء الطبيعة على هذا الامر ، لا شك في انهم لا ينكرون آثار البيئة ولكنهم بعيدون عن ان يجعلوا لها حتى في علم الحيوان المحل الذي جعله لها (تين) في مذهبه » .

وسواء اتركت الكوفة في شعر ابي الطيب أثراً من آثارها ام لم تترك . وسواء اكان هذا الاثر غامضاً ام كان واضحاً لا بد لنا من السياحة في الكوفة .

اين هو هذا الوطن على التحقيق ، نقرأ ان المتنبي ولد في الكوفة في محلة يقال لها كندة ، ولكننا قليلاً ما نهتم بمعرفة موقع الكوفة وقليلاً ما نبالي بمعرفة طبيعتها ولا نسأل هل تغنى المتنبي بوطنه ، هل عق وطنه . وحسبنا ان نعلم ان الكوفة مدينة من مدن العراق . قال ياقوت في معجمه : الكوفة بالضم المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق . لا شك في ان هذا التعريف العام لا يزال مبهماً ، فهو لم يزدنا علماً بموقع الكوفة ، فلم يبين ياقوت اين الكوفة من بغداد واين هي من دجلة او الفرات حتى انه لو ورد ابياتاً في هجاء اهل الكوفة من جملتها بيت من الشعر أتحاشى عن ذكره في مثل هذا المقام، يدل هذا البيت على ان الكوفة قريبة من دجلة وهذا خطأ لم ينبه عليه ياقوت .

قال صاحب كتاب بلاد العرب الاستاذ (دي فرجر) مصّر عمر البصرة على خليج فارس ، ومصّر الكوفة على بحيرة الرهيمة . فأين الرهيمة ؟ يقول لنا الفيروزابادي في قاموسه المحيط : ورهيمة كجهينة عين بين الشام والكوفة . وهذا التعريف لا يقل غموضاً عن تعريف ياقوت للكوفة . وردت الرهيمة في شعر المتنبي معرفة بال . لما خرج ابو الطيب من مصر ورجع الى الكوفة وصف منازل طريقه فقال في جملة ما قال :

فيا لك ليلاً على اعكش ... احم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمة في جوزه ... وباقيه اكثر مما مضى
فلما انخنا ركزنا الرماح ... بين مكارمنا والعلى

من هنا يستدل على ان الكوفة واقعة على الرهيمة او قريبة منها لانهـا آخر ما ذكر المتنبي في قصيدته من المواضع ، وقد ذكر عشرين موضعاً فبعد ان ورد الرهيمة قال : ركزنا الرماح اي بلغنا الى الكوفة .

فالكوفة على التحقيق واقعة على الجانب الجنوبي من بغداد ، في الجانب الغربي من الفرات ، وبينها وبين بغداد مائة واربعون كيلومتراً وصفها عراقي لي فقال : فيها بساتين ولا تزال آثار مسجدها القديم قائمة .

ولئن طولت الكلام على موقع الكوفة فقد تعمدت هذا التطويل لتعرفوا قلة التوضيح وقلة التحقيق في كثير من كتبنا .

ما معنى الكوفة . ويسميها قوم خد العـذراء وسماها عبدة بن الطبيب : كوفة الجند فقال :

انّ التي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند قد غالت بها غول

قال ياقوت في معجمه :

« قال ابو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتهـا ، اخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل اذا ركب بعضه بعضاً ، ويقال : اخذت الكوفة من الكوفان . هم في كوفان اي في بلاء وشر ، وقيل : سميت كوفة لانها قطعة من البلاد . من قول العرب قد اعطيت فلان كيفة اي قطعة ، ويقال : كفت اكيف كيفاً اذا قطعت فالكوفة قطعة من هذا ، انقلبت الياء فيها واواً لسكونها وانضمام ماقبلها . وقال قطرب : يقال القوم في كوفان اي في امر يجمعهم ، قال ابو القاسم : قد ذهب جماعة الى انها سميت كوفة بموضعها من الارض وذلك ان كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة . وقال آخرون : سميت كوفة لان جبل ساتيدما محيط بها كالكاف عليهـا . وقال ابن الكلبي : سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان ، وعليه اختطت مهرة موضعها . وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به . فهذا في اشتقاقها كاف » .

نعم هذا في اشتقاقها كاف . وهذا اكثر من الكافي ، ثمانية اسباب في تسمية بلد ، يحار المرء في معرفة الاصح منها ، فيخرج من حيرته هادئ البال ، مطمئن الفكر بقوله : والله أعلم .

مالنا ولهذه الفوضى ، فلننظر الى اولية الكوفة في الاسلام ، فلنرجع الى أوائل الفتح الاسلامي ، فلنرجع الى ايام عمر بن الخطاب دون ان نجاوز هذا الزمن مخافة ان نضيع في مجاهل العصور .

بنيت الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب على مقربة من أطلال الحيرة ، منازل المناذرة والاكاسرة قبل الاسلام . قال قوم : مصّرت الكوفة في السنة التي مصّرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ ، وقال آخرون : مصّرت الكوفة بعد البصرة بسنتين ، وقالوا بسنة . والسبب في بنائها ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت تفد عليه وفود العرب بعد الفتوح وألوانهم شاحبة ، وسحناتهم متغيرة ، فكتب الى سعد بن ابي وقاص : ان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما اصلح الشاة والبعير ، فلا تجعل بيني وبينهم بحراً . وعليك بالريف ، فوقع اختيار سعد على ارض يقال لها قبل الاسلام سورستان فبنى فيها الكوفة ، وكان اول ما خط فيها المسجد ودار الامارة وقد نزل الكوفة في أوائل الفتح الاسلامي جماعة من نزار واهل اليمن ، اما اهل اليمن فكانت خططهم في الجانب الشرقي من البلد وهو خير الجانبين ، واما نزار فقد كانت خططهم في الجانب الغربي من وراء الغابات ، اني الفتكم من اليوم الى منازل اهل اليمن في الكوفة فسيمر بكم ان المتنبي ينتسب الى حي يمان فكأن اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول امرها في الاسلام أحبوا ان يسموا محلتهم فيها كندة احياء لذكر كندة ابي حي من اليمن ، والمتنبي ولد في هذه المحلة حتى قال قوم بدئ الشعر بكندة ، يعنون امرأ القيس ، وختم بكندة يعنون ابا الطيب .

هذا موقع الكوفة وهذه اوليتها ، افلا يليق بنا ان نسمع وصفها ، ونعرف طبيعتها وللشاعر ارتباط بطبيعة وطنه ، وصف الكوفة محمد بن عمير العطاردي لعبد الملك بن مروان فقال : الكوفة سفلت عن الشام وو بائهـا وارتفعت عن البصرة وحرها فهي بر بة مريعة اذا اتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور واذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد وورده و ياسمينه واترنجه ، ماؤنا عذب وعيشنا خصب .

ووصفها الحجاج فقال : واما الكوفة فبكر عاطل عنطاء لا حلي لها ولا زينة .

وكان علي اذا اشرف على الكوفة يقول : يا حبذا مقالنا بالكوفة — ارض سواء سهلة معروفة — تعرفنا جمالها العلوفة (١) .

والظاهر ان الكوفة صبغت في بدء امرها بصبغة دينية فكان سلمان الفارسي يقول: اهل الكوفة اهل الله ، وهي قبة الاسلام يحن اليها كل مؤمن، وكان علي يقول : الكوفة كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينصرن الله باهلها في شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز .

وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن اهل مكة وخذوا القراءة عن اهل المدينة وخذوا الحلال والحرام عن اهل الكوفة .

هذه صورة الكوفة التي عرضوها علينا ، ولكنها سرعان ما عركت بالنوازل وركبت بالزلازل كما قال علي ، ولقد اشبه المتنبي امه الكوفة فما ظلم فما كان الا ابن النوازل ولا كان الا صنو الزلازل ، مارسته ومارسها وطاعنته وطاعنها فما هو ملّها ولا هي ملّته .

ثم هذا هو وصف الكوفة على قدر ماتيسر ، ولقد نشأ في الكوفة من الشعراء مطيع ابن اياس وحماد عجرد وابو دلامة ودعبل الخزاعي وابو العتاهية وغيرهم حتى قال بعضهم: الشعر ميراث في الكوفة ، ولما استنفر علي اهل الكوفة لقتال اهل الشام ولم ينفروا معه خطب فيهم فقال : اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار ، تربت ايديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل » فالظاهر ان الشعر كان يجد في خد العذراء تربة صالحة وهواء صالحاً حتى زعم حماد ان النعمان بن المنذر امر فنسخت له اشعار العرب في الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض بالكوفة فلما وثب المختار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة سنة ٦٦ في سلطان ابن الزبير قيل له : ان تحت القصر كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الاشعار قال : فمن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة .

وفي الكوفة نشأ أكابر النحاة معاذ الهراء والكسائي والفراء وابن السكيت فكان الشذوذ من طبع الكوفيين .

---

(١) هكذا ورد الضمير في تعرفنا والمقام يقتضي رجوعه الى الجمليل .

وفي الكوفة نشأ اكابر علماء اللغة والادب كحماد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن قتيبة وفيها نشأ كثير من الحفاظ ·

من كل ماتقدم يتبين لكم ان الكوفة مدينة الشعر ومدينة النحو والشذوذ ومدينة اللغة ومدينة الدين · فقد ظهر فيها شيء من هذا كله وظهر على شيخنا ابي الطيب شيء من هذه الآثار باجمعها . فالشعر من طبع المتنبي والشذوذ من سجيته واللغة مختمرة فيه الا الدين فاني لا اجد في شعره نزعة اليه ، وانما لما اتصل بسيف الدولة ووصف غزواته في بلاد الروم وردت في شعره أبيات قلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيعة الحرب بين الروم والمسلمين ·

ولست أعني بهذا ان الكوفة هي التي خلقت الشعر في طبع المتنبي او طبعته على الشذوذ ولو كان الامر كذلك لوجب ان يكون شعراء الكوفة كلهم مثل المتنبي وانما المتنبي مطبوع على الشعر ومطبوع على الشذوذ · واذا كان للبيئة اثر في المرء فقد يجوز ان يكون للكوفة بعض الاثر في نمو هذا الطبع وليس في هذا شيء من المبالغة على ان هذا المقام انما هو مقام الكلام على وصف الكوفة وطن ابي الطيب لاغير ، فلا أخرج عن هذا الكلام ·

هذا آخر ما أحببت ان اذكره لكم مما يتعلق بالكوفة ، ولقد وددت لو ان لخد العذراء اثراً في شعر المتنبي أبلغ من الاثر الذي وجدته فليتني لم أعرف الكوفة الا من شعر ابي الطيب · واذا الشاعر لم يتغن بوطنه فمن الذي يتغنى به ؟ ان النفوس لتحركها محبة الألوان والأشكال اي أشكال هذا الوطن الكريم والوانه البراقة الوضاءة فمتى استطعنا ان نتغنى بجبالنا ولوديتنا وبمروجنا وسهولنا ومتى استطعنا ان نتغنى بهذا النسيم العليل الذي نشقه اباؤنا وأجدادنا ، وبهذا الماء العذب الذي وردوا عليه وصدروا عنه وبهذه الغوطة الغناء محلى الطبيعة ، ومغنى الانس عرفنا حينئذ قيمة الوطنية الحقيقية الهادئة التي لا نقوى على قتلها العصور والأحقاب فما تكر عليها الايام الا ازدادت رسوخاً في القلوب وتمكناً من الصدور ·

ان شيخنا ابا الطيب لم يبر وطنه المبرة التي نريدها في هذا العصر فكأن فكرة الوطن حديثة ، ولكنها غير حديثة الا ان شعراءنا لم يعالجوها في القديم معالجتنا لها في هذه الايام ·

لم يترك المتنبي في شعره اثراً للكوفة · ولكنه تغنى ببعض منازل قريبة من وطنه

فتارة كنت أجده شديد الحنين الى كندة محلته بالكوفة حتى جعل هذه المحلة بمنزلة والدته فقال لعلي بن ابراهيم التنوخي :

امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

وتارة كنت اجده لا يوحشه وطنه اذا شطت به النوى فهو لا يأتي بضرب في البلاد مكتسباً فقد قال

وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق

ثم مرة كان يستوحش فيشتاق الى وطنه والى اهله من مصر :

بما التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

* * *

أحن الى اهلي واهوى لقاءهم واين من المشتاق عنقاء مغرب

ومرة كان يستغني عن هذا الوطن فيطيب له المقام بكل ارض يأمل فيها ضيعة او ولاية ، فقد قال لكافور في مصر :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وقال له :

وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

والخلاصة لم يتغن ابو الطيب بالتربة التي أنبتته و بالهواء الذي شمه و بالظلال التي أظلته واذا حن في بعض الأحيان الى شيء من هذا كله وذكر بعض أماكن قريبة من وطنه اختصر الكلام ولم يطوله :

وليلاً توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق

بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبنه للمخانق

والثوية موضع على مقربة من الكوفة .

وكم دون الثوية من حزين يقول له قدومي : ذا بذا كا

على ان المتنبي كان جواب آفاق قد دحا الارض فلم تشتد الفته لوطنه .

كأني دحوت الارض من خبرتي بها كأن بني الاسكندر السد من عزمي

فكان اذا نزل منزلاً وكرمه اهل هذا المنزل و بجلوه . استطابه فلم يحن الى ربعه .

دمشق : في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

المحاضرة الحادية عشرة

نسب المتنبي

- ٣ -

اتصاله بقبائل اليمن — تأثير الدم — فخره بقومه — فهم الناس لشعره — اهله

استوقفتكم وانا اطوف بكم في « خد العذراء » على الجانب الشرقي من هذا البلد الطيب ، مهبط الشعر والعبقرية ، وذكرت لكم ان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول تمصيرها كانت خططهم ومنازلهم في هذا الجانب ، وهو خير الجانبين ، والمتنبي ولد في كندة وهي محلة في الكوفة ، فكأن اليمانيين الذين استوطنوا الكوفة ، احبوا ان يحيوا فيها اسماء بطونهم ، فسموا محلة كندة ، وكندة ابو حي من اليمن ، وسموا محلة ثانية السبيع ، والسبيع بن سبع ابو بطن من همدان ، وهمدان قبيلة باليمن ، وقد جاء ذكر المحلتين في شعر ابي الطيب ، ورويت لكم البيت الذي تضمنهما :

امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فلننظر هل للمتنبي اتصال بهذه القبائل اليمانية وما هو نسب المتنبي .

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر التنقيب والاستقصاء كتاباً يبحث بحذافيره عن حياة المتنبي وخلقه وشعره واسلوبه ، من دون ان يهتموا بالبحث عن اصل المتنبي ، سواء أكان هذا الاصل ظاهراً بعض الظهور ام كان خفياً بعض الخفاء ، لست ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

من دون ان يعتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا الفؤاد ، فاذا خفي علينا اصل المتنبي ، خفي علينا ادراك روحه الذي يترقرق في شعره ، واذا نحن لم نفهم روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره .

اجمع الرواة على ان شيخنا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره .

تحمل المسك عن غدائرها الريح ونفتر عن شنيب برود
جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفون التسهيد

واجمعوا على ان اباه اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، ولكنهم اختلفوا في اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقال آخرون : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطربوا في اسماء اجداده فقد اطبقوا على ان ابا المتنبي جعفي . قال صاحب طبقات الادباء: وذكر القاضي ابوالحسن ابن امشيدان الهاشمي الكوفي ان عيدان كان جعفياً صحيح النسب . وعيدان السقاء لقب والد المتنبي ، فقد هدأ بالنا من ناحية نسب ابيه ، فلننظر اليه من ناحية نسب امه فلنستعن بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن: وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هنا يتبين لكم ان والد المتنبي جعفي وان جدته همدانية ، فانكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها فللمتنبي اصل من الاصول ، فلندقق هذا الاصل على قدر الامكان .

قلت : نزل الكوفة في اول امرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة همدان ومذحج ، وبهمدان ومذحج استعان زياد وهو امير البصرة والكوفة على القبض على حجر ابن عدي صاحب فتنة الكوفة في ايام زياد وعلى شباب همدان ومذحج في الكوفة كان يثني زياد فاذا علمتم ان بين السنة التي مصّرت فيها الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٣ ثلاثة قرون على التقريب واذا احطتم من جهة ثانية باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم ان اصل المتنبي من هذه القبائل اليمانية التي رمت اظلالها على الكوفة في اول بنائها .

والد المتنبي جعفي وجدته همدانية فالمتنبي يماني الاصل من الناحيتين من ناحية ابيه ومن ناحية امه وفي فضائل بيوتات اليمن يقول عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميمه .

فلننظر الى المتنبي من ناحية ابيه . كان الحسين جعفياً صحيح النسب وجعفي على وزن كرمي من بطون سعد العشيرة وانما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب

معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل وسعد العشيرة من قبائل مذحج وببيان مذحج اقر ابو عبيدة فقال : ولسان العرب مذحج ·

ولننظر اليه من ناحية جدته · كانت جدته همدانية صحيحة النسب، و بفروسية همدان اعترف ابن الكلبي فقال : وهمدان احلاس الخيل وفي همدان يقول الشاعر :

ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان سنّى فتحة البـاب

كالهندواني لم تفلل مضـاربه وجـه جميل وقلب غـير وجاب

وفيهم يقول علي :

فلو كنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ومن همدان اعشى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الامو ية وكان النعمان بن بشير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمن ولسانها ·—

فالفروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المتنبي والبيان في هذه القبائل ·

اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان نفهم كلام الذي يقول وفؤادي من الملوك ··· فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لا بل اشياء من الفروسية والصلاح وان الذي ينتسب الى جدة صالحة موصوفة بالحزم لايستغرب فخره ان فخر ·

نعم اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان ندرك روح المتنبي واسرار خلقه في الآتي وليس من الضروري ان تكون جدة المتنبي صالحة او ان يكون جده او خاله او عمه فارسًا من الفرسان ، حتى يتوارث المتنبي عنهم الصفات وانما يكفي ابا الطيب ان يكون احد اهل بيته في القديم قد جمع شيئًا من هذه الصفات حتى ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل الميراث فالمرء يتوارث محاسن الصفات ومقابحها عن اهله في قربهم منه وبعدهم عنه فقد يتوارث عن ابيه او خاله او عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الزمن وقد يتوارث عن احد اقاربه في قديم الدهر مهما كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراخيًا فالعرق نزاع ·

قرأت مقالاً في مجلة بار يز لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوطنا في هذه الايام بلاد الترك بعد ان تغيرت معناتهم عن معنائهم القديمة ومنعنا الامم عن مخالطتهم وحصر

الترك في بلادهم فلم يصهروا الى احد من غيرهم ولم يصهر غيرهم الى احد منهم ودام هذا الحصر الف سنة لرجعت هيآتهم بعد الف سنة الى هيآت الترك القدماء المعروفين بلونهم الخاص وبتركيبهم الخاص وبصفاتهم الخاصة ٠

من هذا يسهل عليكم ان تعتقدوا ان المتنبي انتقلت اليه صفاته التي سوف نكتشف لكم في كلامي على اخلاقه من احد اقاربه في الحديث او في القديم ولا عجب في هذا مادام ابوه جعفياً ومادامت جدته همدانية وفي جعفي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب ٠

* * *

للدم تأثير في العبقريات واظن انكم لاتزالون تذكرون مذهب (تين) في النقد فقد أراد (تين) ان يجعل للجنس وللبيئة وللزمن تأثيراً في القرائح والامزجة فمن البشر على مايقول من يجمع صفات الشجاعة والفطنة ومنهم من يُعرف بالبلاهة وقصر المدارك ومنهم من يعلو في التصورات والمخترعات ومنهم من يسف ومنهم من يختص بطائفة من الاعمال وتقوى فيهم طائفة من الغرائز كما ان من الكلاب مايصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيد ومنها ما يصلح لحراسة الدور والمواشي ٠

وقد ذكرت لكم ان (تين) قد أدخل عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الاان مذهبه لايخلو من شيء من الافراط ، وقد أشار الاستاذ (برونتير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط في نظر (تين) ان بعض أجناس البشر يصلحون لشيء لاتصلح له اجناس غيرها فقال (برونتير) لو صح هذا النظر على الاطلاق لامتنع علم ماوراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان اكبر عالم في علم ماوراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرتغال وهو سبينوزا ٠

ولئن كان مذهب (تين) فيه شيء من الافراط فهو لايخلو من شيء من الحقائق ٠ فان للدم تأثيراً في العبقريات ٠ فقد تشتهر أجناس من البشر بامور لايشتهر بها غيرها ٠ وقد تعرف قبائل باشياء لايعرف بها غيرها ٠ كانوا يقولون مثلاً : جرأة بني الحرث ٠ فتك مراد ٠ بأس زبيد ٠ كيد جعفي ٠ مغار طيء الى غير ذلك ٠ وقد يتوارث اواخر القبيلة المحاسن والمساوىء عن اوائلها ٠ فالمتنبي انتقلت اليه صفاته من احد أقاربه في

جعفي او في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبيّ صفاته المعروفة من دون ان تكون مجموعة في احد أقاربه .

من كل ما تقدم استخلص ان ابا الطيب وقد صح نسبه في جعفي وفي همدان ولد وفي طبعه اشياء متوارثة عن اهله في هاتين القبيلتين . فهو لم تحدثه نفسه بهذه الاماني البعيدة من دون ان يكون منتسباً الى اهل قد حدثتهم انفسهم بمثل هذه الاماني . واذا لم نشأ ان نفهمَ هذا كله فكأننا لا نشأ ان نفهم روح ابي الطيب .

فالشيخ ابو الطيب يماني الاصل من ناحية ابيه ، ومن ناحية أمه فهو عريق في يمانيته . وفي عروبيته . وسأتكلم في الاسبوع الآتي بكلام على تعنيه بعروبيته . ومن الغريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي جملتهم ابن خلكان وصاحب طبقات الادباء والثعالبي وصاحب الصبح المنبيّ اقتصروا في كلامهم على ابي الطيب على ان قالوا في ابيه انه جعفي ، وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومنهم من لم يشر الى أصله ، وأغرب من هذا كله ان صاحب كتاب ابي الطيب المتنبيّ الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين ، قد انبت ابا الطيب في اسوإ المنابت ، ورده الى ارذل الاصول ، ولم يكتف بهذا كله فذهب مذهباً أبعد ، فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان يعترف في بعض شعره بوضاعة نسبه وانحطاط اصله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أمّا

فظن ان ابا الطيب ينفي عن جدته كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ، فابو الطيب يقول لجدته في هذا البيت : لو لم يأتك الكرم من نواحي ابيك لاتاك من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد ، وانت أم اكرم ولد ، فقد جمعت اليك الكرم من ناحية ابيك ومن ناحية ابنك ، ولعمري كيف ينفي الكرم عن قومه من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

فاذا كان القوم الذين تأنف نفوسهم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم ؟ أفيملكه اللاصقون بلحومهم اللازقون بعظامهم الذين لم يحلقوا في جوٍّ اعلى من جو الحيوانية .

وكما انه اساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد اساء اليه في فهم ابيات غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد همام

فظن ان اباالطيب ينفي عن جده عظيم همته والمتنبي يقول ولا يحتاج قوله الى دليل لست أقنع من الفضل بان اكون منسوباً الى جد عظيم الهمة وانما أمنيتي ان اجمع شيئاً من الفضل بنفسي فأبوالطيب يعتقد انه فاضل وابن فاضل .

من جملة هذه الابيات التي ساء فهمهم لها قوله :

فخر الفتى بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأخوال

او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه يفوق ابا الباحث والنجل بعض من نجله
انما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفدوا حيله

فلا يستنبط من هذا ان المتنبي لا يفخر بعمومته وخؤولته وانما المتنبي يرجع في هذه الابيات الى شنشنته ، فهو يرى ان الفخر بالنفس و بالفعل أعظم من الفخر بالعم و بالخال وهذا لاينفي عن ابي الطيب فخره بالعمومة والخؤولة وانما يؤيده فكأنما المتنبي يريد ان يجمع الى تالد الفخر طريفه وهذا أبعد مجالات الهمة .

ولما قال :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي
و بهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لهم وانما الذي عناه بقوله هذا ان قومه شرفاء وانهم فخر العرب كلها ولكنه اشرف من قومه .

ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن منبت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت ان انبه على خطإ وقعوا فيه مما يتعلق بفهم شعر المتنبي وما اظن انهم انبتوا اباالطيب هذا المنبت الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحيا

فلو كان الحسين الجعفي من اصحاب النعم افكان الناس ينظرون الى المتنبي وابوه غني نظرهم اليه وابوه سقاء ، فالمال وحده هو الذي حرّف الانظار ، ومتى كان المال مقياس الاصول وكرم الاعراق ، افلا نجد في ايامنا من ابناء سلاطين آل عثمان ومن حاشية قياصرة الروس الذين شتتت السياسات شملهم في البلاد من يشتغل باحقر الصناعات حتى لا يموت من الجوع ، افلا نجد من اصحاب النعم رجالا لا يعلم الا الله مقادير اخلاقهم الفاسدة ، انا لا اريد ان اقول ان المتنبي نشأ الملك في بيته قديماً ولكني لا اعتقد انه وضيع ولا اريد ان اعتقد انه كان يعترف بوضاعته ٠

اما وقد فرغت من الكلام على نسب ابي الطيب ٠ فلننظر الى اهله في عصره واىامه فقد اشار في شعره الى امه والى جدته ٠

اما جدته فقد كان غائباً عنها في اقطار الشام ، وطالت غيبته هذه ، وقد ارسلت اليه كتاباً تشكو فيه شوقها اليه ٠ وطول غيبته عنها ٠ فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب اليها كتاباً يسألها ان تسير اليه فقبّلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها فرثاها بقصيدة ملأها من رقة العاطفة وصدقها ـ سأتكلم فيها في اثناء كلامي على شعره وفي هذه القصيدة ابيات تدل على شدة محبة جدته اياه ٠ وعلى شدة محبته اياها فمن قوله في حبها اياه :

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما

ومن قوله في حبه اياها :

احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما

ولا يبعد ان جدته كانت تقرأ فكانت تتعجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :

تعجب من خطي ولفظي كأنما ترى بحروف السطر اغربة عصما
وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينيها وانيابها سحما

وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب مقبلا لرأسك والصدر الذي ملئا حزما

واني أعتقد ان ابا الطيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها من جملتها هذا الحزم ٠

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي ابياتاً أشار فيها اليها :

بيدي ايها الامير الاريب لا لشيء الا لاني غريب

او لام لهـا اذا ذكرتني دم قلب في دمع عين يذوب

وفي هذا البيت عاطفة الامومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل شعراً في ابن العميد قال له في جملته :

يا ليت باكية شجاني دمعها نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

ولكننا لا نعرف هذه الباكية التي بكت على فراق ابي الطيب وأحزنه دمعها ·

وكان له ابن اسمه محـمد صحبه الى بلاد فارس و يظهر ان محـمداً كان شاعراً · نقل صاحب الصبح المنبي عن ياقوت ان المتنبي كان جالساً بواسط فدخل عليه رجل وقال : نريد ان تجيز لنا قول الشاعر :

زارنا في الظلام يطلب ستراً فافتضحنا بنوره في الظلام

فرفع ابوالطيب رأسه وكان محـمد واقفاً بين يديه وقال :

يا محـمد قد جاءك بالشمال فأته باليمين فقال محـمد ارتجالاً :

فالتجأنا الى حنادس شعر سترتنـا عن أعين اللوام

وقد قرأ الشيخ اليازجي انه وجدت له في احدى نسخ الديوان أبيـات بعد فراره من مصر يظهر فيها شوقه الى ابنه محمد والى شيخ يقال له الحسين ، من هذه الابيات :

لولا محمـد بل لولا الحسين لما رأيت رأيي بوهن العزم مختلطا

هذا هواي وذا ابني خط مسكنُ ذا بمصر والشام التي دائماً خططا

والابيات كلها ثمانية وفيها اشارة الى هرب ابي الطيب من مصر ولكنها لا تخلو من تحريف اذا صحت اما محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً عن محـمد واما الحسين فقد يجوز ان يكون شيخاً له وعلى كل الرواية غامضة ·

هذا كل ماحققته من نسب المتنبي ومن اهله في عصره وايامه ، واما مايتعلق بزوجته وبقية اهله فهو خاف علينا · دمشق : في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة المسمى باخبار المذاكرة »

— ٥ —

قال ابو الحسين فكنا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات وهو يعمل وانا مع ابي والمجلس حافل . حتى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل يذكر فيه ان ابا احمد هذا قد بسط (١) في الاعمال واظهر من المروءة امراً عظيما وركب باللبود الطاهرية وبعدة حجاب وغلمان حتى انه يسير معهم في موكب وانه ورد معه من الزواريق (٢) والجمال التي تحمل اثقاله شيء كثير . وان هذا مالا يحتمله رزقه وانما هو من الاصل . فرمى بالكتاب الى ابي القاسم زنجي الباقي الى الآن . وكان اذذاك حدثاً يخط بحضرته . وقال له وقع عليه ليكتب اليه ويعرف انه نفع الرجل من حيث تعمد ضره . لانه اذا كان في مثل هذا الصقع عامل وجيه جليل كثير التجمل والهيبة والمروءة صلح ان يبادر به السلطان الى مصر واجناد الشام متى انكر على عمالها امراً . لان هذه النواحي لاتصلح الا لمن كان حسن التجمل والمروءة كثير النعمة . ثم أقبل على من في مجلسه - فقال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن سليمان ان المعتضد رفع اليه خبر رقعة النوشجاني صاحب بريده يذكر فيها : ان الاخبار

«١» م . ع : لعله تبسط او بسط يده . «٢» م . ع : لم نجد الزواريق ولعلها الزوارق جمع زورق وهو القارب .

ذاعت ببغداد بان حامد بن العباس لما دخل فارس متقلداً فيها لعمالتها دخل ومعه عدد كثير عظيم من الغلمان والحاشية قال فتحيرت لما دفع الكتاب الي وخفت ان يكون قد انكر ذلك ويقع له ان هذا اصطلام (١) للمال . ودخلني فزع منه فلم ادر باي شيء أجيب . فقال لي : يا ابا القاسم وقد كان كناه اول ما استوزره . وكان يتكنى على الناس الا على بدر وصاحب خراسان . وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف والدعاء بينهما سواء . قال لي المعتضد يا ابا القاسم قرأت الكتاب . فقلت نعم . فقال قد سرني ما ذاع من مروءة حامد وهيبته بذلك في نفوس الرعية . فكم رزقه ؟ فقلت الفان وخمسمائة دينار في الشهر . فقال اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مروءته . قال ثم قال ابو الحسن بن الفرات عقيب هذا وقد فعل المعتضد قريباً من هذا مع ابي العباس احمد بن بسطام . فان المعتضد طالبه بعجز ضمانه واسط وحبسه في دار ابن طاهر وألزم سبعين الف دينار يؤديها . فكان يصححها (٢) على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر. وأصحاب عبيدالله يطالبونه ويقتضون المال ، فكتب النوشجاني صاحب الخبر فيه انه كان يفرق في ايام ولايته في كل شهر عشرين كراً حنطة ودقيقاً على حاشيته وعلى المستورين والفقراء . وانه فرق في هذا الشهر الاكرار على رسمه ولم يقطعها وهو مع ذلك يماطل باداء ما عليه . فلما دخل عبيد الله على

(١) م ، ع : اي استئصال . (٢) م . ع : كذا في الاصل وفي التاج صحح الحساب اصلحه .

المعتضد اراه الرقعة . فسكت عبيد الله فقال له المعتضد : قد سرني هذا لان ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروءة وكثرة المعروف وقد جمّلنا بما قد فعله حين لم يظهر ان ما قد الزمناه أحوجه الى الزوال عن عادته في المعروف فكم بقي عليه قال بضعة عشر الف دينار فقال اسقطها عنه ورده الى عمله وعرّفه إحمادي ما قد فعله . فامتثل عبيد الله ذلك .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد بن بدر بن الاصبغ يحدث ابي قال كنت اتصرف مع سليمان بن وهب لقرابة كانت بيننا من جهة النساء وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة حتى انه كان يطحن الزعفران في داري كما يطحن الناس الدقيق لكثرة ما كان يجيئنا من الجبل ونستعمله ونهديه . فولي سليمان ديوان الخراج فكنت احد عماله فيه فوقعت بيني وبين ابنه عبيد الله نفرة فلزمت منزلي اياماً فما شعرت الا برقعة الحسن ابن مخلد يستدعيني وهو يتولى ديوان الضياع وكانت بينهما مماظّة (١) فمضيت اليه فقال لي انت معطل ولا تصير اليّ وقد انفصل ما بينك وبين ابي ايوب فقلت يا سيدي كيف ينفصل ما بيننا مع القرابة ولكن بيننا عتب . فقال دع ذا عنك انت معطل وماتبرح . قال واراد اجتذابي من جنبته وكان الناس اذذاك يتغايرون على الكفاة فقلدني اعمال السيب (٢) الاسفل وقسين (٣) وجبيلا (٤)

«١» م،ع : منازعة . «٢» م،ع : السيب كورة من سواد الكوفة وهما سيبان اعلى واسفل . «٣» م،ع ؛ قسين كورة من نواحي الكوفة . «٤» م،ع ؛ جبيل اسم لاماكن كثيرة منها جبل قريب فيد وفيد بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة ولعلها محرفة عن جبل (بفتح الجيم وضم الباء المشددة)وهي بلدة بين النعمانية وواسط .

وكانت تجري في ديوانه فقبلتها وخرجت اليها وكان الارز قدقارب الادراك فقدرته وعدت الى سر من رأى لاشرح له حال التقدير واستأمره في العمل فلما بصر بي قال قد قدمت على فاقة مني اليك قد تأذيت بالفلاحين واريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه من جبل ياسورين (١) من الشلج فقلت له الارز خافور (٢) وما بلغ الى ان يحرز فقال لا بد من ان تستفرغ جهدك وحيلتك في هذا حتى تخفف عني . وكان اول خدمة فاحتجت ان اضطرب (٣) لاصنع (٤) نفسي عنده فخرجت مفكراً فيما اعمله فلا قبالي لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق وكانت بيننا مودة وكان موسراً وكان جميع متجره غلات السلطان فبدأني على تركي مبايعته شيئاً بالسلف من غلات عملي فاجتذبته الى منزلي وقلت البيت لك فاحتبى (٥) ولو رأيتك ما عدلت عنك . قال فاقام عندي يومه ولم ازل حتى بعته حساب الكر الارز المعدل بسبعة دنانير وكنت قد قدرت الحاصل فيه للسلطان ثلاثة آلاف كر معدل واستثنيت عليه في كل كر ديناراً وأخذت خطه بضمانه تعجيل عشرة آلاف دينار لمن يؤمر بادائها اليه ورحت الى دار الحسن بن مخلد فوجدته نائماً والناس مطرحون في داره. ثم دخلت اليه وشرحت له الصورة فسر بها وأمر باحضار صاحب مجلس النفقات في الديوان وسلم الرقعة اليه وقال أحل الفلاحين على هذا التاجر. فلما خلا مجلسه تقدمت اليه وعرفته خبر الاستثناء واريته الخط وقلت

«١» م . ع : ياسورين موضع فوق الموصل يقال له البلد . «٢» م . ع : الخافور نبت كالزوان ولعله يريد ان الارز في حالته الحاضرة كالخافور . «٣» م.ع : اكتسب . «٤» م . ع : اي اجلها . «٥» لعله سقط : بك .

الى من اسلم المال اذا قبض فلم يجبني فالححت عليه فقال لي يا هذا انك صحبت قوماً لا مروءة لهم فتعودت منهم ان يطيموا نفوسهم الى(١) مضايقة خدمهم في هذا القدر وما هو اقل (٢)منه واذا اخذت انا هذا المرفق فانت لم تخدمني وتتبعني خذ هذا واصلح به حالك ليبين عليك اثر خدمتك لي . فقبلت يده ورجله وعدت الى عملي واستخرجت المال ودبرت العمل . وحضر بعد مديدة النوروز وقد كنت مذ خرجت من حضرته سألت ثقات اخواني من التجار في الاسواق ان يجمعوا لي كل علق حسن غريب طريف مثمن (٣) من فرش ديباج مثقل وابي قلمون مذهب ووشي ودبيقي(٤) مرتفع وقصب . قال فجمع لي من ذلك ما كان شراه (٥) خمسة آلاف دينار وهو يساوي اكثر منها بكثير ثم كتبت اليه رقعة في معنى الهدية وتضرعت في قبولها وتسببت لذلك وكتبت ثبت الهدية في اسفل الرقعة فكتب اليَّ فيها لك اكرمك الله بنات وهن الى هذا احوج مني وقد قبلت ما يصلح قبوله انساً بك واسقاطاً للحشمة معك ورددت اليك الباقي ليكون لهن وكان الذي قبله ثوب قصب ومنديل ديبقي وشستجه قصب .

حدثني ابو الحسين(٦) قال سمعت ابا عبدالله الباقطاني يقول : وحكى لي ابي ذلك قالا ان السجزية (٧) لما غلبوا على فارس اجلى قوم من اهل

«١» م . ع : الاظهر في مضايقة خدمهم الى . . . «٢» بالاصل امه . «٣» م . ع : ذي ثمن . «٤» م . ع : ثياب منسوبة الى دبيق بلد بمصر . «٥» م . ع الشرى والشراء بمعنى واحد والقصر افصح . «٦» كتاب الوزراء لهلال ص٣٣٩ . «٧» م . ع : السجزية بالفتح والكسر نسبة الى سجستان اقليم بين خراسان والسند وكرمان .

الخراج عنها لسوء المعاملة فقضوا (١) خراجهم على الموجودين وسموا ذلك التكملة حتى يكمل به مال قانون فارس كان متقدماً (٢) ولم يزل الحال في ذلك تزيد تارة وتنقص أخرى الى ان افتتح ابو الحسن ابن الفرات في وزارته الاولى فارس على يد وصيف ومحمد بن جعفر العبرتائي (٣) ومن ضمه اليهما من القواد في سنة ٢٩٨ فأمر ابن الفرات باجراء الامر في التكملة على ما كان جارياً عليه وجرى الامر على ذلك في ايام محمد بن عبد الله الخاقاني وفعله علي بن عيسى في صدر وزارته الاولى فلما (٤) مضت منها مديدة صار الى مدينة السلام عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي وطعن على محمد بن احمد بن ابي البغل وكان اذذاك يتقلد فارس وذكر انه إن ضمن العمل مكانه وفر حمله (٥) من المال فضمنه علي بن عيسى وانصرف ابن ابي البغل عما كان يتقلده امانةً وقلده اصبهان ثم أخر عبد الرحمن بن جعفر المال واحتج بان اهل فارس يتظلمون من التكملة ولا يلتزمونها. وكان ابو المنذر النعمن بن عبد الله يتقلد ديوان كور الاهواز مجموعة فكتب اليه علي بن عيسى ان يستخلف على اعماله وينفذ الى فارس فيطالب عبد الرحمن بما حل عليه من المال وينظر في هذه التكملة ويشرح امرها. وكتب الى احمد بن محمد بن رستم بان يصير من اصبهان الى فارس ليضمنها وكتب الى النعمن بحل ضمان

«١» م . ع يقال فض المال على القوم فرقه . «٢» م . ع كذا في الاصل ولعل اصله . وكان ، او الذي كان . «٣» م . ع عبرتى قرية قرب النهروان النسبة اليها عبرتي على ما يظهر من التاج ومعجم البلدان . «٤» بالأصل فما . «٥» م . ع لعله جملة .

عبد الرحمن وعقد البلد على ابن رستم فاستخرج النمن التكملة ووجد قطعة منها على عبد الرحمن قد قدر ان يكسرها (١) فسفه (٢) وباع قطعة من املاكه عليه حتى استوفى ذلك وكتب اليه علي بن عيسى يسأله عن التكملة وان يشرح له امرها وانه قد صار يستضعف (٣) قوم فيلزمون منها اكثر مما يجب عليهم ويرهب قوم فيسامحون بها وباكثرها فكتب اليه النعمن وابن رستم ان من طرائف ما يجري بفارس ان الناس يطالبون بالتكملة وهي ظلم صراح سنه الخوارج ويترك عليهم ما قد اوجبه الفقهاء وهو خراج الشجر لان فارس فتحت عنوة وليس على الشجر بها خراج وارباب الشجر يذكرون ان المهدي اسقط عنهم خراج الشجر وليس لهم حجة بذلك الا طول مدة الرسم والاصل وجوب الخراج على الشجر فتسامع اهل البلدن بالخبر فتبادر اجلاؤهم الى حضرة علي بن عيسى من فارس فدخلوا مجلسه للمظالم وفي اكمامهم حنطة محرقة فلما تظلموا قالوا له تمنع من اطلاق غلاتنا وتمتقل علينا في الكناديج (٤) الى ان تعفن وتصير هكذا ورموا بالحنطة المحرقة من اكمامهم حتى نبيع شمورنا (٥) ونودي التكملة الباطلة حتى تطاق غلاتنا وقد احترقت هكذا ورمى قوم منهم من اكمامهم بتين يابس وخوخ مقدد ولوز وفستق وبندق وغبيراء (٦) ونبق وبلوط وقالوا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله من اكتسر بمعنى اقتطع . «٢» م ، ع اي ظلمه . «٣» بالاصل : يستصعب قوم فيلتزمون ورواية هلال اصح . «٤» م ، ع جمع كندوج الخزانة الصغيرة والحلية . «٥» عند هلال نفوسنا وشعوز نسائنا . «٦» م ، ع الغبيراء شجرة لها ثمر يغبر ثم يحمر ويقال لهذا الثمر غبيراء ايضاً ويتخذ منه خمر يقال له غبيراء ايضاً.

هذا كله بلا خراج لقوم آخرين والبلد عنوة فاما تساوينا في الاحسان او الاستيفاء . فخاطب علي بن عيسى في ذلك الخليفة واستأذنه في جمع الفقهاء والقضاة ومشايخ الكتاب ووجوه العمال وجلة القواد ومناظرة القوم بحضرته وتقرير الامر على ما يوجب الحق عند الجماعة والعدل فأذن في ذلك فجمع الناس في دار المخرم التي كانت برسم الوزارة وصيرها علي بن عيسى ديواناً وطالت المناظرات واحتج من حضر من ارباب الشجر بفعل المهدي وقالوا قد استهلكت اموالنا في اثمان هذه الاملاك التي لاخراج عليها وان الزمت الخراج بطلت القيم وافتقرنا فافتى الفقهاء بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال الكتاب ان كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة في الحال او عناه(١) اعتناه اهل البلاد في جدب او غيرها(٢) ثم زالت المصلحة زال الشرط . فقال علي بن عيسى للقوم اليس عندكم ان ما فعله المهدي واجب؟ قالوا بلى: قال لِمَ أليس لانه امام رأي رأياً ليس فيه مضرة؟ قالوا بلى قال : فان امير المؤمنين وهو الامام الآن قد رأى ان الاحوط للمسلمين والاحفظ للكافة الزام الخراج للشجر وازالة التكملة فقام اليه الزجاج ووكيع القاضي فوصفاه وقرظاه . وقال الزجاج لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضراً ما تجاوزه . وقال وكيع لقد فعل الوزير في هذا كفعل ابي بكر الصديق رضوان الله عليه في مطالبة اهل الردة بالزكاة وانهى علي بن

«١» م . ع : هكذا في الاصل ولعل اصله اوعناه اعتناه باهل البلاد الخ اي اهمه اعتناه بامرهم او الاصل عناءتعناه اي قاساه الخ . «٢» م . ع : الظاهر او غيره .

عيسى والقضاة ما جرى الى المقتدر في يوم الموكب واستأذنه في كتب كتاب باسقاط التكملة عاجلاً الى ان يتقرر امر الشجر فامر بكتب ذلك في الحال بحضرته واحضر قائداً من قواد الحضرة كان يخلف بدرا الكبير المعروف بالحمامي عامل المعاون بفارس وكرمان ليسلم اليه الكتاب ويطالب النعمن وابن رستم بامتثاله . وامر الخليفة باحضار دواة يكتب بها علي بن عيسى وكان رسم الوزراء اذا امروا بكتب كتاب بحضرة الخليفة ان تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى ويكتب منها باليمنى فاحضرت تلك الدواة لعلي بن عيسى وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة فلما رآه المقتدر وقد شق عليه ذلك امر باحضار دواته وان يقف بعض الخدم فيمسكها الى ان يكتب . فكان اول وزير اكرم بهذا ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء بحضرته فكتب علي بن عيسى في ذلك كتابا الى النعمن وخرجت نسخته الى الديوان واثبت فيه قال ابو الحسين فحفظناه ونحن احداث ونسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير الموءمنين الى النعمن بن عبد الله : سلام عليك فان امير الموءمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً . اما بعد فان افضل الاعمال قدراً واجلها ذكراً واكملها جزاً ما كان للتقى جامعاً وللهدي تابعاً وللورى نافعاً (١) وللبلوى دافعاً وقد جعل

---

(١) بالاصل رافعاً .

الله عز وجل امير المؤمنين فيما استرعاه من امور المسلمين مؤثراً ما يرضيه صابراً (١) على ما يزلفه عنده ويحظيه ، وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل وبه يستعين . وقد عرفت حال السجزية والخرمية الذين تغلبوا على كور فارس وكرمان واحدثوا الجور والعدوان، واظهروا العتو والطغيان، وانتهكوا المحارم وارتكبوا المظالم ، حتى انفذ امير المؤمنين جيوشه اليهم وتوردها عليهم ، فازالهم وابادهم وشتتهم وابارهم ، بعد حروب تواصلت، ووقائع تتابعت، احل الله بهم فيه سطوته ، وعجل لهم نقمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وعظة للمستمعين؛ « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد » ولما محق الله امر هؤلاء الكفار، وفرق عدداوباشهم الفجار، وجد امير المؤمنين افظع ما اخترعوه واشنع ما ابتدعوه في مدتهم التي طال امدها وعظم ضررها ، تكملة اجتبوها (٢) بكور فارس في سني غواياتهم لما طالبوا اهلها بالخراج على اوفر عبرتهم من غير اقتصاد به على الموجودين حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين فانكر امير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم الذميم .واكبر ما استمر به من الظلم العظيم ،ورأى صيانة دولته عن قبيح معرته وحراسة رعيته من عظيم مضرته مع كثرته ووفور جملته ،فرفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً ، وقد جعل الله تعالى من سنها مدحوراً ،ونادى في المساجد الجامعة بازالتها وابطال جبايتها ليرتفع (٣) ذلك في الجمهور ويتمكن السكون اليه في الصدور وتحمد

«١» عند هلال متابراً «٢» م ، ع : الاجتباء افتعال من الجباية ، «٣» عند هلال ليذيع

الله الكافة على ما اتاحه لها من تعطف امير المؤمنين ورعايته وجميل حياطته لهم وعنايته. واكتب ما يكون منك في ذلك فان امير المؤمنين يتوكفه ويراعيه ويتشوفه ان شاء الله والسلام عليك ورحمه الله وبركاته. وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ٣٠٣.

وقد كان علي بن عيسى قبل ذلك بسنة نظر لاهل التكملة من جملتها في شيراز بعشرة آلاف درهم (١) قبل ان يخرج في السنة المقبلة خراج الشجر ثم تقرر امر الشجر على ان يؤخذ منه الخراج ويقارب اهله فيه على طسوق (٢) توضع لهم مخففة. وكان النعمن رفيقاً يقاربهم حتى عاد بازاء ما اسقط من مال الضمان في التكملة اكثره على التدريج. فكتب علي بن عيسى في امر الشجر كتاباً كنا تحفظه (٣) في الحداثة من الدار نسخته الى ابن رستم لان النعمن عاد الى بغداد واستخلف بفارس ابا مسلم محمد بن محمد وضمن البلد من ابن رستم وجعل با مسلم مستوفياً عليه للمال.

بسم الله الرحمن الرحيم الى احمد بن محمد بن رستم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين والنسخة واحدة الى قوله اما بعد فان الله بعظيم آلائه وقديم نعمائه وجميل بلائه وجزيل عطائه جعل اموال الفيء للدين قواماً وللحق نظاماً وللعز تماماً فاوجب للائمة حمايتها وحرم عليهم اضاعتها

«١» عند هلال : بالف الف درهم . «٢» م . ع : في القاموس الطسق بالفتح مكيال اوما يوضع من الخراج على الجربان او شبه ضريبة معلومة . «٣» م . ع : تحفظ الكتاب استظهره شيئاً بعد شيء .

اذا كان ما يجتبي منها عائداً بصلاح العباد وحراسة البلاد وحماية البرية وحياطة الحوزة والرعية ولذلك يعمل امير المؤمنين فكره ورويته ويستفرغ وسعه وطاقته في حراستها وحياطتها وقبض كل يد عن تحيفها(١) وتنقصها والله ولي معونته على جميل نيته وحسن طويته بمنه ورحمته . ولما فتح الله عز وجل (كور فارس) على المسلمين وازال عنها أيدي المتغلبين وجد امير المؤمنين اهلها قد احتالوا في اسقاط خراج الشجر باسره مع كثرته وجلالة قدره وأمر باشخاص وجوههم الى حضرته واتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصته الى ان اعترفوا به مذعنين والتزموه طائعين وضمنوا اداء ما اوجبه الله تعالى فيه من حقوقه على ما تقرر معهم من وضائعه (٢) وطسوقه فتطالب بخراج الشجر في سائر الكور على استقبال سنة ٣٠٣ فاستخرجه واستوفِ جميعه واستنظفه واكتب بما يرتفع من مساحته ويتحصل من مبلغ جبايته متحرياً للحق متوخياً للرفق ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شعبان سنة ٣٠٣ .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيبي (٣) وهو ابن بنت ابراهيم بن المدبر . قال حدثني ابو الفضل صاعد

«١» م . ع : تحيف الشيء تنقصه من حيفه اي نواحيه جمع حيفة . «٢» م . ع : جمع وضيعة وهي ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور . «٣» م . ع : بفتح الحاء كما في التاج .

ابن هارون بن مخلد بن ابان قال حدثني عدة من جلة الكتاب عن كاتب كان يخط بين يدي الموريانى (١) وهو وزير المنصور قال كنت يوماً بحضرته على خلوة فدخل عليه حاجبه وقال بالباب رجل يذكر انه يريد ان القي اليك شيئاً مهماً. قال اسمع منه ما يقوله واده الي قال قد سمته ذلك فابى وبذات ان اخرج اليه كاتباً فامتنع من ذلك وقال اما ان اصل اليه او انصرف. قال فما زيه؟ قال زي التناء قال هاته فادخله فلما وصل استأذنه في السرار فاذن فدنا اليه فاطال سراره ثم دعا بخازنه فقال خذ ما يدفعه اليك. ثم قال لي قم فاكتب له بكلما يريده على املائه وان التمس توقيعي في شيء منه فانفذه الي مع غلامك. قال فقمت فكتبت له بما املاه وعدت وعرفته ازاحتي علته فيما طلبه فجعل يبكي بكاء شديداً فسألت غلمانه هل ورد بعدي شيء يكرهه فقالوا لا. فقلت يا سيدي ما هذا البكاء وكنت آنساً به فقال ان هذا الرجل لقيني منذ اكثر من سنة انه من بني البختكاني وذكر كبر نعمته وانا بهم عارف. ووصف ان العمال يحيفونه ويستضعفونه وسألني ان اوقع اسمي على ضيعته واظهر اني قد استأجرتها منه واكاتب العمال ووكلائي بذلك وان تقد يده منها اذ كنت قد وثقت به على ذلك وبذل لي النصف من ارتفاعه بعد المؤونة حلالاً فوافقته على ذلك وكتبت له بما اراد ومضى ولم تبتغ نفسي الاستقصاء

«٢» م. ع : نسبة الى موريان قرية من نواحي خوزستان واسمه سليمان ابن ابي سليمان ابن ابي مجالد وقتله المنصور .

عليه ولا الاستظهار ولا مضايقته وقلت امله اراد الانتفاع بجاهي فلا احرمه اياه فان وفا (١) والا كان ذلك من زكاة الجاه ثم انسيت امره فاذكرته حتى رأيته الساعة فاعلمني انه يتردد منذ مدة الى الباب فلا يصل. واعلمني انه قد حصل لي من ذلك مائتا الف درهم واوقفني (٢) على حساب رفعه واستأذنني في تسليم المال وسالني تجديد الكتب بمثل ما كنت كتبت به اليهم في السنة الماضية في امر هذه الضياع فتقدمت الى خازني بقبض المال وتقدمت اليك فكتبت عني بذلك فانا ابكي لهذه الحال. فقلت له يا سيدي فاي شيء هذا مما يبكيك فقال ويحك ويذهب هذا عليك مع طول ملازمتي وخدمتي قد كنت عندي انك تحنكت بخدمتي. امرؤ يكون هذا من اقباله فكيف يكون ادباره؟ قال فما بعد ان قبض عليه المنصور ونكبه واستصفى ماله واموال اهله وقتله. قال ابو الحسين عبد الواحد بن محمد فحدثت بهذا الحديث ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات وابا الحسن علي بن عيسى كل واحد على الانفراد في وقت مفرد فكل واحد منهما افرط في استحسانه حتى سأل ان امليه عليه فكتبه عني بخطه . «للبحث صلة»

---

(١) م . ع . كذا في الاصل والصواب وفى . (٢) م . ع كذا في الاصل والفصيح وقف بغير الف في جميع معانيها .

اسامة بن منقذ

- ٢ -

« أسامة في وادي موسى »

لقي أسامة ضيقاً شديداً في وقعة كانت بينه وبين الفرنج قتل فيها ابنه حسام الملك وأسر ابنه ناصر الدين واخوه نجم الدولة ابو عبد الله محمد واخذت خزائنه وحرمه وقتل الفرنج كل من ظفروا به ، وهو بمن معه تحصن في الجبال .

يقول أسامة : فسرنا في اشد من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف للخيل الى ان وصلنا جبال بني فهيد لعنهم الله في وادي موسى وطلعنا في طرقات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة وهناك رجال وشياطين رجيمة من ظفروا به منا منفرداً قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائيين فسألت من هاهنا من امراء بني ربيعة قالوا منصور بن عذقل وهو صديقي ودفعت لواحد دينارين وقلت له امض الى منصور قل له صديقك بن منقذ يسلم عليك و يقول لك صل اليه بكرة ، ثم جاء منصور بن عذقل فصاح بالاعراب وسبهم فتفرقوا وقال اركب فركبنا وجمعت للامير الف دينار مصرية ودفعتها له وعاد وسرنا حتى وصلنا دمشق بمن سلم من الافرنج وبني فهيد يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة نفسها .

« اول وقائعه »

سيره والده الى أفاميا سنة ٥١٣ لقتال الفرنج المخيمين بهسا وكان الانتصار حليفه يقول أسامة في وصف هذه الحملة فرجعت على فارس في اولهم قد القى عنه درعه وتخفف ليجوزنا من بين ايدينا فطعنته في صدره فطار عن سرجه ميتاً ، ثم استقبلت خيلهم المتتابعة فولوا وانا غر ما حضرت قتالاً قبل هذا اليوم وتحتي فرس مثل الطير ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ، ثم أجتنّ عنهم وفي آخرهم فارس على حصان أدهم مثل الجمل بالدرع ولامة الحرب ، انا خائف منه لا يكون جاذباً لي ليعود عليّ حتى رأيته ضرب حصانه بمهمازه فلوّح بذنبه فعلمت انه قد أعيا فحملت عليه وطعنته فنفذ الرمح من قدامه نحواً

م : ٤

من ذراع وخرجت من السرج لخفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس ، ثم تراجعت وجذبت رمحي وانا أظن اني قتلته ، فجمعت اصحابي وهم سالمون وكان معي مملوك صغير بجر فرساً لي دهماء مجنوبة وتحته بغلة مليحة مسروجية فنزل عن البغلة وسيبها وركب الحجرة فطارت به الى شيزر ، فلما عدت الى اصحابي وقد أمسكوا البغلة سألت عن الغلام فقالوا راح فعلمت انه يصل الى شيزر ويشغل قلب الوالد ، فدعوت رجلاً من الجند وقلت أسرع الى شيزر وعرف والدي بما جرى ، فذهب فوجد الغلام يقص على والده الحالة ، ولما عاد أسامة قص عليه القصة .

« اقامته على عسقلان في قتال الفرنج »

أرسل الملك العادل أسامة للسير الى الملك العادل نور الدين الشهيد وقال له خذ معك المال المطلوب وامض اليه لينازل طبرية ويشغل الفرنج عنا لنخرج من ههنا نخرب غزة ، وكان الفرنج قد شرعوا في عمارة غزة ليحاصروا عسقلان . فقال له أسامة : فان اعتذر او كان له من الأشغال مايعوقه فأي شيء تأمرني به . فقال : ان نزل على طبرية فأعطه المال الذي معك وان كان له مانع فدوّن ما قدرت عليه من الجند واطلع الى عسقلان أقم بها في قتال الفرنج واكتب اليّ بوصولك لآمرك بما تعمل ودفع اليه ستة آلاف دينار مصرية وحمل جمل ديبقياً ورتب معه قوماً من العرب ادلاء .

« في طريقه الى عسقلان »

يقول أسامة فلما دنونا من الجفر قال لي الأدلاء هذا مكان لا يكاد يخلو من الفرنج فأمرت اثنين من الادلاء ركبا مهريين وسارا قدامنا الى الجفر فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلي ورددتها الى العرب وندبت ستة فوارس من مماليكي وقلت تقدموا وانا في أثركم فساروا يركضون وأنا أسير خلفهم فعاد اليّ واحد منهم وقال ما على الجفر احد ولعلهم أبصروا عرباً وتنازع هو والأدلاء فنفذت من رد الجمال وسرت فلما وصلت الجفر وفيه مياه وعشب وشجر ، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود فأخذناه وتفرق أصحابي فأخذوا رجلاً آخر وامرأتين وصبيين فجاءت امرأة منهن أمسكت ثوبي وقالت ياشيخ انا في حسبك ، قلت انت آمنة مالك ؟ قالت قداخذ اصحابك لي ثوباً وناعقاً وناجحاً وخرزة فقلت لغلماني من كان اخذ شيئاً فليرده فردت هذه الاشياء اليهم ، جمع هؤلاء

أسامة حين رأى بهم من الضر ما رأى وقد يبست جلودهم على عظامهم ، وسألهم من اين انتم ؟ فقالوا نحن من بني أبي وبنو أبي فرقة من العرب من طيء لا يأكلون الا الميتة ويقولون نحن خير من العرب ، ما فينا مجزوم ولا أبرص ولا أعمى ، واذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم ، ثم سألهم كم لكم هنا فقالوا من عيد رمضان ما رأينا الزاد باعيننا ، قلت : فمن اين تعيشون ؟ قالوا : من الرمة (يعنون العظام البالية) الملقاة ندقها ونعمل عليها الماء وورق القطف (شجر بتلك الارض) ونتقوت به ، قال : فكلابكم قالوا : الكلاب نطعمها من عيشنا والحمر تأكل الحشيش ، فقال : فلماذا لا تدخلون الى دمشق ؟ قالوا: خفنا الوباء (ولا وباء أعظم مما كانوا فيه) وكان ذلك بعد عيد الاضحى فوقف حتى جاءت الجمال وأعطى هؤلاء الاعراب من الزاد الذي كان معه ، ثم قطع فوطة كانت على رأسه وأعطاها للمرأتين فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد ، ثم أسدى اليهم النصح راغباً عدما قامتهم في هذا المكان خوفاً عليهم من ان يسبيهم الافرنج .

« وقوعه في التيه »

وقع اسامة في تيه اثناء مجيئه الى نور الدين الشهيد في بصرى ولولا لطف الله لهلك في هذا التيه وقد وصف تيهه وصفاً بطول شرحه هرب منهم البغل في اثناء رحلته هذه وعليه اربعة آلاف دينار فلحقه بفرسه فأعيا عن اللحاق به وقد كان لحقه الغلام ايضاً فعاد بالخرج دون البغل قائلاً يامولاي وجدت الخرج ولم اجد البغل فقال للخرج كنت اطلب والبغل اهون مفقود .

« صيده وقنصه »

كان أسامة ولوعاً بالصيد والقنص كما ولع به ابوه من قبله فقد كان والده ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج الصليبيين يركب الى الصيد يوماً و يستريح يوماً ، نسخ عند فراغه ستاً واربعين مصحفاً بخطه منها ختمتان بالذهب جميع القرآن وكان صواماً قواماً .

كان لأسامة في شيزر متصيدان متصيد للحجل والارانب في الجبل قبلي البلد ، ومتصيد لطير الماء والدراج والارانب والغزلان على النهر في الازوار من غربي البلد ، وكان يتكلف في تسيير قوم من اصحابه الى البلاد لشراء البزاة فأنفذ الى القسطنطينية من احضر منها بزاة وقد حمل الغلمان معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم

فتغير عليهم البحر وتعرقوا ولم يبق من لحوم الطير فاضطروا ان يطعموا البزاة من لحم السمك فاثر ذلك في أجنحتها وصار ريشها ينكسر و ينقصف فلما وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزلة نادرة وكان لدى والده خادم (باز يار) عارف في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنائم فوصل اجنحتها واصطاد بها وقرنص بعضها عنده وكان اكثر ما يستدعي البزاة و يشتريها من وادي الاحمر ، وحسبنا ان نلم الى صيده وقنصه الماعاً ضاربين صفحاً عن كل ما وقع له في صيده وتربيته البزاة .

« صيده مع الملوك والامراء »

حضر الصيد مع والده مرشد بشيزر في صدر العمر ومع ابناء عمه بها ومع ملك الامراء اتابك زنكي بن آق سنقر .

ومع الملك العادل نور الدين ابي المظفر محمود بن اتابك زنكي رحمه الله ، وبديار بكر مع الامير فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن ارتق .

« ادب أسامة وشعره »

أسامة اديب كما اسلفنا تلمس من شعره الجزالة والسهولة لم يستعمل عويص الالفاظ ولا وحشي الكلام مدح في شعره وعتب وبكى وتغزل وحرض وفخر وحن الى الاوطان حنين الابل الى الاعطان حتى انه ضرب في كل فن وتناول طرفاً من كل علم ، وله ديوان شعر في مجلدين لم اعثر عليها بالرغم عن كثرة بحثي وتطلعي ولكني لم اعدم الحصول على شيء كثير منه في اثناء مطالعتي الكتب وتصفحي اياها ومن جملة ما عثرت عليه كتاب العصا وهو في نحو مائة وخمسين صفحة نسخته على نسخة طبعت في باريز كنت أوصيت عليها صديقي الحميم ورفيق الدراسة المرحوم الدكتور صالح قنباز وانا اليوم آخذ بتصحيحها وضبطها وشرحها وزيادة ماعثرت عليه في العصا حتى يجيء الكتاب جامعاً وافياً بالمرام .

« نتف من شعره »

وقعت نفرة بينه وبين ابن عمه صاحب شيزر لمقالة بلغته فكان ينظم في العتاب ماهو مستطاب . ومما كتبه لابيه يدل على كرم محتده وسامي أخلاقه وعظيم خلاله قوله :

وما أشكو تلون اهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويئست منهم فما أرجوهم فيمن رجوت

اذا أدمت قوارصهم فؤادي | صبرت على أذاهم وانطويت
وجئت اليهم طلق المحيا | كأني ما سمعت ولا رأيت
تجنوا لي ذنوباً ما جنتها | يداي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدراً | كما قد أضمروه ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا وتبدو | صحيفة ما جنوه وما جنيت

وله ايضاً يشكو من الهجران :

لا تستعر جلداً على هجرانهم | فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بانك ان رجعت اليهم | طوعاً والا عدت عودة راغم

وله قصيدة سير بها الى ابن عمه صاحب شيزر يعتذر له عن قول بلغه عنه جاءت على قافية الفاء تبلغ خمسين بيتاً مطلعها :

أطاع ما قاله الواشي وما عرفا | فراح يذكر منا كل ما عرفا

ومما أحفظه له يتشوق الى اهله وصحبه ويحن فيه الى وطنه وهو من الشعر المنسجم الذي يدخل الأذان بغير استئذان :

ما يريد الشوق من قلب معنّى | ذكر الآلاف والوصل فحنّا
حسبه من شوقه ما عنده | وكفاه من هواه ما اجتنى
كلما شاهد شملاً جامعاً | طار وجداً وهفا شوقاً وانّا
فرثى من رحمة عاذله | ورأى الحاسد فيه ماتمنى
ويحه من حرق تعتاده | وهموم جمة تطرق وهنا
يا زمان الوصل سقياً لك من | زمن لو كان قرب الدار عنا
قل لأحباب نأت دارهم | وعلى قربهم أقرع سنا
ساء ظني باصطباري بعدكم | ولقد كنت بكم أحسن ظنا

« وصف الزلزلة الكبرى في شيزر وحماة »

في سنة ٥٥٢ كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة اخربت البلاد واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر كما قال ابن الاثير فانها خربا بالمرة وخرب ما جاورهما كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد وهلك تحت الردم

من الخلق مالا يحصيه الا الله ولولا ان من الله تعالى على المسلمين بنور الدين فيصلح ماتهدم ويحفظ البلاد لملكت البقية الباقية منهم واصبحت لقمة سائغة في افواه الفرنجة . ومن غريب ما يروى ان بعض المعلمين بحماة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فاخربت الدار وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له في المكتب مما يدل على ان الزلزلة اخذت اولياءهم ايضاً .

في هذا الزلزال سقطت قلعة شيزر على آل منقذ ولم تبق على احد منهم اللهم الا امرأة اخرجت من الردم ، ومما يروى انه بينما كان احد ابناء آل منقذ فاراً من الزلزال حتى اذا وافى باب القلعة رمحه الحصان فمات لوقته وبهذا لم ينج احد من آل منقذ الذين هم داخل القلعة ، اما المرأة التي اخرجت من الردم فهي زوجة ابي الفضل اسماعيل بن ابي العساكر بن علي بن مقلد تدعى الخاتون اخت شمس الملوك بنت بوري بن طغتكين ولما جاء نور الدين الشهيد الى استلام شيزر طلب من هذه المرأة ان تعلمه عن المال وهددها فذكرت ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت هي دونهم ولا تعلم بشيء واذا كان لهم شيء فهو تحت الردم وكان شرف الدولة غائباً فحضر بعد الزلزلة وعاين ما فعلت بشيزر واخيه وشاهد امرأة اخيه بعد العز في ذلك الذل فعمل :

ليس الصباح من المساء بامثل ... فأقول لليل الطويل الا انجلي
شلت يد الايام ان قسيها ... ما ارسلت سهما فاخطا مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة ... يهمي لها جفني وقلبي يصطلي
يا تاج دولة هاشم بل يا ابا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر ... والستر دون نسائها لم يسبل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا ... متهيلاً مثل النقا المتهيل
لا يهتدي فيه السعاة لمسلك ... فكأنما يسري بقاع مهول

ومما قاله فيها يذكر امرأة اخيه المذكورة .

نزلت على رغم الزمان ولو حوت ... يمناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع ... وتعوضت عن عزها بتذلل

« أسامة يرثي اهله »

أسامة رثى اهله الذين هلكوا في هذا الزلزال رثاء مستقيا وبكاهم كثيراً في شعره اكتفي بذكر شيء من قصيدته النونية لان له مراثي كثيرة بكى فيها ذلك العز الشامخ بعيون هتانة هطالة وهي :

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم ... ولا تخرّمهم مثنى ووحدانا
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب ... واحمد الخطب فيهم عز أو هانا
واقتدي بالورى قبلي فكم فقدوا ... أخاً وكم فارقوا اهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم ... رغماً فخروا على الاذقان اذعانا
وفاجأتهم من الايام قارعة ... سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
ماتوا جميعاً كرجع الطرف وانقرضوا ... هل ما ترى تارك للعين انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا ... على الحفيظة ان ذو لوثة لانا
لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم ... قلباً اجشمه صبراً وسلوانا
فلو رأوني لقالوا مات اسعدنا ... وعاش للهم والاحزان اشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرني ... عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجباً ... للخطب أهلك عمّاراً وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم ... كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشري فاذا ... ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا
لا اتقي الدهر من بعد الزلازل ما ... حييت الا كسير القلب حيرانا
اخنت على معشري الادنين فاصطلمت ... منهم كهولاً وشباناً وولدانا
لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت ... بأساً تبادره الاقران ازمانا
ان أقفرت شيزر منهم فهم جعلوا ... منيع أسوارها بيضاً وخرصانا
هم حموها فلو شاهدتهم وهم ... بها لشاهدت آساداً وخفانا
تراهم في الوغى أسداً ويوم ندي ... غيثاً مغيثاً وفي الظلماء رهبانا
بنوا ابي وبنوا عمي دمي دمهم ... وان أروني مناواة وشنآنا
بطيب النفس عنهم انهم رحلوا ... وخلفوني على الآثار عجلانا

« مراسلاته مع ابن رزيك »

وكانت بينه وبين الصالح بن رزيك مراسلات شعرية ومطارحات أدبية أفردت لها رسالة خاصة ، وقد أرسل الى أسامة يعزيه بقومه الذين هلكوا بالزلزال في قصيدة مطلعها :

بابي شخصك الذي لا يغيب عن عياني فهو البعيد القريب

ومنها : كره الشام اهله فهو محقو ق بان لا يقيم فيه لبيب

ان تجلت عنه الحروب قليلاً خلفتها زلازل وخطوب

رقصت ارضه عشية غنى الرعد في الجو والكريم طروب

وتثنت حيطانه اذ أمالتها شمال يزمرها وجنوب

لا هبوب لنائم من أمانيه وللعاصفات فيها هبوب

ومنها : لهف نفسي على ديار من السكان اقوت فليس فيها مجيب

فاحتسب ما اصاب قومك مجد الدين واصبر فالحادثات ضروب

وكتب أسامة الى الصالح طلائع ابن رزيك هذا يسأله تسيير اهله الى الشام وكان الصالح بن رزيك يتوقع رجوعه الى مصر من حين لآخر و يسير له الرسائل طالباً عودته الى مصر ، وأسامة لا يرغب بالعودة بعد حوادث ابن السلار والظافر العبيدي .

اذكرهم الود ان صدوا وان صدفوا ان الكرام اذا استعطفتهم عطفوا

ولا ترد شافعاً الا هواك لهم كفاك مااختبروا منه وما كشفوا

يا جيرة القلب والفسطاط دارهم لم تصقب الدار لكن أصقب الكلف

فارقتكم مكرهاً والقلب يخبرني ان ليس لي عوض منكم ولا خلف

ولو تعوضت بالدنيا غبنت وهل يعوضني عن نفيس الجوهر الصدف

ولست انكر ما يأتي الزمان به كل الورى لرزايا دهرهم هدف

ولا أسفت لأمر فات مطلبه لكن لفرقة من فارقته الاسف

المالك الصالح الهادي الذي شهدت بفضل ايامه الأنباء والصحف

ملك أقل عطاياه الغني فاذا أدناك منه فأدنى حظك الشرف

سعت الى زهده الدنيا بزخرفها طوعاً وفيها على خطابها صلف

مسهد وعيون الناس هاجعة على التهجد والقرآن معتكف

ونشرق الشمس من لألاء غرته في دسته فتكاد الشمس تنكسف

فأجابه الصالح وكان يجيد النظم رحمه الله :

آدابك الغر بحر ما له طرف في كل جنس بدا من حسنه طرف
نقول لما اتانا ما بعثت به هذا كتاب اتى ام روضة أنف
اذا ذكرناك مجد الدين عاودنا شوق تجدد منه الوجد والاسف
يا من جفانا ولو قد شاء كان الى جنابنا دون اهل الارض ينعطف

« كتبه وتآليف »

لأسامة كتاب الاعتبار ترجم الى اللغة الافرنسية وترجم اخيراً الى اللغة الانكليزية وعنونه المترجم بقوله « الرجل الكامل » وهو يشتمل على ترجمة نفسه ، وله كتاب العصا وازهار الأنهار و كتاب البديع (١) واختصر سيرة عمر بن الخطاب تأليف ابن الجوزي البغدادي وقد عثرت على هذا الكتاب ونسخته وبعثت بالاصل مع مختصر الموافقة بين آل البيت والصحابة للزمخشري الى العلامة المرحوم احمد تيمور ، وله التاريخ البدري واخبار البلدان وذيل على خريدة القصر للباخرزي . وكانت لديه مكتبة عامرة تشتمل على غرر المخطوطات ونفائسها تبلغ اربعة آلاف مجلد .

« أخذه الامان لاهله من الفرنج في جلبهم من مصر »

استقدم عائلته واولاده من مصر في مركب بعد ان اخذ لهم الامان من الفرنج فما كان منهم الا ان أخذوا من النساء ما معهم من الحلي والجواهر والذهب والفضة بما يقدر بثلاثين الف دينار ، يقول أسامة فهون عليّ سلامة اولادي واولاد أخي وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال الا ما ذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة فان ذهابها حزازة في قلبي ما عشت فهذه نكبات تزعزع الجبال . ولاريب هذه الكتب التي فقدها هي غير الكتب التي كانت لديه في شيزر ولدى والده .

---

(١) قال في كشف الظنون : كتاب البديع في علوم الشعر لأسامة بن منقذ اوله : « الحمد لله الحي القيوم » الخ ذكر فيه انه جمع ما تفرق في كتب العلماء من نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه وانه وقف عليه اه .

« نموذج من كتاب العصا »

اخترته لما له من العلاقة بدمشق

يقول أسامة رحمه الله حضرت بدمشق وقد وقع بين العميان وبين رجل كان يتولى وقفهم يعرف بابن البعلبكي خلف فلقوا فيه صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري رحمه الله عدة مرار فقال للامير مجاهد الدين تالله خلصني منهم واجمعهم واحضر نائبهم في الوقف وافصل حالهم فقال السمع والطاعة وقال لي مجاهد الدين تفضل واحضر معنا فاجتمعنا في ايوان كبير في دار وحضر النائب ابن البعلبكي ونائب كان قبله يقال له ابن الفرّاش وحضر العميان في نحو من ثلاثمائة رجل فحملوا قدامهم ودخلوا الايوان كل واحد وعصاه معه في يده وضمها الى جنبه ، ثم تجاروا الحديث فكان بعضهم هواه مع النائب الاول ابن الفرّاش وبعضهم هواه مع ابن البعلبكي فتنازعوا وتخاصموا ساعة ولا يتدخل بينهم لملو أصواتهم وكثرتهم ثم تواثبوا فارتفع في الايوان نحو من ثلاثمائة عصا في ايدي العميان لايدرون من يضربون وعلا الضجيج والصياح حتى ندمت على حضوري فتلطفنا في الامر حتى سكنت الفتنة بينهم ومشينا امرهم على ما أرادوا وماصدقنا انهم ينصرفون .

« نموذج من شعره في العصا »

كتب في كتاب الى ولده الامير عضد الدين ابي الفوارس مرهف الى مصر يطلب منه عصا من آبنوس وكان مرهف مؤمراً في مصر من قبل صلاح الدين رحمه الله :

أريد عصا من آبنوس تقلني فان الثمانين استعادت قوى رجلي
ولو بعصا موسى اتقيت لآدها على ما بها من قوة حملها ثقلي
ولكن تمنينا الرجاء بباطل وكم قدر ما ترجي المنايا وكم تملي
اذا بلغ المرء الثمانين فالرد يناجيه بالترحال من جانب الرحل

« وله في شيخوخته »

يشكو ضعف جسمه ويأسف على شبابه ويذكر من طول العمر والمدد :

مع الثمانين عاث الضعف في جلدي وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي جد مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطم القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد

« هو والاسد »

حقاً ان أسامة لقد حطم القنا في لبة الاسد : بلغه ان هناك اسداً على شاطيء الفرات يمنع الناس من المرور ولم يستطع احد ان يتعرض لقتله وانقاذ الناس من شره فما كان منه الا ان هب ذات يوم متقلداً سيفه ورمحه دون ان يعلم اهله وذوي رحمه ومضى الى الفرات حيث مقر الاسد وما هي الا بضع دقائق على منازلته اياه حتى حطم القنا في لبته فخر صريعاً لليدين وللفم ثم جاء بآثاره الى شيزر فأكبر أهله عمله وكان يوماً مشهوداً .

« ضرائح العظماء تهان »

هؤلاء آل منقذ باسادة وذاك طرف من أخبارهم وهذا أسامة بن منقذ القائد العظيم والبطل المغوار الذي كان يد نورالدين العاملة في صد اغارات الفرنج وفي الفتوح والذي كان يخطب ود الامراء والملوك قد المعت بشيء من ترجمته وأتيت على نتف من شعره وذكرت انه بعد البحث والتنقيب في بطون التاريخ تحقق لدي انه دفن في سفح قاسيون — من ترى وقف على ضريحه وعرف مقره ، لقد ذهبت غير مرة الى ذلك السفح الذي ضم أعاظم الرجال ، وبحثت بين الضرائح فلم أقف له على أثر ولعلي جهلت مقره فلم اهتد اليه ، ولكني شاهدت أصحاب البنيان قد امتدوا الى الضرائح فتناولوها وقوضوا دعائمها وبعثروا رفاتها وطمسوا اعلامها وشوهوا محاسنها وداسوا حرمتها ولا من ينهي أصحاب هذا البنيان عن عملهم او يفكر في نقل رفات العظماء الذين يجب ان تبقى ضرائحهم ماثلة ليراها ابناؤنا واحفادنا واحفاد احفادنا فيتخذوها قدوة صالحة لم تبعث من الهم وتحض على العمل ، ولسان حالها ينطق انهجوا مناهجنا واسلكوا سبيلنا واقتفوا آثارنا فلا حياة لكم ولا صلاح الا بما صلح به اولكم ، أليس من العار ان نهين عظماءنا ولانفكر في حفظ ضرائحهم وصونها من إغارة المغيرين الجشعين النهمين الذين لا تأخذهم رأفة على الأمة في محو آثارها ومزاحمة ضرائح أعلامها ؟

أتضيع دمشق ضريح ابن منقذ مع الضرائح الضائعة من ضرائح العظماء والعلماء وهي

مهد العروبة وعنها يؤخذ الشمم واليها ينتمي الاباء ؟

فالى تجديد ضرائح العظماء أيها السادة الى الاحتفاظ بها فهي الواعظ الأقوى للابناء والمرشد الأمين للأحفاد يدفع بهم الى الامام ، وكأني بابي العلاء فيلسوف العرب قد أدرك منذ ذلك الحين ان الناس يهينون العظماء ولا يعنون بضرائحهم فأهابت به نفسه للذود عنها والدعوة الى احترامها والنصح في الابقاء عليها وعدم الاجهاز على اصحابها فطفق ينشد وما أجمل هذا الانشاد :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض الا من هذه الاجساد
سر ان استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
فقبيح بنا وان قدم العهـ ـد هو ان الآباء والأجداد

« عودة للبحث عن ضريح ابن منقذ »

أليس من العار ان لا نعرف مقر ابن منقذ وهو هو الذي ذكرت من وقائعه وعلمه ونبله ؟
هذا نابليون رجل فرنسا وعبقريها الفذ بعد وفاته في جزيرة القديسة هيلانة واستحالته الى رفات بالية وعظام نخرة هب الفرنسيون من باريز فاستخرجوه من ضريحه ورجعوا به الى قلب بلادهم يعيدون به ذكر نابليون ويبثون في أمتهم ما كان لهم من العظمة والاباء والمجد والفخار .

الضرائح في الاسلام لها حرمتها ولها مكانتها فكيف بضريح علم من الاعلام وقائد من اكبر القواد كابن منقذ وأضرابه من عظماء الامة وقادة الرأي المفكرين .

هذا واني لأرجو من المجمع العلمي متطفلاً على مائدته ان يؤلف لجنة في البحث عن ضريح ابن منقذ ومن على شاكلته من الأبطال الذين خدموا الامة وزادوا عن حياضها ونفعوا بعلمهم ودرايتهم راجياً ان يحل اقتراحي لديه محل القبول .

طاهر النعساني

آراء وافكار

في عدد كانون الثاني — شباط سنة ١٩٣٠ من المجلة مقال موسوم بـ « قوة الحافظة وكثرة المحفوظات » بقلم الشيخ كامل الغزي أورد فيه الكاتب (ص ١٢٠ — ٢١) حكاية عن لسان الامير أسامة بن منقذ ، يؤخذ منها ان أسامة اجتمع بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحن قوة ذاكرته وأعجب بها . ولكن أسامة ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) وابا العلاء توفي عام ٤٤٩ (١٠٥٨) فبينهما قرن كامل والواحد منهما لم يعاصر الآخر . ولا أثر لهذه القصة في مذكرات أسامة المعنونة بـ « كتاب الاعتبار » . فمن اين تُرى أتى بها الشيخ الغزي ؟ .

جامعة برنستون : فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٢

كتاب ادب السلوك . — لابي الفضل عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله الاندلسي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ المشتمل — كما جاء في مقدمته — على مشارع كلمات الحكمة والادب والاخلاق وهو يقع في ٢١٦ صفحة صغيرة يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثامن الهجري .

قاموس الاطباء وناموس الالباء . — لمدين بن عبد الرحيم القوصي المصري من أطباء القرن الحادي عشر الهجري وهو في المفردات الطبية في ٣٥٨ صفحة كبيرة . (رقم ١٠٨ : الطب) .

ما لا يسع الطبيب جهله . — ليوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكبير من اطباء

القرن الثامن وهو في مجلد ضخم يقع في ٨٠٠ صفحة كبيرة كتب سنة ١١٣٣ هـ (رقم ١٠٣ الطب) ٠

منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ٠— لابي العباس يحيى بن عيسى الكاتب الملقب بالرئيس الأجل المتوفى سنة ٤٩٣ هـ ضمنه ذكر جميع الادوية والاشربة والاغذية وكل مركب بسيط ومفرد ورتبه على حروف المعجم وهو في جزءين في مجلد واحد ينقص الجزء الاول منه ورقة واحدة وكان الفراغ من نسخه سنة ٩٦٢ (رقم ١٠٧ : الطب) ٠

خلاصة تحقيق الظنون في الشرح والمتون ٠— تأليف كمال الدين محمد بن مصطفى الصديقي وهو ذيل لكشف الظنون وقد ضم مؤلفه ما زيد على كتب العلم من الكتب وما لم يطلع عليه صاحب كشف الظنون (فنون متنوعة رقم ٤٣) ٠

شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٠— تأليف عبد الحي بن احمد المعروف بابن العماد الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ وهو في ١٠٩١ صفحة كبيرة بخط شعبان الخزرجي سنة ١٠٨٥ (رقم ٣٨٧ : التاريخ) ٠

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٠— تأليف ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ وهو في مجلد كبير عدد صفحاته ٥٤٧ وفيه خط ابراهيم البقاعي (رقم ٣٨٨ : التاريخ) ٠

طبقات النحاة واللغويين ٠— تأليف ابي بكر احمد بن محمد بن عمر تقي الدين بن قاضي شهبة الاسدي الدمشقي المتوفى سنة ٨٥١ ويليه مختصر طبقات النحاة للزبيدي اختيار الحلي وهو في ٦٤٠ صفحة صغيرة كتب سنة ٩٥٠ (رقم ٤٣٨ : التاريخ) ٠

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

فاوست

— ترجمها —

« الاستاذ محمد عوض محمد »

القصة وضعها شاعر المانية « غوتيه » .—

خلاصتها على وجه التقريب ان الدكتور « فاوست » خلا بنفسه ساعة ، فرأى انه قد جهد في كل شيء ، جهد في طلب الفلسفة والشريعة والطب وعلوم الدين وهو بعد هذا كله لم يخط الى المعرفة خطوة واحدة .—

وانه لفي هذه الوساوس وأمثالها اذ دخل ابليس عليه غرفته فتساقطا أطرافاً من الأحاديث ثم تعاقدا على ان يكون إبليس عبداً للدكتور « فاوست » في هذه الدنيا وعلى ان يكون الدكتور « فاوست » عبداً لإبليس في اليوم الآخر .—

وجزاء هذا التعاقد ان الدكتور « فاوست » سيريه إبليس في هذه الحياة ما لم تره العيون وما لم يخطر على بال .—

وعلى هذه الصورة نعم الدكتور « فاوست » بجبانه وغرق في اللذات على اختلاف أنواعها ، وأفضت به لذاته الى الاستيلاء على قلب فتاة بلغ من حبها اياه ان قتلت أمها وابنها ، وأن كانت سبباً في قتل اخيها في سبيل حبيبها « فاوست » ثم سجنت .—

نعم : هذه خلاصة القصة ، ولكن الحكمة لا تجدها في القصة نفسها ، وانما تجدها في تضاعيف القصة ، انك لتجد في تحاور إبليس والله ، وفي تحاور « فاوست » والروح ، وفي تحاور « فاوست » وتلميذه ، وفي تحاور « فاوست » وابليس شيئاً من روح الفلسفة ، وهذا الشيء انما هو الاستهزاء بالقوانين والشرائع والفقه والدين والمذاهب كلها ، و بالقساوسة والكنائس ، فاذا أعجبتك قصة «فاوست» فانها تعجبك من ناحية أساليب التهكم ، على انك تجد بين تهكم الالمان وبين تهكم الفرنسيس من الفرق مثل ما تجده من الفرق بين طبائع الأمتين .—

* * *

قدّم الترجمة الدكتور طه حسين .—

قدّم في قسم منها الاستاذ محمد عوض محمد وذكر رأيه في الترجمة ، وأشار في قسم آخر الى قصة « فاوست » وبيّن رأيه فيها .—

خلاصة رأي الدكتور طه حسين في ترجمة الاستاذ عوض ان هذه الترجمة جيدة لا يذكر الدكتور انه قرأ بالعربية ترجمة كتاب من كتب (اوروبة) تعدل هذه الترجمة او تقرب منها دقة ، وخفة ، وسهولة ، وظرفاً ، وأضاف الى هذا كله ان هذا (الجغرافي) لا تنقص شعره الخفة والروعة والظرف في اكثر الأحيان .—

الترجمة في رأي الدكتور طه حسين سهلة يسيرة ، ليس فيها لفظ غريب او كلام منتفخ وانما هي مشتملة على كلام مألوف منسجم عذب .—

اما مقدّمة الدكتور طه حسين فلا يخلو قسم قليل منها من روح الدكتور نفسه ، فقد غلب على كتابات الدكتور طه حسين أسلوب الاساتيذ المدرّسين ، وأعني بهذا الاسلوب المطمطة ، فالدكتور طه حسين أستاذ مدرّس فهو مكلّف في « كلية الآداب » أن يأخذ بمخنّق الكلام في ساعة تدريسه خوفاً من ان تنفلت منه هذه الساعة دون ان يحشوها كلاماً ، فالكلام غالب على لسانه في اكثر الاحايين وقلّ ما تجد للسانه سلطاناً على الكلام ، ولست أدري أفي جمهور القرّاء من يأنس بالتمطط في الكلام ام فيهم من تزعجه المطمطة في معظم الأوقات .—

واما ترجمة الأستاذ عوض فهي لاتخلو من السهولة التي أشار اليها الدكتور طه حسين فالصحيح ليس فيها كلام منتفخ ، وأريد بالكلام المنتفخ هذا الكلام الذي يزيد على المعنى فلا يكون مناسباً له ، قد تلجأ اليه طائفة من الكتاب ليستروا به شيئاً من ضعف معانيهم .—

ولئن لم تخل هذه الترجمة من السهولة فقد خلا اكثرها من شيء غير السهولة ، فاذا أعوزها شيء فانما تعوزها هذه الموسيقى اللفظية التي تجعل للكلام وقعاً حسناً في الآذان ، واللغة الشعرية اذا خلت من آثار الموسيقى اللفظية ضعف سلطانها ، فقد يكون الكلام سهلاً ولا يكون وقعه حسناً في الاذن ، «فالحياة الارضية» سهلة الالفاظ ولكنها في هذه السهولة بعيدة من ان تستخفها الآذان .

« شفيق جبري »

عضو المجمع العلمي العربي

الجزء ٦ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٣٠ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة الثانية عشرة

عروبة المتنبي (١)

الفتى العربي

— ٤ —

حرص العرب على قوميتهم — اختلاط العرب بالاعاجم — تشتت العرب

« تغني الشعراء بالقومية العربية »

أرأيتم كيف كان اليانيون وهم في ارض غير ارضهم ، وتحت سماء غير سمائهم يلهجون بذكر بطونهم وأحيائهم ، وقد تقاذفت بهم وهاد وتلاع ، وشطت بهم غربة نازحة ، أرأيتم كيف كانوا يحنون الى قبلهم وعشيرهم ، فما يسمون منازلهم في خد العذراء الا كندة والا السبيع ، أرأيتم كيف كان اهل البدو يعتصمون بالعروة الوثقى من قوميتهم وتطرب السنتهم بذكرياتهم ، وهل القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا التغني باصحاب هذه الذكريات ٠

قال المؤلف الايطالي (فوورو Ferrero) أصبح احتفال الامم بعد تعاقب مائة عام

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة ٠

على وفاة الفضلاء من رجالها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا مما جاء به القرن التاسع عشر ·

والى هذا رمى اوغست كونت لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال بمنزلة عقيدة من عقائد البشر ·

فالمعتقد الذي يذهب اليه الافرنجة في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم الدهر ولئن ملأ مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاذ « سورل » فان هذا المذهب قد ملأ تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر ·

لقد كان العرب يحرصون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاضرهم بغابرهم ولم لا يحرصون هذا الحرص ، وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، ينتسبون الى اصل واحد ، وقد تقاربت اخلاقهم وطبائعهم ، وتشابهت هيآتهم وسحناتهم ، وتماثل تاريخهم وسياستهم ، وجمعتهم ارض واحدة ، واظلتهم سماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبيئتها ولغتها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا أمماً من اجناس مختلفين ، يتكلمون بلغات مختلفة ، و يدخلون في اديان مختلفة ، اننا نرى شعوباً يجمعهم نظام قومي محكم وهم مبعثرون في نواحي العالم كله · كاليهود مثلاً اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة ، كالانكليز واميركان الشمال ، وكسكان اسبانية وجمهوريات اميركة الجنوبية ، وكسكان البرتغال والبرازيل ، وكسكان فرانسة وبلجيكة الشرقية وكسكان ألمانيــة وسويسرة الشرقية ، اننا نرى اماً من اجناس مختلفين ، كالروس ، او كأهل الولايات المتحدة ، حيث نشاهد الابيض والاسود والاحمر · اننا نرى اماً فيها مذاهب شتى واديان متباينة [1]

عاملان من العوامل ينشئان الامة : اشتراك الامة في ميراث ملآن من الذكريات واجتماع كلمة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك ، فالعرب في قديم الدهر قد تناولت ميراثاً خصيباً بذكرياته وتضافرت على احياء هذا الميراث فعاشت به زمناً رغداً يتغنى العربي

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات ·

بعروبته · ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره ، يتصرف في ملكه لا يشاركه رومي او تركي او فارسي او ديلمي في سلطانه ، العربية لسانه والعمائم تيجانه والمشرفية سيوفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصيب:

« يتبخترون على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن سرعان ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كدر النفس واذا القيسية واليمانية، واذا الفتن والشغاب ، واذا الفرس والترك والديلم ، واذا التطاول لانتزاع الملك والسلطان، واذا الفرقة بعد الالفة · واذا الطولونية والاخشيدية والحمدانية والفاطمية والسلجوقية ، ذهبت وحدة العرب او كادت ، وطلعت الشعوبية في البلاد فلا عز ولا منعة ولا حكمة السن ولا شدة عقول :

فلست بتارك ايوان كسرى   لتوضح او لحومل فالدخول
وضب في الفلا ساع وذئب   بها يعوي وليث وسط غيل

هذه هي نغمات الشعوبية بعد ان كان السلطان عربياً واللسان مضرياً · والوشي يمانياً ازدحم الاعاجم في البلاد واخذ عمال الخلافة العباسية ينفصلون عن بغداد وينفردون بامور الملك والسلطان ، قال غستاف لوبون :

« من جملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم الذين خضعوا لسلطانهم ، فقد ادى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه بعضهم بعضاً والى تنازع هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله تزاوج عناصر متباينة ، فافسد هذا التزاوج دم الفاتحين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سبباً في انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور واثبت التاريخ ان لا سبيل الى ابقاء اجناس مختلفين في قبضة واحدة الا بامرين ، اما ان يشتد سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم وأما ان لا يتزوج الغالب الى نساء المغلوب اي ان لا يندمج الغالب في المغلوب وهذ الامر الثاني لم يحذره العرب — »

نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى اختلطوا بالاعاجم فتفرقت كلمة العرب وضعف تغني القوم بعروبتهم ·

فلننظر في هذه الحالة الاليمة هل حافظ المتنبي على عروبته ، أفكان يضطرب في هذه العروبة اضطرابه في حنينه الى وطنه ، أفكان يتغنى بها مرة ، ويعقها مرة ، كما

كان يحن حيناً الى كندة ، وحيناً يرى ان كل مكان ينبت العز طيب ، فلننظر هل اشتدت الفة المتنبي ليمانيته وعروبيته في جميع اطوار حياته ٠

لئن كان ابو الطيب قلقاً في تغنيه بتربته كريشة في مهب الريح ، لئن عطف حيناً على وطنه وعقه حيناً آخر ، فما كان قلقاً في تغنيه بعروبيته ، لم يعقها في يوم من ايامه ولا حدثته نفسه بالانسلاخ منها في حال من احواله ، ولئن لم تشتد الفة ابو الطيب لتربته فقد اشتدت الفته ليمانيته وعروبيته فهذه العروبية ممزوجة بنفسه موصولة بروحه من اول حياته الى آخرها ٠

المتنبي عريق في يمانيته ، شديد الحرص عليها وهل هو الا من جعفي وهمدان ، وكأني به وهو يقول في صباه على لسان بعض التنوخيين :

وبجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يماني

كأني به يريد نفسه بهذه اليمانية ولكن ابا الطيب لم يقبع في عقر يمانيته فقد طار في فضاء اوسع وحلق في سماء امدّ ، فانسلخ من اليمانية واندمج في العروبية يفاخر بكل شيء عربي يفاخر بلسان العرب وبتيجان العرب وبسيوف العرب ٠ وسواء أكان ابو الطيب رقيق الحال ام كان واسع النعمة وسواء أكان في بلاد العرب ام كان في بلاد العجم انه حافظ على هذا الدم العربي وتعلق باهداب هذه القومية العربية فلم يرض بغيرها ديناً ولم يبغ عنها حولاً ٠

وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان بارض فارس وهو احد متنزهات الدنيا ، مشهور بحسنه وكثرة شجره وتدفق امواهه وكثرة انواع طيره ٠

اذا أشرف المحزون من رأس تلعة على شعب بوان استراح من الكرب

تغنى به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء ارق من دموع العشاق وابرد من ثغور الاحباب ، ووصفوا ترقرق آذيها وتدفق تيارها وتكسر حبابها في خلال زهر ورياض ، ووصفوا ظلها الخضل الالمى ، ماقولكم في شاعر يصف هذا المتنزه ويقول فيه :

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن الحران

غدونا تنفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الحر عني وجئن من الضياء بما كفاني
والقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفر من البنان
لها ثمر تشير اليه منه باشربة وقفن بلا اوان
وامواه تصل بها حصاها صليل الحلي في ايدي الغواني

ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والغرائب فلم تستول على قلبه ولم تأخذ من نفسه لانه تذكر وهو في شعب بوان انه عربي بين عجم فتأوه وقال :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وما هذا الفتى العربي الا ابو الطيب نفسه ·

وحن الى منازل دمشق العربية وقال :

منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبندجان
اذا غنى الحمام الورق فيها اجابته اغاني القيان
ومن بالشعب احوج من حمام اذا غنى وناح الى البيان

***

من هذا يتبين لكم مقدار احتفاظ المتنبي بعروبته وهو في آخر مدى حياته قد وقف على الخمسين اوجاوزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه النزعة القومية مذهباً ابعد ، فهو لا يريد ان يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يعتقد ان العرب تنجح اذا كانت ملوكها من العجم لان العجم ينقضون العهود ولا يخفرون الذمم :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لاادب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها امم ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه وكان يبرى بظفره القلم

وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الاتراك الذين يأمرون على الناس · فالمتنبي يرى بين قومه وبين الاعاجم من تراحي المسافات ما لا يمكن تقريبه فهم متباينون في اللغة والذكريات فليس لهم ماض مشترك يؤلف بين قلوبهم · ليس لهم ذكريات واحدة · وادب واحد · واخلاق واحدة · وتربية واحدة فالتنافر مستحكم بينهم من كل النواحي ·

فالمتنبيّ عربي في سلطانه . وقد حملته عروبيته هذه في بعض الاحايين على ايلام الاعاجم فانه اقدم من الرملة يريد انطاكية مر بابن كيغلغ وهو رجل رومي كان يحافظ على الطريق في طرابلس . فسأله هذا الرومي ان يمدحه فترفع ابو الطيب عن مدحه . فاعتاقه ابن كيغلغ عن سفره ثلاثة ايام . فلما فارقه المتنبيّ قال فيه قصيدته المشهورة : لهوى النفوس سريرة لاتعلم . من جملتها هذا البيت :

افعال من تلد الكرام كريمة   وفعال من تلد الاعاجم اعجم

انظروا كيف كان ابو الطيب يتجرد للراماة دون حياض العرب . فقد كان يباهي بكل شيء عربي . يباهي بلسان العرب وبتيجان العرب . و بسيوف العرب . وصحبته هذه العاطفة الشريفة حتى آخر نفس من انفاسه الذكية . لما مدح ابن العميد في ارض فارس وهنأه بالنيروز مدح فيه عروبية اللسان قبل كل شيء فقال :

عربي لسانه فلسفي   رأيه فارسية اعياده

ولما انصرف سيف الدولة من الظفر بحصن برزويه وعاد الى انطاكية . جلس في فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان . افتظنون ان ابا الطيب فضل تيجان الروم على عمائم العرب كلا ثم كلا . فقد قال لسيف الدولة :

وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة   لابلج لا تيجان الا عمائمه

تقبّل افواه الملوك بساطه   و يكبر عنها كمه و براجمه

نعم كان يفاخر بكل شيء عربي انظروا الى مفاخرته بسيوف العرب قال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد   فكيف اذا كانت نزارية عربا

* * *

وكأن هذه النزعة القومية كانت نزعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان الحرب التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صبغت بصبغة دينية فكان ملك الروم اذا غزا بلاد المسلمين يجهز رجاله بالصليب الاحمر وقد كان شعراء العرب يومئذ يذهبون في شعرهم بعض مذاهب اسلامية مجاراة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين قال ابو الطيب لسيف الدولة :

خضعت لمنصلك المناصل عنوة وأذل دينك سائر الاديان

ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من افق الدين الى افق اوسع واعم ، فلم يقتصر ابو الطيب في مدائحه في سيف الدولة على الاشارة الى نصرة الاسلام في حرب الروم ولكنه كان يرمي مرمى عربياً ابعد أفقاً فمن قوله في سيف الدولة :

رفعت بك العرب العماد وصيرت قمم الملوك مواقد النيران

انساب فخرهم اليك وانما انساب اصلهم الى عدنان

فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك الدين .

نعم كانت هذه اللهجة لهجة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بنى سيف الدولة قلعة الحدث وقد جمع ملك الروم اكابر مملكته وجهزهم بالصليب الاحمر هنأه كثير من الشعراء من جملتهم السري الذي قال في بناء الحدث :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت منه الحوادث حتى ذل صاحبه

اعدته عربيا في مناسبه من بعد ما كان رومياً مناسبه

وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر ابياتاً من جملتها :

وانك لي الجبل المشمخر بل لقومك بل للعرب

ومن قول ابى نصر ابن نباتة في سيف الدولة :

حاشاك ان يدعيك العرب واحدها يامن ثرى قدميه طينة العرب

وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها ابو فراس على لسان نساء بني كلاب وذلك ان سيف الدولة اصطنع بني كلاب وادناهم وآمن سربهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم الى ان بدت منهم هفوة احفظت سيف الدولة فاسرى اليهم واوقع بهم وملك حرمهم واموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم وحملهن وافضل عليهن واحسن اليهن فكتب اليه ابوفراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها :

يناديں بين خلال البيوت لا يقطع الله اصل العرب !

وفي هذه الوقعة يقول ابو الطيب :

وان يك سيف دولة غير قيس فمنه جلود قيس والثياب

وتحت ربابه نبتوا واثوا وفي ايامه كثروا وطابوا

وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذل لهم من العرب الصعاب

***

هكذا كان تغني الشعراء بالقومية حتى ان ابا تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية نزع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسعه في آخر القصيدة الا التغني بالعروبة فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او زمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب
ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على السن الشعراء في ذاك العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا اشارة الى نزعة قومية لا يخفى امرها .

***

هذا ما عنّ لي من الكلام على عروبة المتنبيء ولِمَ لا يتغنى ابو الطيب بعروبته ، وقد جاءته هذه العروبة من ناحية ابيه ومن ناحية امه فاختمرت في صدره فلم تفارقه في طور من اطوار حياته ، واذا كان شاعر مثل المتنبيء لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن الذي يذهب هذا المذهب ، فاللسان العربي الذي لهج ابو الطيب بمحبته عامل من اقوى عوامل القومية ولئن وجدنا شعوبًا يتكلمون بلغات واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة فلا يستنبط من هذا ان اللغة الواحدة لا تكون عنصرًا من عناصر القومية فاللغة انما هي اشد الاواصر بين حاضر الامة وماضيها ، وبين احيائها وموتاها . فيها كل شيء يربطنا بالماضي ، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها افكارهم وعواطفهم ، انها تضمنت ميراثنا الادبي الذي تعب آباؤنا واجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا تكون الامة امة على مصطلح هذ العصر الا اذا تضافر رجالها على الاعتناء بهذا الميراث .

هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما نرمي اليه في الحاضر والآتي .

دمشق : في ١ شباط سنة ١٩٣٠

المحاضرة الثالثة عشرة

هل كان المتنبي شعوبياً
- ٥ -

نفيهم عنه التعصب لوطنه — نفيهم عنه التعصب لقومه
« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيأت الكلام على ابتداء امر المتنبي ، وعلى اول تربيته وثقافته ، وعلى رقة حاله وجملة اخباره ، ووصف طبائعه ، واعددته لأحاضر به في هذا اليوم الا ان المقام اقتضى ان اعود على ما بدأت به من الكلام على تعصب المتنبي للعرب والعروبة ، وعلى حنينه الى وطنه واضطرابه في هذا الحنين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عملوا كتاباً على حدة في ابي الطيب المتنبي ينفون عن ابي الطيب تعصبه لقومه ، وتعصبه لبلده ، ملقين الكلام على عواهنه دون شيء من التمحيص . أما نفيهم عنه التعصب للوطن ، فقد استندوا فيه الى طائفة من الابيات التي رويتها لكم واشرت فيها الى اضطراب المتنبي في حنينه الى تربته منها :

وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق

ومنها وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

واضافوا اليها أبياتاً غيرها من جملتها :

غني عن الاوطان لا يستخفني الى بلد سافرت عنه اياب

ومنها : في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل

على ان البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو :

اذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيل

يدل على ان ابا الطيب اذا حدثته نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فانما ذهب هذا المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهبه لانكاره جانب الوطن نفسه .

ذكروا هذه الابيات كلها ، وقارنوا بينها وبين الابيات الآتية التي يقولها اصحابها في حنينهم الى بلادهم والى قومهم :

بلادي وان جارت عليّ عزيزة وقومي وان ضنوا عليّ كرام

او كقول المعري :

فلا هطلت علي ولا بارض سحائب ليس تنتظم البلادا

فحكموا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده ، ورموه بضعف الخلق ، وشبهوه بالطفل الذي يمد يديه الى الخبز ، لا يبالي اين وجده وكيف التقطه . —

واما نفيهم عنه التعصب لقومه ، فانهم لم يذكروا الابيات التي استندوا اليها في هذا النفي ، ولكنهم اشاروا الى مدائح ابي الطيب في عضد الدولة وفي كافور وعجبوا من المتنبي كيف يمدح الاعاجم بعد قوله :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

كيف يمدح ابو الطيب عضد الدولة ، وكيف يذكر في شعره اسمه ولقبه ويقول :

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

اباشجاع بفارس عضد الدو لة فنّـا خسرو شهنشاها

نعم عجبوا من هذا كله ، فحكموا على المتنبي انه مجرد من التعصب للعرب ولبلاد العرب فكأنهم يقولون فيه انه شعوبي ، وان هم لم يصرحوا بهذه الصفة ، فلننظر في مبلغ هذا العجب ومقدار هذا الحكم ، أفكانوا مصيبين في هذا الحكم ام كانوا مخطئين فيه ، أفصدر حكمهم بعد ان نظروا الى ابي الطيب من جميع النواحي ، ام صدر الحكم وهم لم ينظروا الى المتنبي الا من ناحية واحدة ، فلا بأس بان يكون الدرس في هذا اليوم ضربا من النقد :

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر ، وصوبوا النظر وصعدوه في بواطن هذا الشاعر وفي ظواهره ، نظروا اليه من طرف واحد . فمنهم من ينظر اليه من الناحية التي يظنها ناحية المحاسن ، ومنهم من ينظر اليه من الناحية التي يحسبها ناحية المساوي ، وفي هذين المذهبين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى . وانقياد للعاطفة ، وضعف في النظر

وما ينبغي للناقد ان يكون خاضعاً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فانهم اذا ذهبوا في النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة ضاعت الحسنات ، حتى انهم ليعظمون العورات في بعض الاحيان و يتعقبونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سيئة خفية فيغضون على الروائع ويتهامسون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واذا الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه من وجه الحسنات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد و حكّم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجوانب .

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل نزعة قومية واعتمدوا في تجريدهم هذا على الابيات التي رويتها لكم فلننظر في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شوقه الى تربته ، وقد بينت اضطرابه في هذا الحنين فلا أجد حاجة الى الرجوع اليه . وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه منذ نشأ وترعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى انطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق ، ومن العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقم بوطنه فلم تألف عينه هذا الوطن ، ومنها ان النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتذهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لتكاد تعاف الحياة والمتنبي عصبي المزاج فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وضيق في الصدر كما تعرض لكل واحد منا وما قولكم في شاعر يترك بلاد الشام و يذهب الى مصر فيخلي له كافور داراً و يخلع عليه و يحمل اليه آلافاً من الدراهم فيستقبله المتنبي بهذا الشعر :

كفى بك داء ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكن امانيا

ما قولكم في شاعر يتمنى الموت وهو في بحبوحة من العيش وسعة من الامل أفيكثر عليه ان يعاف بلده في بعض الساعات اذا كان يعاف حياته ، على ان ابا الطيب لم يجرد من العاطفة الوطنية كل التجريد ، فانه اذا اضطرب وقال :

غني عن الأوطان لا يستخفني الى بلد سافرت عنه اياب

هدأ بعد مضطرب به وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عجمي :

أحب حمص الى خناصرة   وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية   شتوت بالصحصحان مشتاها

وان الذي يقول : وكل نفس تحب محياها ، او يقول : أحن الى اهلي واهوى لقاءهم ، لا يرمى بعقة الوطن فكان ابوالطيب يضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ فيصفو خاطره و يروق ذهنه فيذكر اهله ووطنه فكان يجب على الذين نفوا عنه التعصب لبلده ان ينظروا اليه من النواحي كلها ، من ناحية حنينه الى تربته ومن ناحية اضطرابه في هذا الحنين حتى يكون حكمهم صادقاً الا انهم لم ينظروا اليه الا من ناحية واحدة ، فأشاروا الى الابيات التي دلت على اضطرابه في الحنين الى الوطن وسكتوا عن الابيات التي تضمنت حنينه اليه فإما ان يكونوا متحاملين على المتنبي ، وإما انهم لم يقرأوا ديوانه كله ، والأمر الثاني أغرب فكيف يؤلفون في هذا العصر كتاباً في شاعر من الشعراء ولا يقرأون شعره كله ·

على انهم لو انصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنيته اي في حنينه الى تربته من الناحيتين ، واحبوا ان ينقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيه بتربته لوجدوا مجال النقد ذا سعة فان اباالطيب لم يخلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها ، فلم يحملنا على الحنو على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا واجدادنا فلو أحطنا مثلاً في شعر ابي الطيب وهو في مصيفه في حمص بالعاصي من منعطفات شطوطه ، لحمنا على هذا النهر المنبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروجه وفي جنانه وشممنا نسيم الشيح والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرنا حينئذ بفرط الحنو على هذه الارض الكريمة حيث نبتت لنا في كل بقعة من بقاعها اصول دقيقة قوية تذكرنا قبيلتنا وعشيرتنا في الماضي ·

لو نقدوا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يخلف في شعره صورة تجمع أشكال التربة التي الفها والوان هذه التربة لأصابوا في نقدهم بعض الاصابة ولكنهم لم ينقدوه من هذا الوجه وانما جردوه من العاطفة الوطنية تجريداً ، وهذا موضع الاشتطاط ، على

ان ابا الطيب لم يخل شعره من اثر للتربة التي مربها والفها ، ولكن هذا الاثر انما هو اثر اعرابي يوافق ذوق ابي الطيب وعادته في مشابهة الاعراب وهل هو الا ابن البادية ، وربيب القبائل الف الاعراب من حداثة سنه واخذ عنهم اللغة . صحبهم سنين ثم جاء الكوفة وهو بدوي قح ، نعم لم يخل شعره من اثر للتربة التي الفها فانه كما قال :

احب حمصاً الى خناصرة وكل نفس تحب محيـاها
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشتاها

وصف في مصيفه في حمص ومشتاه بالصحصحان نمط عيشته وما هذه العيشة الا عيشة الأعراب :

ان اعشبت روضة رعينـاها او ذكرت حلة غزوناها
او عرضـت عانة مقزعة صدنا باخرى الجياد اولاهـا
او عبرت هجمة بنـا تركت تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطـاردة تجر طولـى القنا وقصراها
يعجبهـا قتلهـا الكماة ولا ينظرها الدهر بعد قتلاهـا

هذا الذي تركه لنا من آثار مصيفه ومشتاه في حمص والصحصحان وانتم ترون ان هذه الآثار اعرابية ما فيها الا الصيد والا الغزو .

فلننظر الآن في حكمهم على المتنبي من الناحية القومية ، فقدعجبوا منه كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح امراء العرب كسيف الدولة واضرابه ، وبعد تصريحه بكراهية العجم ، لا شك في ان اباالطيب مدح ملوكاً وامراء لاينتسبون الى اصل عربي من جملتهم عضد الدولة ومن جملتهم الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاجم دليلاً على لينه في عروبيته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص فأنه لم يجر على شعره في مدائحه فيهم شيء يستخلص منه فضل الاعاجم على العرب او انه طعن على العرب ورفع من مقادير العجم كما كانت تفعل الشعوبية ، فهو لم يمدح الروم والصقالب والبلغار ولا مدح الدمستق وقسطنطين . وانما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون بلغة العرب و يفاخرون بها فان ملوك آل بويه شعروا وروبت لهم اشعار وكان في خدمتهم

من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصابي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف وابي احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وأبي القاسم علي بن القاسم القاشاني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم ممن كانوا امراء البيان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد غرقت في خضم العربية وكان عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالبي في يتيمته يتفرغ للادب ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء ويقول شعراً كثيراً قال ابو بكر الخوارزمي :

كان ينادم عضد الدولة بعض الادباء والظرفاء ويحاضر بالاوصاف والتشبيهات ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتها وغيرهما الا وانشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشده كعادته اذ قدمت بهطة فنظر عضد الدولة كالآمر اياه بان يصفها فارتج عليه وغلبه سكوت معه خجل فارتجل عضد الدولة وقال :

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مجلوة لآلئ في ماء كافور

وقد رويت اشعار لابنه تاج الدولة ابي الحسين احمد ولعز الدولة ابي منصور بختيار ولابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالمتنبي لم يمدح ملوكاً طعنوا على العربية وانما مدح ملوكاً كانوا يتكلمون بها ويفاخرون وفي اتصاله بهم لم ينس عروبيته ولم يتجرد منها واظن انكم لاتزالون تذكرون قوله في مغاني شعب بوان ٠

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

والنزعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لا تهمه العصبية لقومه لا يستوحش في بلاد العجم وقد كان يستطيع ان يرضي العجم فيقول لهم مثلاً اذا نزل العربي بارضكم فلا يكون غريباً ولكن نفسه العربية أبت الا الوحشة والا الحنين الى منازل دمشق ٠

وكذلك الاستاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري وكانوا يتفاوضون في اللغة والادب حتى ان المتنبي عارض الانصاري بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي يقول فيها : (نظر المحب الى الحبيب غرام) ، وقال له : العرب لاتقول اليه

غرام وانما العرب تقول له ، فقال له الانصاري : العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض .

فالملوك الذين تعمر مجالسهم بامثال هذه المجادلات انما هم ملوك لا يكرهون العربية على ما أظن فما في مدح المتنبي لهم طعن عليه من الناحية القومية فما كان بحضرتهم يغض من العرب و ينتقصهم .

فالمتنبي عربي في اصله ، عربي في عيشته ، عربي في نزعته ؛ وقد صحب الاعراب وخالطهم ولهذه المخالطة آثار في شعره فيجب على الذين ينفون عنه التعصب لوطنه ولقومه ان ينظروا اليه من كل النواحي حتى يكون نقدهم صحيحاً .

دمشق : في ٨ شباط سنة ١٩٣٠



المحاضرة الرابعة عشرة

اين تعلم المتنبي

- ٦ -

عرفنا اين ولد المتنبيّ ، وعلمنا ما تيسر لنا علمه من نسبه وعروبيته ، فأين تعلم القراءة والكتابة ، واين طلب أدبه ولغته ، وهل كان لمدرسته آثار في عبقريته ، هذا ما أبحث عنه واياكم في مجلسنا هذا ·

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كان ابو الطيب محبّاً للعلم والادب فصحب الاعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدوياً قحاً ، وكان تعلم القراءة والكتابة فلزم اهل العلم والادب واكثر من ملازمة الورّاقين فكان علمه من دفاترهم ·

وقال الثعالبي : ذكرت الرواة ان اباه سافر به الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ، ومن مدرها الى وبرها ويسلمه من المكاتب و يردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، حتى توفي ابوه وقد ترعرع ابو الطيب وشعر و برع ·

وقال صاحب الطبقات : وأقام بالبادية وطلب الادب وعلم العربية ونظر في ايام الناس ·

وقال ابن خلكان : واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ اباعلي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال المتنبيّ في الحال ، حجلي وظربى ، قال الشيخ ابوعلي : « فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده » ·

من هذا يتبين لكم ان اباالطيب قد جهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل اكثره وهو يدرس وكان كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر اخذها معه لانه كان قد انتخبها وأحكمها قراءةً وتصحيحاً ، ولسنا نعرف هذه الدفاتر ولاندري عما كانت تشتمل عليه ، وانما نقل عنه انه كان يروي شعر ابي تمام و يقول

« او يجوز للاديب ان لا يعرف شعر ابي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده » فالمتنبي درس كثيراً وقرأ كثيراً فمن الشعراء الذين نظر في شعرهم البحتري وابن الرومي وابو تمام ومسلم بن الوليد و بشار وابو نواس وابن المعتز والفرزدق وعمرو بن كلثوم وامرؤ القيس والاعشى وبعض رجاز العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لا اجاوز في هذا المقام الاشارة الى ثقافته العامة فأتخطى الكلام على تجاربه في الحياة وعلى ماافتقت له هذه التجارب من ضروب الحكم :

اذا ما الناس جربهم لبيب   فاني قد اكلتهم وذاقا

واتخطى الكلام على نظراته الفلسفية مرجئاً هذا كله الى حين البحث عن هذه النظرات فلا اتعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره ٠

للبادية في ثقافة المتنبي آثار ظاهرة على شعره في كل طور من اطوار هذا الشعر فهو ابن البيد والفيافي من افق البادية درج خياله ، وفي جو البادية نما هذا الخيال فلا عجب اذا علقت بذهنه صور هذه البادية ، الف المتنبي ابل البادية وخيلها ومهامهها ومفاوزها وغزوها وصيدها وسيوفها وقناها ، فلا تجدون في كثير من شعره فرقاً بينه وبين الاعراب الذين صحبهم في التغني بكل امر من امور البادية ولا يكاد شعره يخلو من آثار صهيل الخيل وقعقعة اللجم وصرير العوالي ، فالبادية اول مدرسة درس فيها المتنبي وكما ان للبيئة وللزمن وللدم تأثيراً في العبقرية فكذلك التربية فأنها لا تخلو من التأثير في الاذهان ، الف المتنبي البادية فلم يخف عليه امر من امورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخيله وسلاحه وضروب ذلك ، وقد رسخت في ذهنه صور البادية من حداثة سنه الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فلست اعرف شاعراً اعند من المتنبي في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك والامراء والوزراء فلم يقلع عن اعرابيته ، وعرضت عليه الحضارة مشاهد رائعة فلم تنزع به عن بدويته ، فقد غلبت عليه صور البادية فلنبين هذا الامر على قدر مايتسع له مجلسنا ٠

للمتنبي اربعة اطوار في شعره ، طور وهو يجول في اقطار الشام قبل اتصاله بسيف

م : ٦

الدولة ، وطور وهو في ظلال سيف الدولة وطور وهو في حضرة كافور الإخشيدي وطور وهو في بلاد فارس ، فلننظر في آثار البادية على شعره في كل طور من هذه الاطوار الاربعة .

لما كان المتنبي يجوب آفاق الشام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته وترعرعه كانت آثار الثقافة البدوية ظاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي نما في البادية كان خيالاً على فطرته الاولى فكأنه اعرابي لم يألف الحضر .

برتني السرى بري المدى فرددنني ... اخف على المركوب من نفسي جرمي
ابصر من زرقاء جو لانني ... متى نظرت عيناي ساواهما علمي
كأني دحوت الارض من خبرتي بها ... كأني بنى الاسكندر السد من عزمي

فالاشارة الى السرى والى حدة البصر والى الخبرة بالارض كل هذا من مذاهب اهل البدو الذين لا يقيمون ببقعة من الارض دون بقعة .

اواناً في بيوت البدو رحلي ... وآونة على قتد البعير

فتارة كان يتغنى ببنات الجديل و بالفته المجاهل والفلوات .

نحن ركب ملجن في زي ناس ... فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجديل تمشي بنا في البيد ... مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها ... اثر النار في سليط الذبال

وتارة كان يتغنى بسيفه :

كفرندي فرند سيفي الجراز ... لذة العين عدة للبراز
تحسب الماء خط في لهب النار ... ادق الخطوط في الاحراز
كلما رمت لونه منع الناظر موج ... كأنه منك هازي .....
ودقيق قذى الهباء انيق ... متوال في مستوى هزهاز

الى آخر ما وصف به هذا السيف .

هكذا كان دأبه في الشدو بأمور البادية ولقد تجلت شنشنته هذه في اراجيزه التي كان يتشبه فيها بالاعراب منها ارجوزته :

ما للمروج الخضر و الحدائق ... يشكو خلاها كثرة العوائق

فكان له حجر تسمى « الجهامة » ولها مهر يسمى « الطخرور» فاقام الثلج على الارض بانطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال المتنبي ارجوزته هذه ومن قرأها حسب بدوياً يصف الخيل .

كل هذا من آثار مدرسته الاولى ولقد اثرت فيه هذه المدرسة من الناحيتين المادية والمعنوية حتى انه اذا تغزل كان يتغزل بالاعرابيات :

هام الفؤاد باعرابيـة سكنت   بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا

واذا شبه في غزله جرت على خاطره في الحـال تشبيهات اهل البادية ، فالرماح والسيوف ادوات يلجأ اليها في هذا الغزل :

من طاعني ثغر الرجال جآذر   ومن الرماح دمالج وخلاخل
ولذا اسم اغطية العيون جفونها   من انها عمل السيوف عوامل

على انكم تجدون في بعض الاحوال آثاراً حضرية الى جنب هذه الآثار البدوية خالية من السيوف والرماح وما شابه ذلك :

لبسن الوشي لا متجملات   ولكن كي يصن به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسن   ولكن خفن في الشعر الضلالا

ثم انكم لتجدون في بعض غزله وشي الحضارة ونعومتها :

حسان التثني ينقش الوشي مثله   اذا مسن في اجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله   كأن التراقي وشحت بالمباسم

ليس معنى هذا ان المتنبي لم يصف مشاهد الحضر ولكن البادية شغلت القسم الاعظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحضر عادت الى ذهنه في الحال صور البادية لنضرب مثلاً لذلك .

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي وقد تصدى لوصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة   والغور دفيء وماؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدة   تهدر فيهـا وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها   فرسان بلق تخونهـا اللجم

كأنها والرياح تضربها جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها في نهارها قمر حف به من جنانها ظلم

فأنتم ترون انه لما أراد ان يشبه الموج شبهه بهدير الفحول ، ولما أراد ان يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها بفرسان خيل بلق ، ولما أراد ان يشبه الرياح وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغي ، فالفحول وفرسان الخيل والجيوش والماء الشبم والقطم كل هذا لايخلو من اثر بدوي ، واذا أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال البدوي وبين الخيال الحضري فارجعوا الى وصف ماء لشاعر من شعراء العرب ، ارجعوا الى وصف البحتري للبركة ، ومن شروط المقايسة والموازنة ان تأخذوا قصيدتين في موضوع واحد ، اذ انه لا تصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في الموضوع ، فالمتنبي وصف بحيرة طبرية والبحتري وصف البركة ، وقد سمعتم وصف ابي الطيب فاسمعوا شيئاً من وصف البحتري ، ولا يتسع المقام لذكر الابيات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وريّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

الى غير ذلك من وصف السمك وعومه والرياض و بشاشتها ، وانا أترك لكم الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولاشك تعترفون معي بان الفضة البيضاء ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك انما هو كلام حضري لا أثر للبداوة عليه .

هذا هو الطور الاول في شعره فلننظر الى ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفقاً مديداً يسرح فيه خياله البدوي فانه لما اتصل بسيف الدولة سلمه الى الروّاض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم فتصرف المتنبي في وصف هذه الحروب والغزوات أبلغ التصرف اعانته على ذلك امور شتى منهـا تربيته الاولى ومصاحبته للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدتم منها شيئاً في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل ممهدة

الى وصف الحروب ، ومنها مصاحبته لسيف الدولة في هذه الغزوات فاذا وصف انما كان يصف بعد العيان فاكثر شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا نتعرض في هذا المقام لشيء من هذا الوصف لان هذا يأتي في الكلام على شعره ، وانما غرضي في هذا المجلس ان أبين ان المتنبي كانت تغلب على شعره آثار البداوة وان هذه الآثار جاءته من مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا البادية ولئن كان ابوه يسافر به من البدو الى الحضر فان صور البدو شغلت الناحية الكبرى من خياله ، فهل تبدل خياله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل اقل من التغني بالابل وبقوته على السير وماشابه ذلك فلننظر في هذا كله .

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من نعيم الحضارة وترفها فأخلق بابي الطيب ان تظهر على شعره آثار هذه الحضارة فأول قصيدة قالها فيه وصف فيها فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وقد جلس سيف الدولة على هذه الفازة فقال ابو الطيب :

وأحسن من ماء الشبيبة كله ... حيا بارق في فازة انا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة ... واغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه ... من الدر سمط لم ينقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به ... يحارب ضد ضده و يسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه ... تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه
وفي صورة الرومي ذي التاج ... ذلة لا بلج لا تيجان الا عمائمه

فأنتم تجدون في هذا الشعر صوراً حضرية حتى ان غزل المتنبي ظهرت عليه آثار رقة الحضر فقد عدل في غزله عن السيوف والرماح الى الأزاهير والرياحين :

سقاك وحيانا بك الله انما ... على العيس نور والخدور كمائمه

ومنه قوله :

وغضبى من الادلال سكرى من الصبى ... شفعت اليها من شبابي بريق
وأشنب معسول الثنيات واضح ... سترت فمي عنه فقبّل مفرقي

وأجياد غزلان كجيدك زرنني فلم أتبين عاطلاً من مطوق

ومنه قوله :

واني لأعشق من أجلكم نحولي وكل امرئٍ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم بكيت على حبي الزائل

ولكنه مع هذا كله لم تفارق صور البادية ذهنه فكان يرجع اليها في بعض غزله فيرجع الى السيوف وأشكالها :

وقد طرقت فتاة الحي مرتدياً بصاحب غير عزهاة ولا غزل
فبات بين تراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبه من درعها أثر على ذؤابته والجفن والخلل

و يرجع الى هذه الصور في المراثي نفسها :

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقدمات وماينجين من خبب الليالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحيه على الاجداث حفش كأيدي الخيل ابصرت المخالي

والحفش والمخالي والخبب وارتباط السوابق كل هذا من آثار البدو ولا ريب في ذلك .

فابو الطيب في التبدل اليسير الذي تبدله وهو في افياء سيف الدولة اي في افياء النعيم والترف كان يعود الى شنشنته في التغني بالابل و بالقوة على السير الى غير ذلك من مذاهب الاعراب واهل البدو ، فمن وصفه للابل :

وحكت في البلد العراء بناعج معتاده مجتابه مغتاله
يمشي كما عدت المطي وراءه و يزيد وقت جمامها وكلاله
وتراع غير معقلات حوله فيفوتها متجفلاً بعقاله
فغدا النجاح وراح في اخفافه وغدا المراح وراح في ارقاله

ثم انه لا يكاد ينسى فرسه ورمحه وسيفه وناقته حتى مواطن الغزل :

علي عن سيرتي فرمي ورمحي وسيفي والهملعة الدفاقا

ولا يكاد يذهل عن الخيل والبيداء :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت في الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب مني القور والاكم

***

هذه هي شنشنة المتنبي وهو في ظلال سيف الدولة المديدة فلننظر اليه لما غضب على سيف الدولة وترامت به البيد والفيافي الى كافور الاخشيدي ، فلننظر اليه هل اقلع عن هذه الشنشنة ام لازمته في مصر ، اظن انه لم يقلع وهو في مصر عن شيء من هذه العادات البدوية فقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والقنا والعوالي وماماثل ذلك حتى في اول قصيدته في كافور .

وجردا مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافاً يتبعن العواليا

تماشى بايد كلما وافت الصفا نقشن به صدر البزات حوافيا

وتنظر من سود صوادق في الدجى يرين بعيدات الشخوص كما هيا

وتنصب للجرس الخفي سوامعاً يخلن مناجاة الضمير تناديا

ولما طالبه كافور بذكر الدار التي بناها على البركة بازاء الجامع الاعلى لم يقل شيئاً في وصفها يسمى وصفاً فكأنه يحتقر الدور .

مستقل لك الديار ولو كان نجوماً آجر هذا البناء

ولوان الذي يخر من الامـ واه فيها من فضة بيضاء

فكان يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد والسمهرية السمراء والصوارم البيض والهيجاء

وبسانينك الجياد وما تحـ مل من سمهرية سمراء

انما يفخر الكريم ابو المسك بما يبتني من العلياء

وبايامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء

وبما اثرت صوارمه البيض له في جماجم الاعداء

لا بما يبتني الحواضر في الريـ ف وما يطبي قلوب النساء

فاين هذا الخيال من خيال البحتري في وصفه لقصور بني العباس في بغداد ٠

نعم لم يقلع عن هذه الشنشنة حتى ولا في غزله فهو لا يحب الا البدويات :

ما اوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
اين المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام ماثلة اوراكهن صقيلات العراقيب

ولما اصابته الحمى وهو بمصر ووصفها لم يغفل في وصفه عن التغني بما يتغنى به الاعراب عادةً

ذراني والفلاة بلا دليل ووجهي والهجير بلا لثام
فاني استريح بذي وهذا واتعب بالاناخة والمقام
عيون رواحلي ان حرت عيني وكل بغام راحلة بغامي
فقد ارد المياه بغير هاد سوى عدي لها برق الغمام

فانتم ترون في هذا كله آثار ما يتغنى به الاعراب عادة فسلوك الفلاة بلا دليل واعتياد السير في الهجير بغير لثام والمعرفة بدلالات النجوم بالليل وعد برق الغمام كل هذا مما يفتخر به اهل البدو ٠

ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف منازل طريقه فكأن المتنبي متلفع بثوب بدوي في هذا الوصف :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيدبى
وكل نجاة بجاوية خنوف ومابي حسن المشى
ولكنهن حبال الحياة وكيد العداة وميط الاذى
ضربت بها التيه ضرب القمار اما لهذا واما لذا

وكذلك لما رثى ابا شجاع فاتكاً وهو في الكوفة بعد خروجه من مصر اشار الى العيس:

لا ابغض العيس لكني وقيت بها قلبي من الحزن او جسمي من السقم
طردت من مصر ايديها بارجلها حتى مرقن بنا من جوش والعلم

تبري لهن نعام الدو مسرجة تعارض الجدل المرخاة باللجم

***

هل رغب المتنبي عن مذاهب اهل البدو في آخر طور من اطوار شعره فانه لما خرج من مصر وقدم العراق ثم شخص من العراق الى بلاد فارس اتصل بابن العميد وبعضد الدولة وعرف ان الذين يجالسهم في فارس هم غير الاعراب واشار الى ذلك في اماديحه في ابن العميد :

من مبلغ الاعراب اني بعدها جالست رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فاضافني من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدئاً متحضرا

ثم جالس المتنبي في بلاد فارس امثال رسطاليس وبطليموس وجارى الفرس في عاداتهم في النيروز في اتخاذ اكاليل من النبات والزهر ولبس هذه الاكاليل :

مالبسنا فيه الاكاليل حتى لبستها تلاعه ووهاده

وشهد مشاهد تأخذ بمجامع القلوب مثل شعب بوان :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ومع هذا كله فقد بقي بدوياً قحاً كما كان في صباه شهد هذه المشاهد كلها ولم يزهد في اعرابيته ولئن رق غزله بعض الشيء وخرج من التغزل بالبدويات الى التغزل بالشاميات :

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلت ناظري تغالطني وانما قبلت به فاها
فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها
تبل خدي كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها
ما نفضت في يدي غدائرها جعلته في المدام افواها

لئن رق هذا الغزل بعض الشيء ولئن تبدل خياله بعض التبدل فما تبدلت اعرابيته حتى انه عاد في القصيدة نفسها التي تغزل فيها بالشاميات الى ذكر الغزو والصيد وقد كنت تلوت عليكم ابيات هذا الغزو وهذا الصيد :

ان اعشبت روضة رعيناها او ذكرت حلة غزونا ا

وعاد الى التغني بالقنا والطعان :

فاما تريني لا اقيم ببلدة فآفة غمدي في دلوقي وفي حدي
يحل القنا يوم الطعان بعقوتي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي
تبدل ايامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكرن في النحس والسعد

لئن بدلت هذه النجائب ايامه وعيشه ومنزله فما بدلت اعرابيته ، وارجوزته في عضد الدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه باهداب هذه الاعرابية وهي من آخر شعره :

ما اجدر الايام والليالي بان تقول ماله ومالي

فآثار مدرسته الاولى ظاهرة على شعره من ابتداء امره الى منتهاه ·

دمشق : في ١٥ آذار سنة ١٩٣٠

المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية[1] »

— ٢ —

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يتلذذ بحلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخرها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تتخمر فيأكلها متخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهويه سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كما قال منها وطراً يجد في وصلها طلباً . وكلما رشف منهـا وشلاً تلظى لكاسها ظما . وكلما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اهتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة منشودة ، ومباحة محرمة ، وعاهرة مشرّفة ، لا يضنيها الوصل ، ولا يفسد من ملامحها الدهر . يأتيها المرء لاول مرة مجاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا الولوع بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ماهو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ماهو نفساني . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغوليين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشدّ الى شرب الخمور من احتياج

---

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٣٠ م .

الشرقيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمور ادعى الى انتشار معاقرتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعةً او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسانية ، وهي لعمري العامل الأقوى في انتشار المسكرات مابين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تتحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الفريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان ما يخالفها مما تشتهيه نفسه و يصبو له قلبه ، وتضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى مايستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى مايستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضيع الطموح ان يكون ملكاً تعنو له الرقاب ولا للفقير ان يكون غنياً ينعم برغد العيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع ماله مرضاً عضالاً او يستهوي به قلب غادة فتانة ، أسرته لحاظها ، وأقصاه عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ليشفي ببطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به رمقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار تتأجج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كان تحقيق كل هذه الاهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبية شخصية و بات الشقاء البشري عاماً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الاخروية وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقق فيسبب بهذا المنع تململ النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين و لأحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ،

وهتك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها . ورعايتهـا هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، و يحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تفنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، تتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تعليله وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ يعقل . ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي يتململ منها اليوم كل أنسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للمجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقوله : تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى منهـا وما يتوقع

وقوله . وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القمي :

تحامق تطب عيشاً ولاتك عاقلاً فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه

ولابي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي :

طاب عيش الرقيع في ذا الزمان والجهول المغفول والصفعان

وانشد ابو منصور مهلهل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحمق وفي زوال العقل والخرق

فمن اراد العيش في راحة فليلزم الجهل مع الحمق

وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة العقلاء ، و يقولون ما لذة العيش الا للمجانين ، اتدري لماذا ؟ لان نصيب

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى مابين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفته ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤملين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ المجانين » .

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضمحل وتفنى بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتملص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صدده . وقد تفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسمّ دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنوناً اختيارياً موقوتاً .

قال المنفلوطي في كلمة الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المولعين بتخدير أعصابهم . كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الافيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة يتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لا يتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ماوُجد في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين .

لا يجد السكير لذة العيش وهنأته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ماتشتهي نفسه ان تراه . فان كان قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفتنة النظار ، وان القلوب محلقة على جماله ، تحليق الأطيار على الأشجار ، وان كان فقيراً معدماً لايملك فلساً واحداً توهم انه جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة باسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسحبه على وجهه الى غرفة السجن ليقضي فيها ليلته .

وجملة القول ، ان عينه لاتقع على مايحزنه من المنظورات ، وان أذنه لاتسمع ما ينفره من المسموعات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهذيان ، الى الخدر والخبل ، حسب كمية المادة المسكرة وكيفيتها وحالة الشارب ومزاجه . والسكر صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجتازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور الثمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبعي . وتتصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضيء العينان . و يزداد عدد الضربات القلبية ، والمبادلات التنفسية ، وتخدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . و يشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، و يخيّل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، و ينطلق لسانه و يكثر كلامه ، وتتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيها . وتتوقد الذاكرة وتسرح المخيلة . فيذكر ما كان ناسياً و يبتدع من الصور الخيالية مالايقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محاكمته وتميزه فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول البساطة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . و بالنظر لخدر النافذة والمراقبة تنطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من أسراره التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائع . و يعتري السكير في هذا الدور الغرور والأنانية ، والغطرسة ، فيمسي سريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محباً للمدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والاسراف . والغول يخل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصنعي و باطنه المكتوم . ومن الخطإ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

لا ينضح الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبليـة والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة تنطبق على كل امرئ في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يتمثل بهـا اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيراً مايتوصل به الدهاة الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بانحلال قوة العقل والمراقبة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيـال ، دور الانطلاق والانشراح ، المتعارف في الاندية والمجتمعات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشهية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، اوالجُنة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحتشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور الثمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هـذا الدور بخمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارد الفكر والعواطف اما الثمل فهو طائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس التناسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالتقـاليد والآداب العامة ، فيهبط من المعنويات الى الحسيات ، و يتعرض لما فيـه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل، في سبيل المرأة في المراقص وعلى موائد السكر عنا بغريبة، واذا اضفنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهيج وعدم الشعور بالواجب تتجلى لنـا صورة الثمل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى المخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ الثمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشـاهد في الهذيانات الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجرع الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتفقد دقتها ، وتعتري السكير الرعشة والاضطراب فلا يتماسك في المشي ، وتختل موازنته ، و يسترخي كلامه ، و يتداعى الى الجمود والخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منبهة كما كان يظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكير ثمة قواه المحركة و يصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض بيديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التملص من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فما هي الا هنيهات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقدها حياتها العملية . و ينزل بالسكير من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يتمثل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تتصعد ، ونبضات قلب خائر تتابع ، تنتشر منها روائح كريهة لفلج مصرفي البول والغائط مما تقذى لمنظره الاعين ، وتمج وصفه الآذان .

هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي يتجلى بها السكير منذ اول قطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكد يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تتوال عليها الزوابع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجمها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تخرب وتصير الى الغرق .

وهكذا غد السكير ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، تتلاشى رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها

م : ٧

فيعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء بادئ بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول و كيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم الناقع . و يدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الرشفة المشهية الصحية المباحة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تنسي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلانبي (Mellanby) آثار كم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاآت شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاآت اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومتقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية — . ويبدأ داء السكر المزمن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب المهذب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثالاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتملص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يأتلف معهم من الناس ، و ينقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتخشن معاملته ذويه ، ويهمل واجبه نحو اسرته ، و يكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذله شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا العته الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكتسب . وذلك لان

الاختلال بعم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع امرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية ٠

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بهما وفقد الإباء ، والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والنزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادئ العامة الدينية والاجتماعية ٠ ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهذيب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقي والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد ٠

واما فساد علاقاته مع غيره: فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمفاداة والرأفة وحب الاحسان ٠ واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادئ العامة ٠

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور وسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والفعالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوئ الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن ٠

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولاسيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني و يتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله و يتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية ٠ وترى ذلك الرسام الذي كان يبتدع من المناظر مايفتن النظر و يخجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس و يتلاعب بالقلوب يتدهورون رويداً رويداً بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيسمها فيمسي الغولي مسيراً بحواس مريضة ينشأ عنها خطأ الحس

والاوهام السمعية والبصرية والذوقية واللمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثمالة ، وقد يهون الخطب فيما لو كان هذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تتعدى الفرد الى سواه . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد و يهدد الأسرة والهيأة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهيار كيانها. ولقائل يقول ان من الامم من تتعاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأمم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبح بيعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لاول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم ينفش في اوربة الا في القرنين الاخيرين . عندما اهتدت الصناعة الى استحصاله بتقطير الحبوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيها ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صنعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضةً لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية – فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسوجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام يصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضارّه .

اما الأقدمون فلم يكونوا ليشربوا سوى الخمر الصرف الخلو من الغش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لايحوي سوى ثمانيــة أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعانيه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل والافرنجي حديث العهد أقرته مشاهدات العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادهى وانكى لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و ...

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بانه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من جحيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أيدت المشاهدات والتجارب العلمية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبمال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . و يسترخي الصفن وعضو التناسل و يندر وجود الحوينات في المني . اما عندالمرأة فيحصل ضمور في المبيض و يختل نظام الطمث اي الحيض و ينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hcbopper) من جامعة فينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، وأسكروا واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل جحيراتها المنوية .

وذكر الاستاذان ويشلباوم وكيرل من فينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخريباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابداً بفقد الاقنية المنوية .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على أعضاءالرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهري ان معظم التخريب واقع في الخصى بالنسبة لسائر اعضاء الجسم .

ولقد لخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحوينات المنوية .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادئ الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الاقنية المنوية .

(٣) و يحدث هذا التخريب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي ·

وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقد ايدها التشريح المرضي والطب السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة ·

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي نغرسها في بطن الارض عاطلة بان الثمر الذي ستثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب في ذلك ·

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها ومقاومتها · قال لادام (Ladame) كانت شريعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل · وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس وقال ابن عبد ربه في عقده الفريد : وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونجله وكان المأمون يقول : يانطف الخمار ·

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية المطبوع في ليبسيك عام ١٩٠٣ : إن رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في حياته الا يوم بضع هذا الولد · مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في استحالة النسل ·

وذكر سباتية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم توازن النفس ·

وقد ايدت مشاهدات بزولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين قدماً اي ابله فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس مولير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .

وذكر سيبيش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد تصعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضائها التناسلية فقد حدث فيها استحالة ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والديه مما يسمونه عجيبة .

ويطول بنا البحث اذا اردنا ان نأتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتمدنة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استحالة البذور المنوية عند الرجل بتأثير الغول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا أنتقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأن سكر الام اثناء الحمل يعمل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستحالة ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيانه في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسممه ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

عملية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمـل فانتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ريدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بعض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسـل قال : اتى عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكمام . لان النساء كانت بضعنها في اثناء تجوالهن في اكمامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلبات السكيرات تنتج جراءاً صغيرة الجثث . فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معملاً لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الغولية بواسطة الرضاع . — وهنا ننتقل من الجنين الى الرضيع لنشاهد الغول ينساب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدسم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا و يحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد وتحصى . وليست هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سليلة التجارب والمشاهدات القديمة العهد . فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع مهما قلت كميته التي تشربها . وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لاتزيد على ربع ساعة من تناوله .

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن المرضع السكيرة سم قتال للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر. منها ماذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلهـا باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت المرضع على ترك النبيذ مدة فشفي الطفل . ومن ذلك ماذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورمانديا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المراضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كية الدرّة . فيعرضون بعملهم هذا اطفـالهن لانواع الآلام والآفات . ولا يحصر ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهذه حقيقة أبدتهـا مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاآته العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضـاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدن الاوربية المركزية ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . وان انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الإرضـاع هذا سيؤدي حتماً الى نتيجتين مؤلمتين احداهما أخلاقيـة وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الإرضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة وتداعي كيان الامة . وقد أيدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستمفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تفخاً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للإرضاع .

الغولية ووفيات الاطفال — ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي تنشأ عن

..معاقرة الغول موت الأجنة في الأرحام وفرط وفيات الأطفال . وقد جاءت مشاهدات سوليفان (Lullivan) مؤيدة هذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة تتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشاهد انه لم يعش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمن . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغولية اللواتي لا يعيش لهن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاآت العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا تتعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٧ في المئة . وان هذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل واضمحلال الامة .

استحالة النسل الغولية . — ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاآت أطباء المدارس في الممالك الراقية ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاآت المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) نه استقرأ حياة ابوي الف قدم اي ابله منشاه بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تلميذ في المدارس فشاهد ان ٥٣—٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . وبالنظر لتفاقم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوربة واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، يعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائيين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة ويثقل كاهل موازناتها السنوية .

الجنون والغولية .— وقد لا تعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً مؤلفة من انقاض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل في تجريدهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهوله القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره مانيان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آن .

وجاء في الاحصاآت الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) ومانيان(Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجئ قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاآت سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء .

وجاء في احصاآت ملاجئ بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاآت ملاجئ انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٣/٢٦ في المائة عند الرجال و (٤/١٠) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) لملاجئ ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و٩/٥ في المائة عند النساء ·

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/٦ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول ·

واليكم الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره · فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجئ نيويورك خلال سنة ١٩٠٨—١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت · ثم اخذت تتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات ·

تلك قطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاآت التي قام بجمعها وضبطها جهابذة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم · وكلها متضافر متضامن على تأييد حكمة تلك الآية الكريمة (واثمهما اكبر من نفعهما) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال تفشى في هذا العصر في الامم العظمى تفشياً مريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة · وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر · وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد ·

قال لغران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك بيد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتنتحر به) (فمن ذا الذي لايعلم ما فعله مستعمرو اميركا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء · ومن ذا الذي يجهل ما نصنعه بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما نحاوله بالعرب · ومن يجهل ما صنعه

الاسوجيون مع اللابون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نحصد السود بخمورنا وغولنا . ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بيد الامم القوية ستقضي هي نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤوفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

ومما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان للغول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتنحصر هذه المنافع بامرين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ماكل ما يشتعل في الجسم يعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح اتواتر وبنديك نفسها وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول يعد غذاءاً لاحتراقه في الجسم فهو غذاء سيئ غذاء مكروه لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا يأسف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقوه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . اجل ايها السادة ، ان الغول منبه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما يطرأ على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة أعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها ويضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجاً فيتجاوز بعمله هذا الحد الصحي ويعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها .

واذا كان في الامم افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال لغران

أضرُّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه وباعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهوون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

فمن الفضيلة والانسانية اذاً ان يفادي هذا الفريق الغافل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعماً في شراك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .

وقد اهاب نذير هذا الخطر الداهم بالامم الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السم ، سم الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظعت العاقبة وقامت تتداعى كما تتداعى الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس براثنه ، كما تتشعب الياف السرطان في الجسم فبات الويل في نزعه والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدين نساء ورجالاً شيباً وشباناً يلبون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهنالك في سكاندينافيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والهزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكن في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيئته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمفاداة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث ·

وبينما نار الحرب تتأجج في اوروبا واميركا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتمدنة هذه القادة الاسيرة الفتانة تتجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سئمت الحياة فراحت تتطلب من سمه مخرجاً منها · وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، وابشع خيانة ·

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٨ —

الجسم الذي له شكل مخروط والذي يكون في إبط ورقة النبات هو اما عين او برعم . فاذا تفتح عن محور خشبي واوراق سمي عيناً و بالفرنسية (Oeil) اما اذا تفطر عن زهرة فهو البرعم والبرعوم و بالفرنسية (Bouton à fleurs) ويلاحظ ان لفظة « العين » لم نضعها نحن ترجمة للفظة الفرنسية (Oeil) بل هي موجودة في كتب اللغة القديمة حيث كانت تستعمل للمعنى المذكور .

واذا تفتحت العيون او البراعم فقد اكحت وقطنت وانفرجت وانفصدت وفقّحت وتفطرت وهو بالفرنسية (Bourgeonnement) .

والاغصان التي تنضرج عنها العيون اصناف : ولكل صنف منها اسم في فن تقليم الشجر . والالفاظ العربية القديمة التي تدل على اشكال الاغصان لا تشمل على المعاني الفنية الحاضرة للاشكال المذكورة ولهذا لا بد من حصر المعنى الذي هو في المعاجم او التوسع به حتى يكون لكل معنى من المعاني الفنية لفظة عربية خص بها . فالعين في بدء تفطرها غرنوق و بالفرنسية (Bourgeon) وهو غصين لدن يسمي غرنوقاً ما دام صغيراً طرياً .

واذا كان الغصن صغيراً طوله سنتيمتر الى ثلاثة سنتيمترات و كان غليظاً متغضناً سهل القصف بينه وبين فرع الشجرة زاوية قائمة فهو الخُوط و بالفرنسية (Lambourde) و يكون الخوط في الدراق والخوخ والكرز محتوياً على كثير من البراعم الزهرية فيسمونه في فرنسة « باقة ايار » .

ومن الاغصان غصن مثمر صغير طوله ٣—٨ سنتيمترات املس غليظ صغير العيون والبراعم الجانبية كبير العين العليا يكاد يكون بينه وبين الفرع زاوية قائمة . وهو اجود الاغصان المثمرة في التفاح والكمثرى والسفرجل . يسمى بالفرنسية (Dard) ورأيت ان نسميه القُملوج .

ومنها غصن دقيق سهل التلوي يبلغ طوله ١٠ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمتراً وبينه

وبين الفرع زاوية منفرجة . وتكون براعمه العليا صالحة للازهرار في التفاح والكمثرى اما براعمه السفلى فتتلف . وفي الدراق تزهر جميع براعمه . ويسميه الفرنسيون (Brindille) واري ان نخصه بلفظة العسلوج .

ومنها غصن قوي يتراوح طوله بين ٣٠ سنتيمتراً ومترين ويكوّن مع الفرع الذي يحمله زاوية حادة . وهو لا يزهارُ على الأكثر ويسمى بالفرنسية (Rameau) و بالعربية الخرعب والغصن .

ومنها الذي ينشأ من عين عرضية او زائدة على الفروع والسوق وهو سريع النبات مضر في الغالب و يسمي الغصن العرضي او الطفيلي (Rameau gourmand) .

ومنها الذي يحمل عيوناً و براعم معاً وهو مفيد في الدراق لكنهم يقلمونه في التفاح والكمثرى واسمه الغصن المختلط او الشامل او المشترك (R.mixte) ومتى شاخ الغصن وقسا ونشأت عليه اغصان فهوفرع اوشعبة (Branche) وهاك خلاصة الالفاظ المذكورة مع ما يقابلها بالفرنسية :

العين	Oeil
البرعم	Bouton à fleurs
اكمح وقطن وانضرج وانفصد وفقح وتفطر	Bourgeonner
الغرنوق	Bourgeon
الخوط	Lambourde
الغملوج	Dard
العسلوج	Brindille
الخرعب والغصن	Rameau
الغصن العرضي او الطفيلي	Romeau gourmand
الغصن المختلط او الشامل او المشترك	R. mixte
الفرع والشعبة	Branche

وفي فن الحراج الفاظ تدل على الحرجة في حالاتها المختلفة كأن يكون شجرها صغاراً او كباراً ، متفرقة او ملتفة ، نامية من بزور او من أرومة الشجرات المقطوعة الخ . ولم

م : ٨

أجد في المعاجم الفرنسية العربية ألفاظاً عربية صحيحة مقابل ما يستعمله الفرنسيون من الألفاظ للمعاني المذكورة . ولذلك رأيت ان نستعمل لها الحروف الآتية مع التوسع او التقييد وهي :

الحَرَجة ج حِراج وأحراج وحَرَج وحَراج وحَراريج لجماعة الشجر على الاطلاق وهو بالفرنسية (Bois) او (Forêt) ومتى كان شجر الحرجة طوالاً ضخام السوق يزيد قطر الساق على ٢٠ سنتيمتراً وربما بلغ ٥٠ سنتيمتراً فالحرجة هي غابة و بالفرنسية (Futaie) . وتحصل الغابة من البزور لا مما ينبت على أرومة الاشجار المقطوعة .

وقبل ان تكبر أشجار الغابة وتضخم سوقها اي عندما يكون قطر ساق الشجرة دون ٢٠ سنتيمتراً فالحرجة تسمى أجمة و بالفرنسية (Perchis) .

وقبل ان تبلغ الأشجار قد شجر الآجام اي عندما تكون شجيرات مشتبكة الأغصان مختلفة الطول فهي غيل و بالفرنسية (Fourré) .

هذه كلها في الشجر التي تنبت من البزور فاذا نمت في عجز الأشجار المقطوعة اي كانت فراخاً او أرآداً فالحرجة تسمى خيساً (Taillis) . وهذا الشكل لا وجود له في أشجار الفصيلة الصنوبرية مثلاً لأنها لا تفرخ بعد ان تقطع .

والعيص جماعة الشجر ذي الشوك ج أعياص . ولعل ما يقابلها بالفرنسية لفظة (Broussaille) فهي تطلق على النباتات الشائكة التي تنبت في الحراج .

وتلخص الحروف المذكورة مع مقابلها بالفرنسية على الصورة الآتية :

الحرجة	Forêt
الغابة	Futaie
الأجمة	Perchis
الغيل	Fourré
الخيس	Taillis
العيص	Broussaille

« البحث تلو » مصطفى الشهابي

آراء وافكار

اصل لفظة «عربة»

ما كدت أطالع في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٣٥٦) قول القائل (ووضع ابن بطوطة ايضاً العربة للعجلة التي تنقل الركاب) حتى خشيت ان يسري هذا الوهم الى سواه فجئت في نبذتي السابقة (ص ٦٩٩) أتساءل عما اذا كان ابن بطوطة هو الذي وضع هذا اللفظ؟ فبينت هناك ان ابن بطوطة ليس من اهل الوضع وانه راوٍ لهذا اللفظ لا واضع. ولما كان الشيء بالشيء يذكر استطردت الى قول حضرة الأب انستاس الكرملي ان لفظة (عربة) تركية الاصل (المشرق ٥ : ٩١٤) او تركية التركيب والوضع كما يريد الآن (لغة العرب ٨ ص ٢٨٦) وذهبت اذ ذاك الى انها من اصل سرياني وذكرت ما قاله لغويو السريان في مادتي (ابزرا وعربا) ملحقاً ذلك بما قاله احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانية) عربة خطأ لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه) وهذا يؤكد ماقلته : لااظن العربة من اصل تركي مذيلاً كل ذلك بما قاله العلامة الزبيدي في التاج : والعربات سفن رواكد كانت في دجلة النهر المعروف. وهو ما قاله العلامة ابن منظور في لسان العرب. بقصد ان اثبت ان ما ذكره لغويو السريان لا يتعدى ما قاله لغويو العرب في مادة عربة. وقد كنت حينذاك وقفت على نص ياقوت الحموي في معجم البلدان في شأن عربة حيث قال : والعربة بلغة اهل الجزيرة السفينة تعمل فيها رحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه قال (وهي مولدة فيما احسب) والاولى انها اعجمية كما ترى. وقد قلت عندئذ وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان (جناح دولاب العربة) في الماء ويرجع ان اللفظ اعجمي وقد كان معروفاً في بغداد خاصةً. فظهر الآن من قول ياقوت انها كانت معروفة في الجزيرة ايضاً. وان اصل اللفظ من لغة اهلها اي السريانية. وقلت اخيراً ان العربة كانت من اعتاد[1] الحرب عند الشعوب القديمة فتوسعوا في معناها ونقلوها

(١) انكر الأب انستاس الاعتاد جمعاً لعتاد وانا اكتفي بما اثبته اللغويون في هذا

من معنى الرحى التي تكون في الماء الى معنى المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى · على ان الأب انستاس الكرملي لم يرقه كل ذلك فعاد في مجلته لغة العرب[1] يؤكد ان العربة تركية الاصل وانه لما قال تركية لم يقل انها كذلك بلفظها الخاني بل اراد ان يقول تركية التركيب والوضع ··· الى ان قال : اما ان العربة تركية فهو لا يشك فيها لانه رآها مدونة بهذا المعنى في كتاب (ديوان لغات الترك) لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ﻫ (١٠٧٣م) اي في اواخر المائة الحادية عشرة قال وانت تعلم ان المؤلف تركي صنف كتابه في بغداد نقل الفاظه عن الترك كما تعلم ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان الا بعد

الجمع قال في لسان العرب الاعتد جمع قلة للعتاد وهو ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد و يجمع على اعتدة ايضاً · قال : وفي رواية انه احتبس ادراعه واعتاده قال الدارقطني قال احمد بن حنبل قال علي بن حفص واعتاده واخطأ فيه وصحف وانما هو اعتدة (اي جمع قلة) وجاء في رواية اعبده بالباء الموحدة جمع قلة للعبد · وفي معنى الحديث قولان احدهما انه كان طولب بالزكاة عن اثمان الدروع والاعتد على معنى انها كانت عنده للتجارة فاخبرهم النبي (صلعم) انه لا زكاة عليه فيها وانه قد جعلها حبساً في سبيل الله · والثاني ان يكون اعتذر لخالد ودافع عنه يقول اذا كان خالد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وتقرباً الى الله وهو غير واجب عليه فكيف يستجيز منع الصدقة الواجبة عليه اه · وقال في المصباح « واخذ للامر عتاده (بالفتح) وهو ما اعده من السلاح والدواب وآلة الحرب وجمعه اعتد واعتدة مثال زمان وازمن وازمنة · وفي حديث ان خالداً جعل رقيقه واعتده حبساً في سبيل الله · و يروى واعبده بالباء الموحدة والاول اظهر للحديث الصحيح · اما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس ادراعه واعتاده في سبيل الله اه بلفظه وهذا كاف لاثبات ان اعتاد جمع كثرة للعتاد وانه جاء في كلام القوم من اقدم الايام · ولا ابالي بعده سائر ما جاء به الأب انستاس من هذا النمط فاني لا اريد ان اجعل مجلة المجمع ميداناً للقال والقيل كما لا يخفى ·

(١) سنة ٨ جزء ٤ ص ٢٨٥ وما يليها واعاد نشر رده ملخصاً في مجلة المجمع العلمي·

مئات من السنين ... الى آخر ما جاء به وانا ارى انها سريانية الاصل اخذها الترك عن السريان وتوسعوا في معناها ونقلوها من لمعصرة والرحى في الماء الى المركبة او العجلة.

لا يجهل الخبير ان السريان المشارقة او النساطرة قد كانوا على اتصال بالترك ، قال ابن العبري في مختصر الدول (ص١٣٥) وآمن بعد هؤلاء أصناف من الترك ايضاً . وجاء في سيرة مارآبا (سنة ٥٤٠-٥٥٢ م) ان خان الهون البيض «وهم جيل من الترك كانوا يتوطنون بكتريانة» أرسل الى جاثليق النساطرة مارآبا المشار اليه يطلب منه ان يرسل اليه أسقفاً ينصر القبائل التي كانت خاضعة لسلطانه فنعل وأنشأ أسقفيتين في هراة وسمرقند (سيرة مارآبا ص٢٦ وكتاب لابور ص ١٨٩) وممن سعى لتوثيق عرى العلاقات بين الترك والسريان المشارقة طيموتاوس الكبير في أواخر القرن الثامن فقد ذكر في احدى رسائله سنة ٧٩٢ م ان أمة الترك تنصرت على يدي أساقفة ارسلهم اليها وروى توما المرجي في كتاب الرؤساء (ص٢٥٢-٢٦٣) ان شوبحا ليشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموتاوس الكبير الى جهات المرقانيين والاتراك فنصّر كثيرين وشيد الكنائس . وقد تبعه اخواه بياهالا وكرداغ اللذان سقفهما طيموتاوس الموما اليه وأرسلهما الى بلاد الأتراك صحبة خمسة عشر راهباً من دير مارآبا .

وفي تاريخ بطارقة المشرق لماري بن سليمان ان طيموتاوس دعا الى الايمان خاقان ملك الترك وغيره من الملوك . ومنذ ذلك العهد ترى للنساطرة عدة كراسي أسقفية في بلاد الترك وماجاورها عدّدها عمرو بن متى في تاريخه المعروف بالمجدل (ص١٢٦) وانا لا أقصد تبيان انتشار النصرانيـة بين الاتراك بل أتوخى ذكر اتصال الترك بالسريان المشارقة او النساطرة من أقدم الايام فلا عجب ان استعار الاتراك من السريانية بعض الالفاظ كما استعاروا كثيراً من الالفاظ الفارسية والعربية وغيرها .

ومن المقرر ان الترك كانوا في العراق والجزيرة بل في بغداد نفسها . قال ابن خلدون ان الترك عند الفتح (العربي) لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة ايام سائر دولة بني أمية وصدراً من دولة بني العباس فامتلأت أيدي العرب من سبيهم واتخذوهم نولاً[1] في المهن والصنائع ...

(١) المجمع لعل صوابه نُدُلاً او خولاً .

ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية ادنى الى بلاد الترك من دمشق وكان اولوا عصبيتها الفرس في خراسان على مقربة من الترك شرع هؤلاء واخص منهم بالذكر عشائر القانقلي والقالاج والتركمان سكان ما بين النهرين يتقدمون في صدر الدولة العباسية في خراسان والعراق هرباً من أذى أبناء عمهم الاغور [1] وطلباً للرزق (Le Cahun (int . a l hist. de l' asie ·

ثم تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة الى الشرق الادنى حينما عوّل العباسيون على تجنيدهم بعد ان كانوا مماليك بالقصور في ايام الامويين وفي زمن السفاح اول العباسيين (سنة ١٣٢ —١٣٧ هـ) فان ابا جعفر المنصور ثاني العباسيين (سنة ١٣٧ — ١٥٨ هـ) كان اول من فطن للاستفادة من بأس الترك فألف منهم شرذمة قليلة لا شأن لها وانما بقي الشأن الاكبر يومئذ للعرب والخراسانيين الفرس (المسعودي ج٢ص ٢٤٦) ·

ثم اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطفوهم من موالي الترك والروم والبربر ملأوا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب حتى اتخذ المعتصم مدينة سامرا لنزولهم وكان اسم الترك يعمهم جميعاً فكان الروم والبربر تبعاً لهم ومندرجين فيهم ·

وفي اثناء ذلك كان يتنازع السلطة في الدولة العباسية عنصران قويان العرب وهم اصحاب الدولة والفرس وهم اهل عصبيتها الذين قاموا بتأسيسها حتى اذا انتصر المأمون باخواله الفرس على اخيه الامين وعصبيته العرب تفرد الفرس بالسيطرة · ومع ذلك فلم تكن حاشية الخليفة تخلو من الترك النافذي الكلمة نذكر منهم طولون جد الدولة الطولونية بمصر · ثم لم يمض الا القليل حتى قام الترك مقام العرب في منازعة الفرس النفوذ · ولا سيما منذ صار الامر الى المعتصم ثامن العباسيين (سنة ٢١٨ — ٢٣٢ هـ) فكثر اذ ذاك الترك في ارجاء العراق (راجع فلسفة التاريخ العثماني ص٣٢ وما يليها) فلا يستغرب اذا اقتبس الترك مثل لفظة (عربة) عن السريان العراقيين وقد كانت على حبل ذراعهم سواء أكان في بلادهم ام في العراق والجزيرة · فلا يقتضي لها مئات اوآلاف من السنين حتى تنتشر وتشيع بين الترك كما ادعى حضرة الاب · بل لا يستغرب اذا

(١) كذا رسمها بعضهم ورسمها آخرون (الاو يغور) ·

ذكرها محمود بن الحسين الكاشغري في (ديوان لغات الترك) في أواخر القرن الحادي عشر دون ان يشير الى أصلها السرياني ٠

وقد ذهب بعضهم الى أن لهجات القبائل التركية على كثرتها تعود الى اصل واحد هو التركي القديم ومنه التركي الحديث ٠ وذهب آخر الى ان اللهجة التركية التي انتقلت الى الشرق الأدنى عن الطريق الاول كشغر وفرغانة وسمرقند الى فارس والعراق تسمى (اللهجة الخاقانية) والتي انتقلت عن الطريق الثاني ضفاف جيحون في خراسان الى الشواطئ الجنوبية من بحر طبرستان (الخزر) فمقاطعات قوهقاف الى الاناضول تدعى (اللهجة الأغورية) وهي الباقية في الاناضول على ألسنة التركمان ٠ وكيف كان الامر فقد ثبت ان هذه اللغة لم تكتب باحرف خاصة بها بل كتبت بحروف لغات عديدة فقد عثروا على كتابات تركية مكتوبة باليونانية واللاتينية والسريانية والرونية (Le runnique) ثم كتبت بالحروف العربية والارمنية ٠ وقد غلب على بعض القبائل ولاسيا الأغور كتابة لغتهم بحرف خاص نقلوه عن الكلدانية وعُرف بالحرف الأغوري وهو يكتب عمودياً من الشمال الى اليمين ٠ الى ان كتبت التركية الآن بالحروف اللاتينية لقطع آخر صلة بالعرب واللغة العربية ٠ فاذا كان الاتراك القدماء اقتبسوا الكتابة السريانية او الحروف الكلدانية فليس بمستغرب اذا اقتبسوا عن اللغة السريانية بعض الالفاظ فتأمل ٠

واذا تقصيت المجلد الثاني من (منتخبات اللغات العثمانية) تجد مؤلفه يذكر في مادة (عربة) عرب ٠ عُرباء ٠ عربان ٠ عربده ٠ عربده ٠ عربدهجو ٠ عربستان ٠ عربون ٠ عَرَبة ٠ عربي ٠ عربيد ٠ فنتحقق ان (عربة) لاتمت الى أصلي تركي ٠ واذا طالعت قاموس اللغة العثمانية المعروف (بالدراري اللامعات) تراه يقول في مادة (عربة) عرب — عراب اسود زنجي ٠ عرب داريسى قمح اسود ٠ عرب صاچى مشوش مضطرب ٠ عَرب كُوله المملوك الاسود ٠ عربجه عربي ٠ عربدهجو (ع ف) معربد ٠ عربستان بلاد العرب عَرَبه عجله (عربة) فتتأكد ان لفظة (عربة) لا تشتق من اصل تركي ٠

ولا بدّ من تنبيه حضرة الأب الى ان احمد وفيق باشا لا يبحث في اللغة العربية او اليونانية بل يبحث في لغته التركية وقد تابعته في بحثه عن هذه اللغة فقط فلا يفيد الأب

ما عنّي نفسه به وعدده من الالفاظ التي عربها العلامة سليمان البستاني في الالياذة بحرف العين في اولها ووسطها وآخرها كما لا يفيده ذكر غيرها من الالفاظ التي عربها العرب بالعين بدلاً من الألف ولو بلغت الوفاً عديدة . فان احمد وفيق باشا لما رأى لفظة (عربة) مدونة في اللغة التركية بهذا الرسم قال عربة خطأ محض وعلل ذلك مبرهناً عليه بقوله لان حرف العين لا وجود له في اللغة التركية فلفظ عربة غير تركي لانه مبدوء بحرف العين الذي لا اثر له في التركية وهو ما اردته عندما تمثلت بقول ذلك العالم المدقق فتبصّر وتدبّر .

وغريب من حضرة الأب ان يقول في حاشية صفحة ٢٨٦ من مجلته ونقول الآن : (عنارم) وفي التركية (افرين) الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط اوالآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر أصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها في لغتنا بهذا الحرف الحلقي ؟ وهو قول جميل جداً ولكنه لا يعدُّ حجة للأب بل حجـة عليه يؤيد به قول احمد وفيق باشا السابق الذكر حيث قال : ان حرف العين لا وجود له في التركية . فقال العرب (عنارم) بالعين وقال الترك (افرين) بالالف وعليه لا ينكر اصل اللفظ الغريب الخالي من العين لاننا نقلناه في لغتنا العربية بهذا الحرف الحلقي . ولكنه ينكر في اللغة التركية لان العين لا وجود لها في هذه اللغة مما لا يختلف فيه اثنان .

وقال حضرة الأب في ص ٢٨٨ من مجلته ان لفظ العربة بمعنى العجلة لم تشع بين الناطقين بالضاد قبل المائة الرابعة للهجرة او المائة العاشرة للميلاد . فاذا كان ذلك كذلك فممن اخذها العرب عن الترك ام عن السريان ؟ وكما توسع بها العرب ونقلوها من معنى السفينة بالماء الى معنى سفينة البر التي تنقل الركاب تصرف بهـا الترك ايضاً فنقلوها من معنى الرحى بالماء الى معنى المركبة .

والاغرب ان حضرة الأب انستاس في رده ونقده تراه على خلاف عادته لا يعرج على اشتقاق اللفظ من اصل تركي بل يعتمد في قوله ان اصل (عربة) تركي على مثل صاحب مرآة اللغات ومؤلف الدرر العثمانية وصاحب لهجة اللغات وغيرهم ولا سيما محمود الكاشغري مؤلف (ديوان لغات الترك) مما لا يجدي نفعاً في هذا البحث ولا يثبت ان

العربة تركية الاصل و بالنتيجة لا يجردها من اصلها السرياني · واذا كان السريان عرفوها بمعنى المعصرة او الرحى او ما اشبه ذلك فقد توسع بهـا الترك ونقلوها الى معنى العجلة او المركبة كما فعلوا في غيرها من الالفاظ مما لا يحتاج الى دليل او برهان · و بهذا القدر كفاية للمتأمل البصير فقد اخلصت القصد ووفيت الامانة حقهـا في بيان الحقيقة ولكل احد ان يتبع الرأي الاقرب الى الصواب ·

الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي



استدراك

كتب اليَّ عالم من علماء العراق يقول : خطأتَ في الصفحة ١٩٠ من الجزء الثالث استعمال البق والصنار والفندق وأوجبت استعمال البعوض والدلب والبندق بدلاً منهـا على حين ان الألفاظ الاولى لاغبار عليها · وخطأتَ استعمال حرفي الدبق والعنم للنبات المسمى بالفرنسية (Gui) و باللاتينية (Viscum album) وهما صحيحان ·

قلت لاشك ان البق في كتب اللغة يطلق على جنسين من الحشرات هما أنواع البعوض (Moustiques) ونوع بنات الحصير ذوات الرائحة الكريهـة (Punaise) · ولكن الشاميين الا القليل منهم لا يعرفون ان لفظة البق تطلق على البعوض · اما هذه اللفظة الأخيرة فلا يجهلها احد من المتعلمين ولذلك يجب في الكتب المدرسية ككتاب الاستاذ الهـاشمي ان تسمى حشرات الـ (Moustiques) بعوضاً وحشرات الـ (Punaises) بقاً وهذا التخصيص ضروري جداً في الكتب التي تدرَّس في المدارس ·

ومن البديهي لديَّ ان لفظتي الصنار والفندق صحيحتان · ولكن من هو الذي يعرف في الشام على الأقل لفظة الصنار المعربة عن چنار الفارسية · انه لا يعرفها احد على العكس من لفظة الدلب الشائعة · وكذا لفظة بندق فانه لا يلفظها احد في الشـام بالفاء فلهذا السبب « ثم لأسباب أخرى يطول شرحها » رجحت استعمالـ الدلب والبندق بدلاً من الصنار والفندق في الكتب المدرسية خاصةً الا اذا كان العراقيون لم يألفوا

ـوي امظني الصنار والفندق فعندئذ توضمان بين هلالين بجانب حرفي الدلب والبندق ·

اما الدبق فهو مواد لزجة لانبات · ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات الـ(Gui) لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل النبات المسمى (Ilex) وغيره · فاذا قلنا « شجر الدبق » تبادر الى الذهن كل الاشجار التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار · اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرد الى الذهن سوى نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) ·

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من تحلية هذا النبات » اطلاقها على نبات الـ (Gui) بل تطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) ·

مصطفى الشهابي



مطبوعات حديثة

مرجريت
— أو —
غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفْعة خمسين صفحة من كتاب دون ان يواثبني اليسير من التعب او الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جلست لقراءتها جلستين ، فما نهضت حتى أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو انَّ المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون لهذه الرواية آخر أقف عنده ·

خلاصة هذه الرواية ان «مرغريت» وهي بغيٌ من بغايا باريز بارعة الجمال أحبّت فتى اسمه «ارمان» ولما علم والد «ارمان» بهذا الحب ألحَّ على «مرغريت» في هجر «أرمان» فهجرته «مرغريت» رأفة بوالده على فرط حبها إياه ·

لا تظن ان هذه الخلاصة تطلعك على شيء من جمال (غادة الكميليا) فاذا أردت ان تنعم بهذا الجمال فاقرأ (غادة الكميليا) مرة ومرتين وثلاث مرات وانا أضمن لك انك لا تكاد تفرغ من قراءتها حتى تحدثك نفسك بالعودة الى هذه القراءة .

لله در صاحبها ! لله در (دوماس) ماأقدره على اللعب بالنفوس ، أوتي من الفن شيئاً عجيباً ، أراد ان يصور لنا فضيلة البغايا ، أراد ان يصور لنا هذه المخلوقات التي دفعت بها الطبيعة الى مواطن الفحش لسبب من الاسباب او لحاجة من الحاجات فتم له ما أراد وصور البغي في اكمل صورها فاذا قرأت وصفها علمت ان هذه الطائفة من النساء لها حياة خاصة وشعور خاص وكلام خاص فلو أحببت ان تخاطبهن بمثل ما تخاطب به المحصنات لما نجوت من شر سخريتهن .

على ان هذا الوصف ما كان الغاية التي رمى اليها (دوماس) في روايته وانما ذهب في الرواية مذهباً أبعد وحلق في جو أعلى ، أراد ان يفهمنا معاشر الهازئين بالبغايا المحتقرين لمعيشتهن ان الفضيلة قد تنبت في منابتهن واذا ظهرت هذه الفضيلة في أفيائهن ظهرت بظهورها أعمال تعجز عنها أكمل المحصنات خلقاً . أحبت « مرغريت » الفتى «أرمان» حباً ملك عليها كل شيء في العالم ، والمرأة اذا دخل العشق قلبها ضاعت مشيئتها وعميت بصيرتها فلا تتهيب شيئاً في سبيل عشقها كائناً ما كان ، أحبته حباً جماً فكان من المنتظر ان تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، ولكن الذي وقع دلنا على خلاف هذا الامر ، فبدلاً من ان تضحي بكل شيء في سبيل عشقها ، ضحت بنفسها في سبيل هذا العشق وقتلت عاطفتها لتحيي عاطفة والد « أرمان » رحمة لهذا الشيخ ورأفة بابنته وبمستقبل ابنه .

وعلى هذه الصورة كانت (مرغريت) النابتة في منبت السوء من الخلق الكريم والقلب الشريف .

ليست مهارة (دوماس) في استخلاص هذه الحكمة الاجتماعية فقد تكون البغي أشرف الشريفات وقد تكون المحصنة أرذل الرذيلات ، واذا بحثنا عن سيرة البغايا أعطتنا باسرار كثيرة ، قد تفحش المرأة لسبب من الاسباب ، او لحاجة من الحاجات ، وقد تفحش للفحش نفسه ، فمن البغايا محصنات النفوس ، ومن المحصنات بغايا النفوس ، ما هذه

في الحكمة الرائعة التي يجب عليك ان تقرأ (غادة الكميليا) من اجلها ولكن اقرأ (غادة الكميليا) لتعرف سلطان الألفاظ على الأرواح ولتدرك اثر الفن في القلوب. فبين انت تسمع كلام (أرمان) وهو ينقم على (مرغريت) لانها وعدته فأخلفت الميعاد اولأنها تهزأ به وبين انت تشارك (ارمان) في رأيه في البغايا ونقمته عليهن، اذ بك تقرأ كلام (مرغريت) فترجع الى رضاك وتقلع عن نقمتك وتشارك (مرغريت) في حجتها القاطعة فكأنك مسلوب الارادة وماسلبك هذه الارادة الا فن (دوماس) وعبقريته الساحرة. فهو الذي يلعب بقلبك لعب النسيم بالغصون، فتارة يميل بك الى الرضي عن البغايا فترضى، وتارة يميل بك الى الغضب عليهن فتغضب وهذا كل شيء في الفن.

وما يحتاج الكاتب الى اكثر من هذه المقدرة ليكون في جملة الخالدين على شباب الايام وعلى هرمها.

اما الدكتور احمد زكي فقد استطاع ان يؤدي الينا عبقرية (دوماس) في أروع معارضها، وهل يطلب الى المترجم شيء اكثر من حسن هذه التأدية، فما نقصته سلامة الذوق في انتخاب الألفاظ ولاأعوزته لطائف اللغة الشعرية.

واذا سامحناه في بعض ألفاظ استعملها في غير مواضع استعمالها، منها قوله: طُرَف شيقة والشيّق في اللغة المشتاق، والدكتور يريد ان يقول: الطرف الرائعة أو اذا سامحناه في جرأته على استعمال كلمات أعجمية كالمسلين والدنتلات والألواج، أو اذا سامحناه في بعض صفات أضافها الى الموصوفات على غير ارادة المؤلف (دوماس) توخياً منه ان يجمل النغمات أوقع في الآذان، اذا ساهلناه في هذه الهفوات اليسيرة استطعنا ان نذوق مايستر هذه الهفوات من الحسنات الكثيرة، وأظهر هذه الحسنات تناسق ألفاظه الموسيقية من اول الرواية الى آخرها.

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

الجواهر
« في تفسير القرآن الكريم »

اهدانا السيد مصطفى البابي الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الاجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسمى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءاً تأليف العلامة الاستاذ طنطاوي جوهري . وقد قضى الاستاذ سنين طويلة في تحبير هذا التفسير ولما يتم وقد بلغ فيه سورة فاطر . ومن تصفحه أدرك سعة علم الاستاذ كما أدرك مبلغ العناء الذي كابده في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، وتنسيق مباحثه . وأول ما يخطر للناظر فيه انه لا ينظر في تفسير قرآن وانما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن تضمنت شرحاً لآياته ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً وفلسفة وسياسة واجتماعاً وزجراً ووعظاً وتنبيهاً وتحذيراً حتى انه لم يخل من ذكر نظرية (انيشتين) والاستشهاد بها على ما هو بصدده من تفسير الوحي الالهي وكثيراً ما يقع نظرك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فيتبين لك اذ ذاك وجه المناسبة ولوضئيلة بين هذا البحث وبين الآية المفسرة . افتح مثلاً الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت ارقام متسلسلة ثم تقرأ تحت الرقم الاول ما نصه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام . و يجب ان تتمتع به في الحال . و بينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق انك تقرأ تفسيراً للقرآن فترجع أدراجك الى ما سبق من المباحث ميحثاً ميحثاً فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصنت .... وجعلناها وابنها .... ان هذه امتكم .... كل الينا راجعون) .

فتفسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب العجول . ولا للضجر الملول . وانما ألف للزميت الوقور . الجليد الصبور . ونرجو ان يكثر امثال هؤلاء بين ابنائنا .

وانا لنشكر للمؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن أمتهما خير الجزاء .

« المغربي »

مختار الشعر الجاهلي

« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ مصطفى السقا طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي بمصر في ٣٣٦ صفحة

من تصفح هذا المصنف الجديد في آدابنا العربية سره منه امران (الاول) ان الطبع التجاري الذي كان يقصد من ورائه مجرد الربح أخذ يتضاءل رويداً رويداً في مطابعنا. (والامر الثاني) ان المشتغلين في آدابنا العربية عادوا فأدركوا أنه لا يمكن ان يكون لنا أدب جديد مالم يبن على أدب قديم وان العناية بالادب القديم يجب ان تسبق العناية بالادب الجديد فينبغي اولاً أن نستقصي منابع الادب القديم وننسق مواده ونصحح كتبه ونضبط نصوصه ضبطاً يطمئن اليه قلب الطالب عند دراستها . كما يطمئن اليه قلب الاستاذ عند استخراج القواعد واستنتاج النتائج منها . والكتاب الذي نقرظه مذ الساعة هو من تلك المصنفات الحديثة التي روعي فيها كلا الامرين . وقد اصدر مؤلفه جزءه الاول وضمنه شعر الطبقة الاولى من الجاهليين وبعض اشعار الطبقة الثانية منهم : فهو يذكر ملخصاً مفيداً من ترجمة الشاعر ثم قطعاً من شعره بأرقام متسلسلة و يعلق عليها في ذيول الصفحات تفسيراً لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل . وقد لاحظنا أن الاغلاط فيه طفيفة جداً : مطبعية كانت او لغوية من ذلك كلة (الود) في قول امرئ القيس ص ٥٣ (تخرج الودّ الخ) فقد ضبطت بالشكل بضم الواو مع ان الصواب فتحها مطلقاً سواء أكانت بمعنى الوتد أو اسماً لجبل . ومنها كلة (الممر) في قول امرئ القيس ص ٥٣ ايضاً .

(قد غدا يحملني في أنفه لاحق الإطلين محبوك مُمر)

فقد ضبط (ممر) بضم الميم الاولى وكسر الثانية بصيغة اسم الفاعل وفسره بالمعتدل الخلق . والصواب فيه ان يكون بصيغة اسم الفاعل (بضم ففتح) من أمرّ الحبل اذا فتله فتلاً شديداً ومعناه في صفة الجسم أن يكون قوياً شديد الأسر كالحبل المحكم الفتل وبذلك يتلاءم بقوله قبله (محبوك) . وتفسير (الممر) باعتدال الخلق

غير ظاهر لغة ولو قال موثق الخلق لكان اصوب . والاعتدال في الجسم التوسط فيه بين الطول والقصر وبين السمن والنحافة . ويقولون جارية حسنة الاعتدال اي القوام . وبالجملة فانه اذا صح وصف الفرس بالاعتدال .

(سلي الليل عني كم شققتُ أديمه على ضامر الجنبين معتدل عالي)

فانه لا يصح تفسير (الإمرار) بالاعتدال ولا (الممر) بالمعتدل .

« المغربي »

كتاب رغبة الآمل

« من كتاب الكامل »

تأليف الاستاذ سيد بن علي المرصفي طبع منه سبعة أجزاء كل جزء في نحو ٢٦٠ — ٣٠٠ صفحة بمطبعة النهضة بمصر

سيد بن علي المرصفي مصنف هذا الكتاب هو أستاذ الاستاذين في الآداب العربية وحامل لوائها في البلاد المصرية كان يضع على كامل المبرد هذا الشرح وهو يقرأه على الطلاب وقد طبع منه الى اليوم سبعة أجزاء فقط وصل فيها الى (باب النسب) وشرحه في ذيل الصفحات يستغرق ثلث الصفحة وأحياناً نصفها وآونة اكثر من ذلك مع ضبط كثير من كلمات المتن بالشكل . اما التحقيق والتدقيق في الشرح والتفسير فحدث عنه ولا حرج . وللشارح ملاحظات كثيرة على المؤلف وتعليقات غاية في الجودة والاصابة . وآثار العناية بطبع هذه الأجزاء ظاهرة ، حتى اننا بعد تصفح كثير من صفحاته لم نظفر بسوى كلمة واحدة وردت في بيت لذي الرمة يصف سيفاً استشهد به الشارح وهو :

(وأبيض موشي القميص نصبته على خصر (مقلاة) سفيه جديلها)

(مقلاة) كذا بالقاف والتاء المربوطة . وصوابه (مفلاة) بالفاء والتاء المربوطة من فلي المفازة يفليها اذا تخللها ومنه قوله :

(ساهمت عيسك مرَّ عيشك قاعداً أفلا فليت بهن ناصية الفلا ؟)

او هي (مقلات) بقاف وتاء مفتوحة . يقال ناقة مقلات اذا لم يكن لها ولد . اذ ان

عدم الولد ربما كان أعون للناقة على الاغذاذ والجد في السير فلا يشغلها الحنين الى ولدها عن المضي فيه أو يقال انها اذا لم يكن لها ولد كانت قوية على السير فلا تكون هزيلة ولا ضعيفة الجسم بسبب الولادة والارضاع · ولعمري ان المؤلف قد خدم بمؤلفه هذا المكتبة العربية عامة وكتاب الكامل خاصة فله الشكر وطول العمر · «المغربي»



تنبيه — اصلاح الاخطاء التي وردت في الجزءين الماضيين الثالث والرابع :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٤	١٦	هذه ثلاثة عشرة كلمة	هذه ثلاث عشرة كلمة
١٨٠	٦	ونحن اول ممن	ونحن أول من
١٨٠	٨	الاب انستانس	الاب انستاس
١٨٣	١٨	ولابدلهذاالعمل اذ كنانعلم انه	ولابد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه
٢٣١	٢٣	جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين	جاءت الزلزلة سنة ثنتين وخمسين
٢٣٥	٧	وسجنه ثم اعدمه	وسجنه ثم قتله
٢٣٦	٢٣	في سنة اثنين وثلاثين	في سنة ثنتين وثلاثين
٢٣٦	٢٤	في سنة اثنين واربعين	في سنة ثنتين واربعين
٢٥٥	٩	يعرف قارءه	يعرف قارئه
٢٥٥	٢٠	يجدونه في اعمل	يجدونه في اعمال
٢٥٦	٤	اثني عشر قطعة	اثنتي عشرة قطعة





